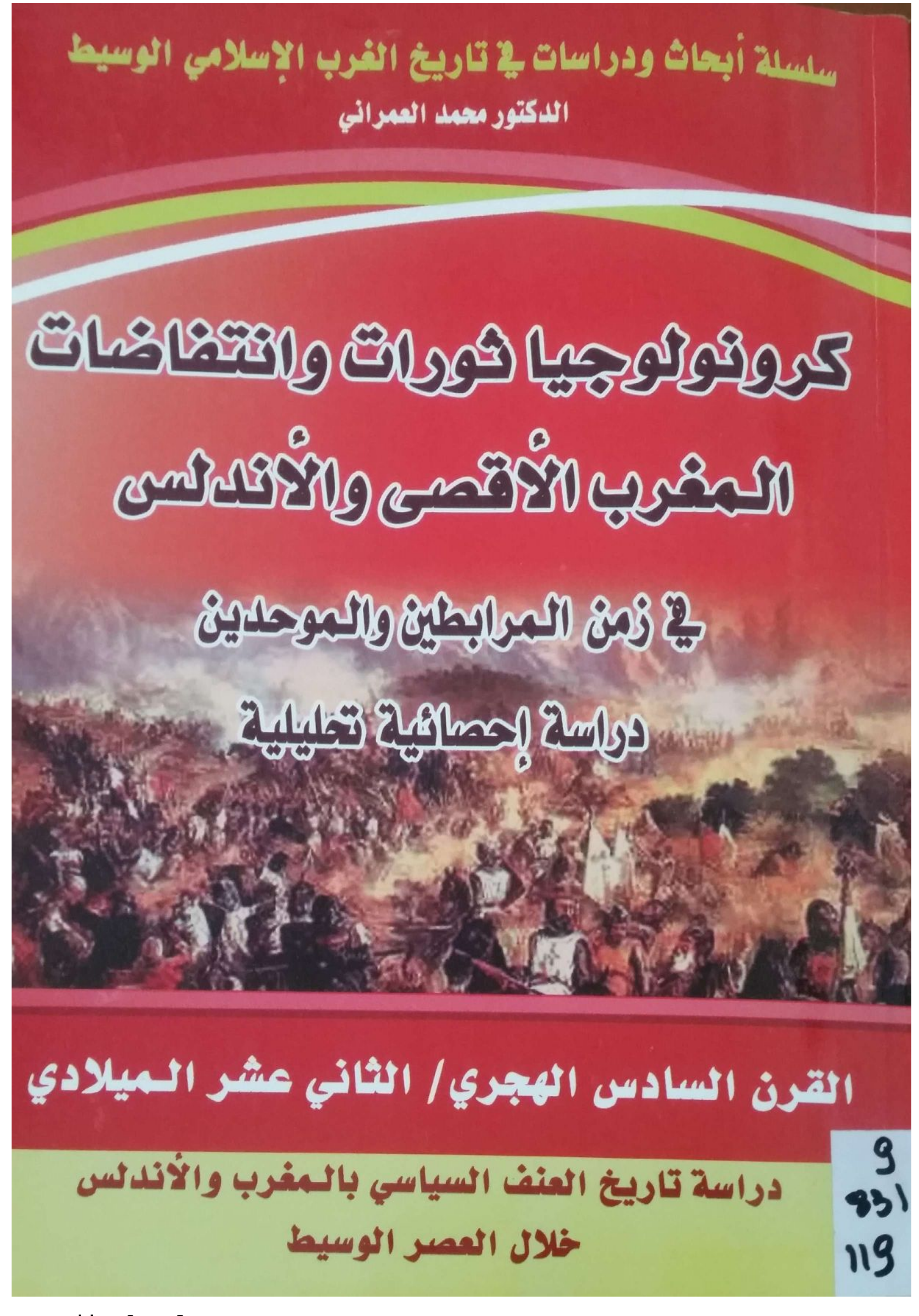

سلسلة أبحاث ودراسات في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط
الدكتور محمد العمراني
كرونولوجيا ثورات وانتفاضات
المغرب الأقصى والأندلس
في زمن المرابطين والموحدين
دراسة إحصائية تحليلية
القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي
دراسة تاريخ العنف السياسي بالمغرب والأندلس
خلال العصر الوسيط
9
831
119

سلسلة أبحاث ودراسات في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط

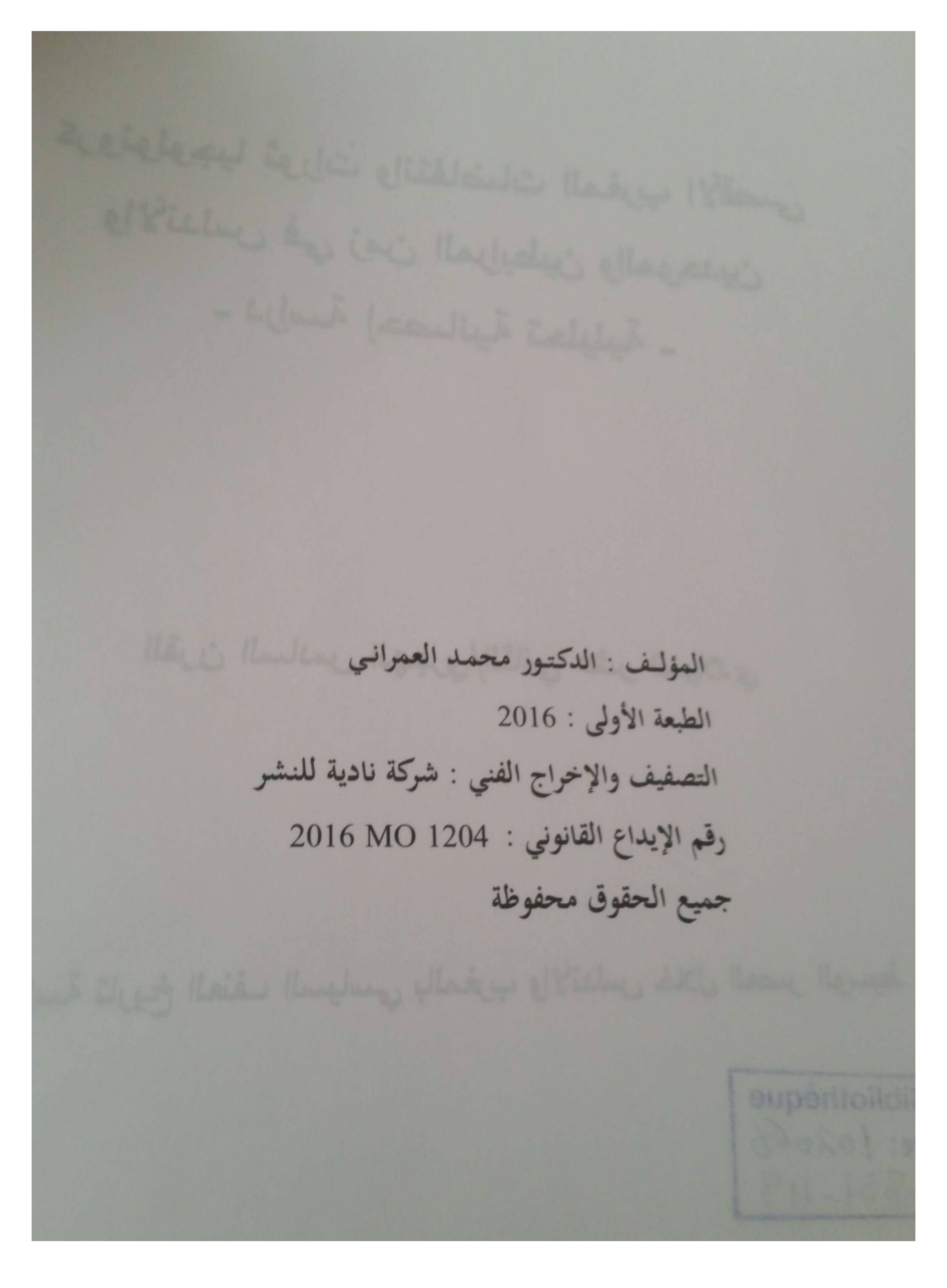
الدكتور محمد العمراني

كرونولوجيا ثورات وانتفاضات المغرب الأقصى والأندلس في زمن المرابطين والموحدين

- دراسة إحصائية تحليلية -

القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي

دراسة تاريخ العنف السياسي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط



المؤلف : الدكتور محمد العمراني

الطبعة الأولى : 2016

التصفيف والإخراج الفني : شركة نادية للنشر

رقم الإيداع القانوني : 2016 MO 1204

مقدمة :

يتناول هذا الكتاب موضوع الحركات الاجتماعية بالمغرب الأقصى والأندلس في زمن المرابطين والموحدين من زاوية الانتفاضة والثورة خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. فخلال هذه الفترة عرفت بلاد المغرب الأقصى والأندلس تحوّلا في مسارهما السياسي تمثّل في خضوعهما لسلطة مركزية واحدة، إذ كانت القرارات الحاسمة تصدر من عاصمة الدولة آنذاك مراكش إلى جميع جهات المغرب الأقصى والأندلس.

وقد ترتب عن ظهور هذه السلطة المركزية حضور الدولة ومؤسساتها من خلال تعميم التأطير الإداري والعسكري في المدن والمراكز الحضرية المتواجدة أحيانا داخل مجالات التمركز القبلي بالمغرب الأقصى والذي كان من نتائجه اضطرار بعض القبائل إلى التراجع عن جزء من مجالها مثل ما وقع لقبائل غمارة، أو اضطرار البعض الآخر إلى اقتسام خيرات مناطقها مع السلطة الحاكمة مثل ما حدث لأهل جبل "تاسررت" على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي.

كما فرض وجود سلطة مركزية كذلك على قبائل المغرب الأقصى الالتزام بأداء الضرائب بشكل قار ومنتظم، الشيء الذي كان يعتبر دخيلا عليها فكانت ترفضه مُعبّرة عن ذلك من خلال القيام بمجموعة من الانتفاضات والثورات.

أما بخصوص الأندلس، فرغم كونها خضعت سابقا لسلطة مركزية خلال فترة حكم الأمويين، سواء خلال عهد الإمارة أو الخلافة، فإن القرن السادس الهجري/12م عرفت فيه المنطقة ظروفا مغايرة عن سابقاتها ارتبطت أساسا بالتحولات التي عرفها الغرب المسيحي.

فقد قام هذا الأخير بتنظيم صفوفه من أجل القيام بحملات عسكرية خاصة بعد انتصار المرابطين في معركة الزلاقة عام 479هـ/1086م، وهذا ما أدى إلى

تطور مفهوم الجهاد عند أهل الأندلس والمغرب على السواء معا، والذي أصبح له مدلولا آخر يرتبط بالقوة البشرية الآتية من المغرب الأقصى.

إن هذه الظرفية الجديدة على الساحة الأندلسية جعلت من الجهاد ليس فقط واجبًا يخصّ السلطة الحاكمة، وإنما تحوّل إلى اهتمام شعبي وهاجس يومي بالنسبة للإنسان الأندلسي، والذي أصبح يحاسب الحكّام الجدد، مرابطين وموحدين، انطلاقا من مدى قيامهم أو عدم قيامهم بمهمة الدفاع عن الحدود الإسلامية لهذه المنطقة من الغرب الإسلامي. وبالمقابل كان أهل الأندلس مطالبين من طرف الحكام الجدد مرابطين وموحدين بالاستجابة للشروط الضرورية التي يفرضها هذا المشروع السياسي والعسكري الجديد بشبه الجزيرة، والمتمثل في الالتزام بالأداء الضريبي من أجل توفير الأموال اللازمة لخزينة الدولة حتى تضمن تمويل الحملات العسكرية بالأندلس.

غير أنه في حالة وجود تعسف جبائي، أو إرهاق على مستوى الأداء الضريبي كان السكان يواجهون ذلك بالقيام بمجموعة من الثورات والتمردات.

لذلك سيحاول هذا الكتاب تتبع هذه الأشكال المرتبطة بالعنف السياسي بالمغرب الأقصى والأندلس بطريقة كرونولوجية، واعتمادا على مادة مصدرية في معظمها وسيطية، سيتم تحليل هذه الثورات والانتفاضات من خلال توظيف أدوات إحصائية. وهو ما سيمكننا من الوقوف على بعض المؤشرات الدّالة، والتي ستساعدنا دون شك على تقديم تفسير للأسباب المسؤولة عن حدوث الانتفاضات والثورات وكل أشكال الاهتزازات السياسية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط.

الفصــل الأول :

كرونولوجيا ثورات وانتفاضات المغرب الأقصى والأندلس في زمن المرابطين والموحدين من خلال المصادر الوسيطية

المبحث 1 :
مطالبة إبراهيم بن أبي بكر بن عمر اللمتوني بالمُلك

لقد كان حدث مطالبة إبراهيم بن أبي بكر بن عمر اللمتوني باسترجاع سلطة الحُكم التي كانت بيد والده أبي بكر بن عمر، قبل أن يُفوّضها ليوسف بن تاشفين، هي أولى محاولات التمرد والثورة في المغرب الأقصى على عهد الدولة المرابطية.

وقد كانت الأسس التي اعتمد عليها هذا الزعيم اللمتوني في مطالبته بالمُلك تتمثّل في امتلاكه للشرعية السياسية باعتباره إبنا للأمير السابق الذي كان يقود الحركة المرابطية، ويتزعّم دولتها، قبل أن يضطر تحت ضغط ظروف سياسية وعسكرية للتنازل عن السلطة لابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين.

ولعل ما يُفسر مدى طموح إبراهيم بن أبي بكر في عزمه على المطالبة باسترجاع حق أسرته في الملك، هو إصراره على قطع مسافة كبيرة من الصحراء باتجاه عاصمة الدولة بمراكش وهو مدعّم من طرف مجموعات قبلية لمتونية، وذلك باعتبارها كانت تُشكل عصبية الدولة المرابطية الحاكمة. غير أن محاولات هذا الزعيم المرابطي باءت بالفشل نظرا لدهاء النخبة السياسية والعسكرية التي كان يتشكل منها محيط السلطة المرابطية بمراكش تحت قيادة يوسف بن تاشفين.

فقد استطاع هذا الأخير السيطرة على الموقف، وبفضل دهاء "مزدلي" أحد مستشاريه وقادته تمكن من امتصاص غضب الثائر وحوّل مشروعه السياسي من المطالبة بالملك إلى البحث عن امتيازات اقتصادية شخصية. ويتحدث ابن عذاري في بيانه عن هذه الوقائع والأحداث قائلا: «**وفي سنة تسع وستين وأربعمائة وصل إبراهيم بن أبي بكر بن عمر من الصحراء يطلب ملك أبيه، فنزل بخارج أغمات في خلق كثير من إخوانه لمتونة، فسمع بذلك أمير المسلمين فبعث إليه الأمير مزدلي فقال له "ما الذي تريد يا إبراهيم ؟" قال : "اطلب ملك أبي الذي عصبنا فيه**

عمي يوسف" قال مزدلي : "إن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء، والله تعالى قد خصّ هذا الرجل بالملك دوننا، فإن كنت عاقلا فاطلب منه أن يعينك بمال وخيل ترجع بها إلى بلدك، وإن طلبت غير هذا أخاف أن يجعل على رجلك قيدًا ويحبسك عنده عبدًا، وما قلت لك ذلك إلا بوجه الشفقة عليك" فقال له : "يا عمي مزدلي – رضي الله عنك– عسى أن تجتمع معه في أمري وتُبَيِّن له حالي" وكان الأمير مزدلي حسن السياسة صحيح المذهب عارفاً بخدمة الملوك، فهدن إبراهيم المذكور وقال له : "أقم في موضعك حتى آتيك بكل ما يرضيك" فانصرف عنه ووصل إلى الأمير يوسف بن تاشفين فحسن كلامه إليه وأنعم الأمير يوسف عليه بمال وخيل وكسى وغير ذلك بعدما بولغ في كرامته وضيافته، واحتمل له ذلك مزدلي، فشكره الولد على ذلك وانصرف عنه من هنالك، ولم يجتمع بالأمير يوسف ولا رآه وانصرف إلى الصحراء وبقي بها إلى أن مات».

المبحث 2 :
ثورة ابن الزنر بمنطقة غمارة

جاءت ردود فعل الغماريين في فترات مبكرة من قيام الدولة المرابطية، وذلك منذ عهد يوسف بن تاشفين حيث يخبرنا ابن عذاري عن قيام شخص يعرف بـ "ابن الزنر"[1]. غير أن صاحب البيان المغرب لا يحدّثنا عن أسباب ظهور هذا الثائر، ومع ذلك تسمح لنا بعض مؤشرات سياق النص من القول أن قيامه على المرابطين كان من أجل تحقيق أهداف سياسة واضحة. ذلك أنه استند في ثورته على ادعاء أنه ابن معنصر الزناتي[2]، الذي كان "حاكما على مدينة فاس" قبل قيام دولة المرابطين بالمغرب الأقصى، فاللجوء إلى هذا الادعاء كان بمثابة وسيلة لحصول "ابن الزنر" على المشروعية السياسية التي تسمح له بإعلان تمرّده وثورته ضد السلطة الشرعية[3].

وتكمن الأسس المرجعية لهذا الرأي فيما قدّمته لنا النصوص المصدرية من إشارات تفيد بأن ابن معنصر الزناتي قد سبق له أن واجه الجيوش المرابطية التي كانت تريد السيطرة على فاس، حيث ظل "...**يحارب لمتونة إلى أن اشتد عليه الأمر وعظمت الحروب في بعض الوقائع ففقد، فلا يدري ما فعل الله به وذلك في**

1– ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق ومراجعة الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1980، ص. 58.

2– حول ابن معنصر الزناتي راجع : ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص. 255، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوارقة، الرباط، 1973، ص. 112-113.

3– إن الثورة على المرابطين كانت تفرض بالضرورة الاستناد على مشروعية دينية وسياسية، خصوصا وأن هذه الثورة جاءت بعد معركة الزلاقة، التي أخذ فيها يوسف بن تاشفين مشروعية الحكم محليا، من خلال بيعة المغاربة والأندلسيين، وكذا على صعيد العالم الإسلامي بمباركة الخليفة العباسي وفقهاء المسلمين آنذاك ومن أبرزهم الغزالي والطرطوشي، وقد تم إرسال مجموعة من الرسائل في هذا الصدد إلى يوسف بن تاشفين، وقد تم نشرها وتحقيقها بعناية الدكتورة عصمت دندش. د.عصمت دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، 430-515هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988، ص. 171-217.

سنة ستين وأربعمائة"[4]. فهل يمكن القول بأن هذا الزعيم القائم بغمارة، حاول استغلال هذه الرواية في اختفاء "ابن معنصر" قصد استمالة الأتباع من قبائل غمارة وضمهم إلى صفوف حركته؟

من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، نظرا لأن رواية البيان لا تفيدنا بدقة حول العناصر التي شكلت دعامة لثورته، فقد تحدث ابن عذاري عن قيامه ببلاد غمارة دون أن يخبرنا عن العصبية المساندة له بشكل واضح[5].

فهل يمكن تفسير ذلك بظهور محاولة زناتية للوصل إلى السلطة، وأنها لجأت إلى منطقة جبال غمارة مستغلة في ذلك حصانة موقعها من جهة، وتذمر قبائلها، من جراء ضيق مجالها بفعل الاستقرار القبلي اللمتوني على حساب أراضيها الفلاحية من جهة أخرى؟

فما يمكن قوله اعتمادا على رواية البيان، أن تأييد قبائل غمارة لهذا الثائر كان منذ بداية انتفاضته على سلطة المرابطين، غير أن حدوث المواجهات العسكرية بين الثائر وجماعته من جهة، والجيش المرابطي من جهة أخرى، قد وضع حدا لمساندة قبائل غمارة لهذه الثورة خصوصا بعدما تم اغتيال عدد مهم من أصحابه من طرف الجيش المرابطي[6].

ولعل ما يفسر خطورة هذه الثورة هو استعمال كل الوسائل لإجهاضها واستئصال شأفتها، فقد تم استعمال القوة العسكرية كما لجأت الدولة إلى إغداق الأموال على قبائل غمارة للفتك بالثائر[7]، وقد تجسدت هذه الخطورة كذلك من خلال اهتمام الأمير يوسف بن تاشفين شخصيا بالقضاء عليها وتصفية زعيمها[8].

---

[4]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. 112-113.

[5]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص. 58.

[6]- ابن عذاري، البيان، ج4، ص. 58.

[7]- البيان، ج4، ص. 58.

[8]- البيان، ج4، ص. 58.

إن هذه اليقظة والتتبع من طرف القيادة المرابطية هو ما يدفع بنا إلى طرح التساؤل التالي: هل كانت الدولة المرابطية تشك في استمرارية وجود خطر القبائل الزناتية؟ أم أن اندلاع الثورة في بلاد غمارة هو ما كان يشكل خطرا على نظام الدولة ويهدد كيانها السياسي؟

إن كلا الاحتمالين وارد، ذلك أن ابن عذاري يخبرنا أن ثائرًا آخر قام بعد ذلك على المرابطين ويعرف بـ "ماخوخ الزناتي" بناحية تلمسان حيث "**اختط بلدا لنفسه فخرج إليه يوسف بن تاشفين، وفر أمامه، وخرج من بلاده**"[9]، وهذا ما يؤكد على أن المسألة الزناتية لم يتم حسمها بعد من طرف الجهاز الحاكم، ومن ثَمَّ تتجلى لنا مدى خطورة ثائر بلاد غمارة على مستوى زعزعة أمن واستقرار الدولة المرابطية.

أما بخصوص التساؤل الثاني، فلا نستبعد مدى تخوف السلطة المرابطية من وجود الثورة في بلاد غمارة، خصوصا إذا علمنا أن قيامها صادف اهتمام الأمير المرابطي بإنجاز مشاريع معمارية في مدينة سبتة، مثل تشييد جامعها الذي زاد فيه حتى أشرف على البحر على حد قول صاحب البيان[10]، كما سبق تأسيس هذا الجامع بناء إحدى أسوار ميناء هذه المدينة[11].

ويمكن القول أن تنفيذ هذه المنجزات المعمارية حتى ولو أنها لم تكن قد قامت باستغلال اليد العاملة الغمارية، فإنها تكون على الأقل قد استغلت أخشاب غاباتها، مما جعل المنطقة تشهد ضغطا كبيرا للجيوش المترددة على جبالها، وهذا من شأنه أن يحدث توتُّرًا بالمنطقة ويؤدي إلى ظهور ردود فعل غمارية تجاه السلطة المرابطية تمّ التعبير عنها من خلال انتفاضة قبائل المنطقة ومساندتها للثائر المعروف "بابن الزنر".

9– ابن عذاري، البيان، ج4، ص. 58.
10– البيان، ج4، ص. 58.
11– البيان، ج4، ص. 58.

المبحث 3 :

انشقاق في صفوف السلطة المرابطية

أو حركة عصيان في البيت الحاكم بقرطبة عام 500هـ/1106م

إن أول تمرد سياسي عرفته قرطبة المرابطية جاء مع بداية تقلد الأمير "علي بن يوسف" السلطة عام 500هـ/1106م، وقد تم ذلك في شكل ردود فعل ضد بيعة الأمير الجديد حيث تزعم المعارضة أحد الأفراد من العصبية الصنهاجية، وهو "أبو عبد الله محمد بن الحاج داود اللمتوني"، الذي كان واليا على قرطبة، فامتنع عن تقديم البيعة عام 500هـ/1106م[12]، ولم يكن خروج هذا الوالي موقفا انفراديا، وإنما اعتمد فيه على نخبة من سكان قرطبة ممثلين في مشيختها وفقهائها[13].

إن هذا العصيان لم يستمر طويلا، إذ سرعان ما تم القبض على "ابن الحاج"، وإقالته من منصبه، إلا أن النكبة لم تدم طويلا حيث تمّ العفو عنه، وولاه "علي بن يوسف" على مدينة فاس وما إليها من أعمال المغرب على حد تعبير "ابن الأبار "[14].

ويستفاد من رواية صاحب المعجم أن "ابن الحاج" لم يكن المسؤول الوحيد عن تدبير هذا التمرد وإنما كان ذلك بتواطئ مع أخيه وقومه[15].

12– ابن الأبار، "المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي"، دار صادر، بيروت، دون تاريخ الطبع، ص.133-134.

13– نفس المصدر والصفحة.

14– نفس المصدر والصفحة، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.158.

15– لقد ذكر ابن الأبار بأن "علي بن يوسف" قد رضي في مرحلة لاحقة عن ابن الحاج وأخيه وقومه، وهذا يدل على اتفاقهم ومساندتهم لوالي المدينة. ابن الأبار، المعجم، مصدر سابق، ص.134.

المبحث الرابع 4 :

ثورة والي غرناطة "أبي بكر بن إبراهيم" عام 500هـ/1106م

كان قيام أول ثورة بمدينة غرناطة قد حدث خلال الفترة المرابطية عام 500هـ، وذلك حسب ما جاء في سياق رواية "الملاحي"، التي أوردها ابن الخطيب في إحاطته، إذ ذكر أن والي غرناطة "أبا بكر بن إبراهيم" ثار بها وانبرى على قومه لأمر رابه[16].

ولم تحدثنا الرواية عن أسباب قيام هذه الثورة وظروفها، غير أن سياق النص يظهر بأن قيام الوالي كان يستهدف جماعة من الأسرة المرابطية، إذ شك في أمر من جهتهم فعارضهم[17]. وهذا ما أدى به إلى الابتعاد عن أهله، فاضطروا لمحاربته، واستنزلوه، وقبضوا عليه، ووجهوه إلى "علي بن يوسف"، فآثر الإبقاء عليه، وعفا عنه واستعمله بسرقسطة على حد تعبير الملاحي[18].

16– ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1973، ص.407. ويشير ابن عطية في فهرسه إلى وجود مشكل بغرناطة خلال هذه الفترة، لكن دون أن يعطينا تفاصيل عن ذلك عند حديثه عن الفقيه أبي عبد الله بن حمدين حيث ذكر بأنه لقيه "بغرناطة – حرسها الله– سنة خمسمائة، قدمها لإصلاح في أمر الخلاف الكائن سنة خمسمائة...". ابن عطية، فهرسة ابن عطية، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1980، ص.85.

17– ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، م.س، ص.407.

18– ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، م.س، ص.407-408.

المبحث 5 :
انتفاضة ميورقة[19] ضد المرابطين ما بعد سنة 508هـ/1114م

ذلك أن ظهور هذه الثورة تم خلال السنتين الأوليتين من خضوع "ميورقة" إلى السلطة المركزية المرابطية[20]، وهذا يعني أن المؤسسات السياسية والإدارية المرابطية لم تتجدر بعد بهذه المدينة، وبالتالي يكون من الصعب الخروج باستنتاجات تلامس حقيقة الأمر، ولعل ذلك هو ما يفسر قلة الإشارات المصدرية حول هذه الثورة، وكذا غياب تاريخ محدد ودقيق لهذه الوقائع، بالإضافة إلى الاختلاف في ذكر الأسماء بين الروايات القليلة المتواجدة في النصوص المصدرية.

فكيف تقدم لنا المصادر وقائع هذه الثورة؟

يذكر ابن عذاري أنه «**كان دخول النصارى ميوروقة على ناصر الدولة مبشر الصقلبي[21] مولى ابن مجاهد[22] في سنة ثمان وخمسمائة [هجرية] ثم**

19– هي جزيرة من بين الجزر الثلاثة التي تكون الجزائر الشرقية: ميورقة، منورقة ويابسة. يقول عنها "صاحب المغرب "**أنها من أخصب بلاد الله بها حصون، وقاعدتها مدينة ميورقة بالجهة القبلية من الجزيرة، وتدخلها ساقية جارية على الدوام وواد شتوي يشق المدينة**"، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، طبعة ثالثة، 1980، ص.466.

20– ذكر صاحب المغرب في حلى المغرب على أن أول من فتح الجزيرة من أيدي النصارى هو عبد الله بن موسى بن نصير في حين أشار ابن خلدون أن من فتحها هو "عصام الخولاني" سنة 290هـ/903م وذلك إبان عصر الإمارة الأموية بالأندلس في فترة حكم الأمير "عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم". وملكها في فترة ملوك الطوائف "مجاهد العامري" ولما مات غلب عليها مولاه المرتضى أغلب وكان واليه عليها ثم مات ووليها مبشر ناصر الدولة ولم يخلعه المرابطون وبعد وفاته صارت الجزيرة لهم سنة 508هـ/1114-1115م. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص.466-467، ابن القطان، نظم الجمان، لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق الدكتور محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990، ص.75، ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992، ص.196-198.

21– هو من أهل قلعة حمير من أعمال لاردة بالأندلس، وأسره النصارى في صباه وعاش في برشلونه فتم تحريره وعتقه من قبل سفير المرتضى وأخذه إلى ميورقة وقدمه إلى المرتضى الذي كان حاكما بالجزائر الشرقية حيث خلفه في الإمارة بعد وفاته حيث ضبط شؤون ميورقة بحزم واتخذ لقب ناصر الدولة. محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960، ص.201-202.

22– هو علي بن مجاهد صاحب دانية والجزائر الشرقية. حول هذه الشخصية يراجع: عنان، دول الطوائف، م.س، ص.183-197.

استفتحها المرابطون ودخلها وانودين بن سير[23] من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فبقي بها ثلاثة أشهر، ثم وليها من بعده أبو بكر تكرطات، ثم وليها من بعده يابور بن محمد، فقامت عليه الرعية وقتلوه. ثم وليها أبو بكر بن علي بن ورقا فمات بها، ثم وليها محمد بن غانية المسوفي حتى مات مقتولا...»[24]. أما الرواية الثانية فيقدمها ابن خلدون في النص التالي: «...-أي **مبشر- يردد الغزو إلى أرض العدو إلى أن جمع طاغية برشلونه الجموع، ونازله بميورقة عشرة أشهر. ثم افتتحها واستباحها سنة من ولايته. وكان بعث بالصريخ إلى علي بن يوسف صاحب المغرب من لمتونة فلم يوافهم الأسطول بالمدد إلا بعد استيلاء العدو. فلما وصل الأسطول دفعوا العدو عنها وولي علي بن يوسف من قبله أنور بن أبي بكر اللمتوني فعسف بهم، وأرادهم على بناء مدينة أخرى بعيدة من البحر فثاروا به وصفدوه، وبعثوا إلى علي بن يوسف فردهم إلى ولاية محمد بن علي بن إسحاق بن غانية المستولي صاحب غرب الأندلس فبعث إليها أخاه محمد بن علي من قرطبة، كان واليا عليها فوصل إلى ميورقة فصفد أنور، وبعث به إلى مراكش، وأقام في ولايتها عشر سنين إلى أن هلك أخوه يحيى وسلطانهم "علي بن يوسف"...»**[25].

فرغم الاختلاف الحاصل بين المعطيات المصدرية المشار إليها آنفا، ورغم التناقض الذي يطبعها، فإن الذي يهمنا أساسا، هو البحث عن العوامل المفسرة لقيام هذه الثورة. فمن خلال نص ابن عذاري لا تظهر لنا الأسباب التي أدت إلى اندلاع انتفاضة ساكنة ميورقة، وكل ما نستخلصه من مؤشرات في هذا الصدد هو أن هذا

23– هو وانور أبي بكر اللمتوني. عنان، دول الطوائف، م.س، ص.209.

24– ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق جماعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1985، ص.239.

25– ابن خلدون، العبر، ج4، ص.198، والخطوط الموجودة تحت بعض الجمل هي من وضعي.

التمرد حدث في فترة قصيرة من خضوع هذه الجزيرة فعليا للسلطة المرابطية[26]. أما رواية العبر فإنها تقدم لنا الجواب بشكل صريح عندما ذكرت بأن السكان ثاروا على الوالي "أنور بن أبي بكر اللمتوني" عندما أرغمهم على بناء مدينة أخرى بعيدة عن البحر[27].

وبذلك يكون السبب في ظهور هذه الثورة حسب ابن خلدون يتعلق بموقف الميورقيين من تعسف الوالي الذي طالبهم ببناء مدينة جديدة. فهذا البناء هو ما سينظر إليه أهل ميورقة كعبئ عليهم من خلال فرض ضرائب جديدة على السكان وإثقال كاهلهم بالكُلف والجبايات، في وقت كانوا لا يزالون خلاله يُعانون من تأثير الأزمات النفسية والاقتصادية التي ترتّبت عن حصار النصارى وهجومهم على جزيرة ميورقة.

وفي هذا السياق يأتي الوصف الدقيق لابن القطان حول هذا الغزو النصراني في النص التالي قائلا: «**وهجوم الروم على ميورقة ودخولهم إياها عنوة، وقتلهم من فيها، وسبيهم أهلها، واحتوائهم على جميع ما فيها بعد حصار شديد**»[28].

لقد كانت ثورة السكان بهذه الجزيرة بمثابة احتجاج ضد تدهور الأوضاع الاقتصادية المزرية التي خلفها الهجوم النصراني[29] من جهة، وفي الوقت نفسه كانت بمثابة رد فعل ضد أسلوب العنف الذي مارسه الوالي لإرغام السكان على

26- أي أقل من سنتين من تبعية هذه الجزيرة للمرابطين.

27- ابن خلدون، العبر، ج4، ص.198.

28- ابن القطان، نظم الجمان، ص.75. ويشير محمود علي مكي اعتمادا على الرواية النصرانية، أن هذا الهجوم قد شاركت فيه إمارة برشلونة وسكان بيزا وجنوة. غير أن إشارة صاحب نظم الجمان والبيان لا تحدد الأطراف التي ساهمت في هذا الهجوم مكتفية بذكر اسم "النصارى" كما هو الشأن بالنسبة لرواية البيان و"الروم" حسب رواية "نظم الجُمان"، بينما أشار ابن خلدون في رواية إلى الجنويين، وفي رواية أخرى إلى "طاغية برشلونة". كما تم الاختلاف في التأريخ لهذا الهجوم، ففي الوقت الذي ذكر فيه ابن القطان وابن عذاري والحميري أن ذلك الهجوم حدث سنة 508هـ/1114م يشير ابن خلدون إلى وقوعه في سنة 509هـ/1115م. ابن القطان، نظم الجمان، ص.75، ابن خلدون، العبر، ج4، ص.198، و ج6، ص.223، ابن عذاري، البيان قسم الموحدين، ص.239، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984، ص.567.

29- فقد أشار ابن القطان بأن النصارى أخذوا جميع ما فيها بعد حصار شديد. ابن القطان، نظم الجمان، ص.75.

القيام ببناء مدينة أخرى من جهة ثانية، خصوصا وأن الميورقيين عاشوا فترة مهمة في ظل نظام سياسي عادل ومنصف تحت سيادة "مبشر ناصر الدولة" الذي قال عنه صاحب المغرب «**فدام بها ملكه، وأحسن التدبير، وقصده الفضلاء...**»[30].

كما قد يكون السبب في قيام سكان ميورقة بثورتهم، هو رفضهم تغيير نمط عيشهم، باعتبار أن تأسيس مدينة جديدة بعيدة عن البحر، يفرض عليهم تغيير نمط حياتهم الاقتصادية المرتبطة بأنشطة البحر، خصوصا على مستوى الصيد البحري، أو الاستفادة من عائدات التجارة بالبحر الرومي (البحر المتوسط).

ويمكن القول كذلك أن الثورة جاءت كرد فعل الميورقيين ضد تظلم السلطة المحلية تجاه الرعية، وهذا ما عبرت عنه الرسالة التي بعث بها الأمير "علي بن يوسف" قصد تعيين الوالي الجديد على "ميورقة"، عندما نعتت "ابن أبي السداد" «**بالسّفيه المعتوه الذي عمل على إيحاش الميورقيين وترويعهم**»[31].

لذلك كانت توصية الأمير المرابطي "علي بن يوسف" للوالي الجديد بضرورة تطبيق العدل كما هو وارد في النص التالي: «**وحسِّن في أهل تلك الجزائر -جبّرهم الله- سيرتك، وأخْلِصْ في النُّصْحِ لهم والرّفق بهم سريرتك، وأكِّد في إيثار العدل فيهم وسلوك طريق الحق بهم بصيرتك، وسكِّن بِلَيْنِ الكلمة وحُسْنِ النصفة أحوالهم، وارْفَعْ بِحَزْمِكَ وعَزْمِكَ في ضبط البلد أوجالهم...**»[32].

إن أسباب هذا التمرد من المنظور الرسمي تعود، إلى من أُسْنِدَت له أمور المدينة، والتي كان من المفروض أن يتولاها «**من يصلح من أعيان الرجال، فإنها بلدة كبيرة تحتاج إلى من يسوق أمرها، ويحوط أهلها...**»[33].

30- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص.467.

31- محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1959-1960، ص.186.

32- محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة، م.س، ص.185.

33- محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة، م.س، ص.185.

إن مصير هذه الثورة، هو ما يحدد درجة خطورتها وحدتها، فهي انتهت بفرض قرار الثوار سواء من خلال عدم الامتثال لقرار الوالي المرابطي في بناء مدينة جديدة، أو على مستوى جعل حد لممارسته الحكم بهذه الجزيرة[34]. كما أن هذه الثورة خلقت لدى المسؤولين المرابطين إحساسا بأهمية هذه الجزيرة وغيرها من الجزائر الشرقية، ولعل ذلك هو ما عبّرت عنه رسالة الأمير علي بن يوسف عندما قرر تعيين الوالي الجديد على ميورقة[35].

ويتجلى عنف هذه الثورة كذلك في الموقف الرسمي المرابطي عندما توجه "علي بن يوسف" بخطاب يتسم بالليونة تجاه سكان هذه الجزيرة التي تم اعتبارها منذ ذلك التاريخ جزءا لا يمكن فصله عن باقي أجزاء الأندلس المرابطية حيث أصبح التعامل مع مشاكلها في سياق سياسة الجهاد المرابطية بالحوض الغربي للبحر المتوسط.

34– سواء تعلق الأمر برواية البيان التي تتحدث عن اغتيال الوالي من قبل الثوار، أو بعزله من منصبه من خلال إرساله إلى مراكش بعد حصولهم على موافقة الأمير علي بن يوسف. ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.239، ابن خلدون، العبر، ج4، ص.198.

35– فقد جاء فيها: "**وغرضنا كان أن نولي عليها من يصلح من أعيان الرجال، فإنها بلدة كبيرة تحتاج إلى من يسوق أمرها، ويحوط أهلها...**". محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة، م.س، ص.185.

المبحث 6 :
اهتزازات سياسية ببلاد غمارة ضد المرابطين بالمغرب الأقصى ما بين 512-514هـ/1118-1121م

ذلك أن صاحب أخبار المهدي يخبرنا بأنه في الوقت الذي كان فيه الزعيم المذهبي للحركة الموحدية "محمد بن تومرت" بمدينة فاس قامت في بلاد غمارة ثورة تزعمها بعض أشياخ هذه القبائل[36]، إلا أن هذه الرواية لم تُخبرنا عن سبب ظهور انتفاضتهم سوى ما ذكرته بخصوص "ينالو" الذي كان يومئذ "**سلطان الغرب، وكان يسكن بني تاودة فخرج في ذلك الوقت ينالو لغمارة، وكان فيهم أقوام مخالفون عليه، فخرج إليهم ينالو وقتل منهم ثلاثة أشياخ: يكساس، وحيان، وسحنون، ثم قتل لجاية وساق رؤوسهم وعلقها في باب السلسلة وأتى بغنائمهم**"[37].

ولا يمكن فهم أسباب هذه الثورة إلا في سياق الأحداث التي كانت تعرفها بلاد المغرب والأندلس خلال تلك الفترة، ذلك أن اندلاعها قد صادف عودة محمد بن تومرت من رحلته المشرقية وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[38].

36- البيذق، أخبار المهدي، ص. 24.

37- البيذق، أخبار المهدي، ص. 24.

38- حول هذه العودة إلى بلاد المغرب الأقصى وإلى حدود مغادرة المهدي بن تومرت لمدينة مراكش انظر: البيذق، أخبار المهدي، ص. 20-29.

المبحث 7 :
ثورة قرطبة بالأندلس المرابطية بين تأطير الفقهاء وغضب العامة سنة 514هـ/1120م

إن أول إشارة عن هذه الثورة نجدها عند "القاضي عياض" في ترجمته للقاضي أبي الوليد بن رشد الجد[39]، غير أن صاحب "الغنية" لا يقدم لنا تفاصيل عن أحداثها، بينما تعطينا الرواية المشرقية معلومات في غاية الأهمية حول أسباب تحرك أهل قرطبة في النص التالي : **«في هذه السنة -أي 513هـ- وقبل سنة أربع عشرة كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين علي بن يوسف وبين أهل قرطبة. وسببها أن أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الأضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد أبي بكر يده إلى امرأة فأمسكها فاستغاثت بالمسلمين فأغاثوها. فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق. فأدركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر إلى الأمير أبي بكر فاجتمع إليه الفقهاء والأعيان. فقالوا المصلحة أن تقتل واحدا من العبيد الذين أثاروا الفتنة فأنكر ذلك وغضب منه وأصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد. فركب الفقهاء والأعيان والشبان من أهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا إليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب. فنهبوا القصر وأحرقوا دور المرابطين ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة...»**[40].

وأشار "النويري" إلى نفس رواية صاحب الكامل دون أن يحيل عليه[41]، أما "ابن القطان" فقد تحدث عن هذه الثورة بشكل مقتضب دون أن يعطينا أسباب

39- القاضي عياض، "الغنية"، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1982، ص.54.

40- ابن الأثير، "الكامل في التاريخ"، ج8، دار الفكر، بيروت، 1978، ص.290.

41- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق الدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984، ص.391-392.

قيامها[42]. ويخبرنا صاحب "الحلل الموشية" بوقائع هذه الثورة لكن دون تقديم عوامل اندلاعها[43]، غير أن ابن عذاري ينفرد برواية أخرى عن أسباب هذه الثورة عندما أخبرنا أنه في سنة 514هـ/1120-1121م : «**نفذ أمر أمير المسلمين إلى البلاد الأندلسية، بإحياء المجانيق والآلات الحربية، فلما كمل منه المختص بغرناطة، خرج لمشاهدة التجربة لها والرامي بها أجداي بن سير اللمتوني صاحب الأعنة، فتزاحم هناك الجم الغفير، فرام الفسحة، وأشار برسيخ كان في يده فأصاب صبيا في مقتله فقضى لوقته، وانفض اللفيف، وتهرجت البلدة. فاسترضى ولي الدم بدفع الدية، فسكنت الثورة، وأمهل الله القاتل ثم أخذه. ولما كمل ما أنشئ منها بقرطبة، وقد جاء عيد النحر، فخرج ثانية عامل البلدة لمشاهدة التجربة، وقد أقبل السواد الأعظم الذي لا يطاق، بمجمع حضور العيد، وحضور كل ذاعر وناعق، من كل حذب وشاهق، فكثر التدافع والتزاحم، وداهم الحشم، فكثر بينهم التزاحم، وأقبل لفيف الربض الغربي، فالتقى بأسهم على القصر، ورام صاحبه المدافعة بحشمه وخدمه فغلبوا، واقتحم القصر عليه (وانتهب) جميع ما فيه، وخرج هو فارا بنفسه، وركب القاضي أبو الوليد بن رشد في أعلام الفقهاء، فردع العامة، وقمع السفلة**»[44].

ورغم اختلاف الروايتين حول أسباب هذه الانتفاضة التي عرفتها قرطبة، فإنهما يتفقان حول نتائجها، والمتمثلة في حدوث مواجهة بين أهالي قرطبة من جهة، والجيش المرابطي من جهة أخرى.

42– ابن القطان، "نظم الجمان"، ص.78.

43– مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1979، ص.86-87.

44– إن هذا النص غير موجود في الجزء الذي نشره "إحسان عباس" وقد أخذناه عن عبد الله عنان الذي اعتمد على مخطوط القرويين. محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، 1964، ج1، ص.82.

المبحث 8 :
ثورة المعاهدين النصارى بغرناطة، أو إجهاض محاولة انفصالية عن السلطة المرابطية بالأندلس عام 519هـ/1125-1126م

يعتبر هذا الحدث الذي عرفته غرناطة خلال الفترة المرابطية إحدى أهم حلقات الثورة والتمرد في ظل السيادة اللمتونية وتمَثَّلَ في وجود محاولة للاستقلال والانفصال عن السلطة الإسلامية، وليس فقط مجرد الثورة على الحكام المرابطين حيث كان المعاهدون النصارى طرفا أساسيا في تحريك هذه الاهتزازات السياسية بضاحية غرناطة عام 519هـ/1125-1126م[45].

وقد زوّدتنا معظم المصادر المغربية والأندلسية بمعلومات في غاية الأهمية حول هذه الوقائع، وخاصة منها الإحاطة لابن الخطيب و "الحلل الموشية" لمؤلف مجهول والبيان المغرب لابن عذاري. وتكمن أهمية هذه المصادر في كونها احتفظت لنا برواية معاصرة "لأبي بكر الصيرفي"، صاحب كتاب "الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية"، وتبرز أهميته باعتباره أحد سكان غرناطة خلال الفترة المدروسة.

ويتضح من خلال الرجوع إلى المصادر التي أرخت لهذه الواقعة، أنها ركزت على غنى "غرناطة" من الناحية الفلاحية، إذ كان المعاهدون النصارى يقومون

45- ابن عذاري، البيان، ج4، ص.69-70، ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص.108-110، مجهول، الحلل الموشية، ص.93-94.

Lagardere (V), Communautés Mozarabes et pouvoir al Moravide en 519 H/1125 en Andalus, Studia Islamica, LXVII, 1988, pp.99-119.

Guichard (P), L'Espagne et la Sicile Musulmanes aux XLe et XLLe siècles, Presse Universitaire de Lyon, 1990, pp.154-157.

Lagardere (V), Campagnes et Paysans d'Al andalus, Maisonneuve et la rose, Paris, 1993, p.42.

محمود علي مكي، "وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين"، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1959-1960، ص.123-126، ص.167.

باستغلال بعض أراضيها الزراعية. فقد يكون حرص هؤلاء المعاهدون على استمرارية الملكية العقارية لهذه الأراضي في يدهم، دافعا قويا وراء البحث عن مساندة خارجية، حتى ولو أدى بهم الأمر إلى نقض معاهدة الذمة بينهم وبين المسلمين بالأندلس[46]. كما لا يستبعد أن يكون نصارى غرناطة قد تخوفوا من سطو السلطة المرابطية على أراضيهم، خصوصا بعدما تم ترويج بعض الأخبار حول محاولة إعادة النظر في الممتلكات التي قامت الدولة ببيعها سابقا[47]. وبالتالي يكون موقف هؤلاء النصارى نابعا من هذا المنطلق، خصوصا وأن لديهم مرجعية في ذلك عندما قام "يوسف بن تاشفين" بهدم كنيستهم عملا بمشورة الفقهاء. فهؤلاء العلماء كانوا لا يرون مانعا في حل مشكل الدولة المالي على حساب النصارى المعاهدين. فرغم أن المصادر لا تسعفنا في تأكيد ما ذهبنا إليه، إلا أنها تسمح لنا بالخروج ببعض الاستنتاجات تسير في نفس هذا السياق. فالنصوص التي أشارت إلى التحرك النصراني عام 519هـ/1125-1126م[48] لم تعزله عن دور فقهاء الدولة المرابطية، وذكرت الإشارات المصدرية بأن هذا الحدث قد أجبر الفقيه القرطبي "ابن رشد" الجد على الذهاب إلى مراكش للقاء "علي بن يوسف"، وأفتاه في أمر تغريب المعاهدين النصارى من الأندلس حيث تم تهجيرهم إلى مكناسة وسلا وغيرهما[49].

46- حول "المعاهدون"، و"معاهدة الذمة"، بالأندلس يراجع: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، هامش 2، ص.106-107، عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني: 510هـ-546هـ/1116-1151م، تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص.249-256.

47 -Lagardere (V), Campagnes d'Al Andalus, pp.40-43.

48- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص.113، مجهول، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1979، ص.90، ابن عذاري، البيان، المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، دار الثقافة، بيروت، 1980، تحقيق إحسان عباس، ص.72-73.

49- مجهول، الحلل الموشية، ص.90.

فمهما بلغت خطورة حادث معاهدي غرناطة، فإنه لا يمكن أن يكون سببا كافيا لقيام ابن رشد الجد بمشاق الرحلة من قرطبة إلى مراكش، قصد تفصيل أخبار الحادث وإصدار الفتوى، خصوصا وأن الأمير "تميم" سبق له أن لجأ إلى محاولة تأديب نصارى غرناطة وقام بسجنهم عندما ثبتت لديه خيانتهم ودورهم في تمهيد الطريق "لابن رذمير" قصد السيطرة على غرناطة[50].

غير أن حادث غرناطة كان فرصة مناسبة للفقيه القرطبي من أجل إقناع السلطة المركزية المرابطية على استصدار قرار بخصوص التعجيل بتهجير نصارى الأندلس إلى المغرب.

إن ما قام به نصارى غرناطة شكّل خطرا كبيرا على السلطة المرابطية التي اضطرت إلى خوض معركة الجهاد داخل مجالها السياسي.

---

[50]– ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973، ج1، م.س، ص.110، مجهول، الحلل الموشية، م.س، ص.93.

المبحث 9 :

قيام ثائر ريف سبتة بالمغرب الأقصى خلال العصر المرابطي عام 520هـ/1126-1127م

يتحدث ابن عذاري عن أحداث هذه الثورة اعتمادا على رواية ابن حمادة الذي ذكر أن رجلا قام في حصن "كركال" بريف سبتة مُدّعيا بأنه الخضر[51]. ويتضح أن هذا الثائر أراد الحصول على ثقة الناس به من أجل القيام بما شاء دون أن يكون مضطرا لتبرير تصرفاته وأفعاله لأي كان[52]، ولو وصل به الأمر إلى حد القيام بالقتل[53].

ورغم أن رواية ابن حمادة الواردة في البيان لا تقدم لنا شاهدا على ما قلناه، إلا أن ذلك لا ينفي في نظرنا مدى خطورة قيام هذا الرجل الذي تم القبض عليه وإشخاصه إلى سبتة قبل أن يتم توجيهه إلى عاصمة المرابطين بمراكش حيث تم تنفيذ حكم الإعدام فيه، وفي هذا الصدد يقول ابن عذاري : "**ووصل إلى سبتة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة من الشهر المذكور (أي جمادى الثانية من سنة 520هـ/1126م)**[54]**، فحُمل منها إلى حضرة مراكش فقتل وصلب**".

51- ابن عذاري، البيان، ج4، ص.74-75.

52- يتضح من خلال قصة العبد الصالح مع النبي موسى الواردة في سورة الكهف، أن من الشروط التي وضعها الخضر (أي العبد الصالح) من أجل السماح للنبي موسى بمرافقته هي أن لا يسأله على أي فعل قام به. سورة الكهف، الآية 70، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، م س، ص. 390.

ويبدو في نظرنا أن ادعاء هذا الثائر كونه الخضر يقتضي مجموعة من الشروط، نذكر من بينها أن تكون الفئة التي ستسانده على علم بسور القرآن وآياته، خاصة سورة الكهف، ثم أن يتحلى هذا الثائر بمواصفات موجودة في العبد الصالح (الخضر) ومن أهمها، الاستقامة، وشدة العبادة...الخ، وحول هذه الصفات يراجع : البادسي (عبد الحق بن إسماعيل)، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أحمد أعراب، الطبعة الملكية، الرباط، 1982، ص. 44-48.

53- وذلك على غرار ما قام به الخضر عندما قتل الغلام كما جاء في إحدى الآيات القرآنية. سورة الكهف، آية 74، المعجم المفهرس، م س، ص. 391.

54- ابن عذاري، البيان، ج4، ص. 75.

المبحث 10 :
ظهور ثائر شيعي بمدينة سبتة بالمغرب الأقصى المرابطي
عام 520هـ/1126-1127م

تفيدنا في الإجابة عن هذا التساؤل رواية لمؤلف من جبال غمارة، عاش خلال القرنين 9 و 10هـ/15-16م، يذكر فيها وقائع ثورة حدثت بمدينة سبتة خلال عصر علي بن يوسف، وخاصة بعد رجوع الفقيه ابن رشد الجد إلى الأندلس بعد زيارته لمراكش عندما نصح الأمير علي بن يوسف ببناء سور عاصمة دولته لمواجهة خطر الحركة التومرتية. ونورد تفاصيل هذه الثورة في النص التالي : «...**ولما رجع الإمام ابن رشد إلى الأندلس قام الحاجب بسبتة وكان يتمذهب بمذهب الشيعة فأتاه علي بن يوسف وحاصره وأخذه وقتله أشد قتلة ومهّد المغرب كتمهيد أبيه يوسف...**». فالشطيبي ينفرد بذكر هذه الثورة التي كانت تهدف إلى إحياء المذهب الشيعي بسبتة، ولعل ما يُلفت الانتباه في هذا السياق أن قيام هذه الثورة جاء في وقت متزامن مع قيام ثائر ريف سبتة في كركال، فلا ندري إن كانت لثورة سبتة هاته بزعامة الحاجب من تأثير على قبائل بلاد غمارة؟ أم قد يكون ثائر كركال هو نفسه الحاجب الثائر بسبتة[55]؟

55– محمد الشطيبي، "مختصر من كتاب الجمان في أخبار الزمان"، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، ضمن مجموع، رقم D579، وجه الورقة. 147.

المبحث 11 :

محاولة لإجهاض ثورة في مهدها ناحية غرناطة خلال العصر المرابطي بالأندلس ما بعد سنة 519هـ/1125م

لم تشر المصادر إلى حدوث انتفاضات أخرى بغرناطة وناحيتها بعد ثورة المعاهدين النصارى، إلا أنها أخبرتنا بأن والي غرناطة قام بعد سنة 519هـ/ 1125-1126م باعتقال فقهاء وعلماء من أهل جيان[56]. فالرواية التي قدمها لنا صاحب "البيان" لا تعطينا أسباب هذا الإجراء، بل إنها نفت أن يكون هناك أي سبب لاعتقالهم حيث ذكر ابن عذاري في هذا الصدد أن "أبا عمر يناله" قد سجنهم ظلما واعتداء[57].

ويعطينا ابن عذاري معلومات أخرى تسمح لنا بأخذ صورة عن مدى تسلط حاكم غرناطة، وذلك في سياق الحديث عن إصدار أمر السلطة المرابطية بالقيام ببناء أسوار مدن الأندلس، ومنها غرناطة، حيث قام هذا الوالي بإلزام الناس بدفع الأموال وشدد عليهم في ذلك فاستجابوا له نظرا لأنهم كانوا يخافونه لضغطه وشدته[58].

ويبدو أن موقف سكان غرناطة كان يعارض أبا عمر يناله، إلا أنهم كانوا لا يستطيعون القيام بردود فعل تجاهه، خصوصا وأن القوة العسكرية المرابطية بالأندلس كانت تتجمع في معظمها بهذه المدينة[59]. لذلك فإن شروط نجاح تحرك السكان ضد السلطة المحلية لم تكن متوفرة، فبالإضافة إلى مرابطة الجيش باستمرار

---

[56]- ابن عذاري، البيان، ج4، ص.75.

[57]- ابن عذاري، البيان، ج4، ص.75.

[58]- ابن عذاري، البيان، ج4، ص.75.

[59]- مجهول، الحلل الموشية، ص.93، عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، م.س، ص.143.

بالمدينة، فإن السكان كانوا في حاجة إلى تأطير من طرف العلماء والفقهاء للعمل على إذكاء حماسهم وجعلهم يطالبون بإسقاط الوالي[60]. ولعل إحساس ووعي المسؤول المرابطي بمدى تذمر سكان غرناطة، هو ما دفعه إلى القيام باعتقال فقهاء وعلماء "جيان" حتى لا تتاح لهم فرصة الاتصال بأهل هذه المدينة وتحريضهم ضده، لذلك قرر الوالي المرابطي القيام بسجن هذه النخبة من المجتمع الغرناطي حتى يحافظ على استمرارية ولايته على هذه الجهة[61].

لقد حاولت الرواية الإسلامية أن تكشف لنا بأن الوالي المرابطي قد ذهب ضحية كاتبه اليهودي، الذي قال عنه صاحب البيان إنه كان يبغض الناس ويبغضونه، فكانت نهايته كذلك مثل نهاية صاحبه حيث استصفيت أمواله، ونهبت داره، ولجأ إلى الفرار، وهلك بعد ذلك[62].

وهكذا استطاعت السلطة المركزية المرابطية إجهاض محاولة تمردية في مهدها من خلال إصدار قرار عزل الوالي المرابطي عن غرناطة واعتقاله، كما تمكنت في الوقت ذاته من استئصال أموال مساعده اليهودي، فكان ذلك بمثابة تهدئة للنفوس، وإسكاتا لمحاولة تمردية كان قيامها منتظرا في أي لحظة، خصوصا وأن المنطقة عانت من الظلم السياسي والاجتماعي، ولا يُسْتَبْعد أن عصيانا ضد السلطة المحلية كان قائما، وهو ما أدى "بأبي عمر يناله" إلى تضييق الخناق على النخبة العالمة بهذا المجتمع.

60- سبق للفقهاء أن لعبوا دورا بارزا في إحدى الانتفاضات الأندلسية خلال عصر الإمارة الأموية كما هو الشأن بالنسبة لثورة الربض بقرطبة ضد الحكم بن هشام بن عبد الرحمان سنة 202هـ/818م. أنظر ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، 1980، تحقيق كولان وبرفنسال، ص.75-77.

61- ذلك أن الأمير المرابطي "علي بن يوسف" شدد الرقابة على حكام الأقاليم عن طريق القضاة بالأندلس خاصة بعد 520هـ/1126-1127م. محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1959-1960، ص.170-174.

62- ابن عذاري، البيان، ج4، ص.77.

المبحث 12 :
اهتزاز أهل قرطبة ضد القاضي ابن المناصف
سنة 525هـ/1130-1131م
خلال العصر المرابطي

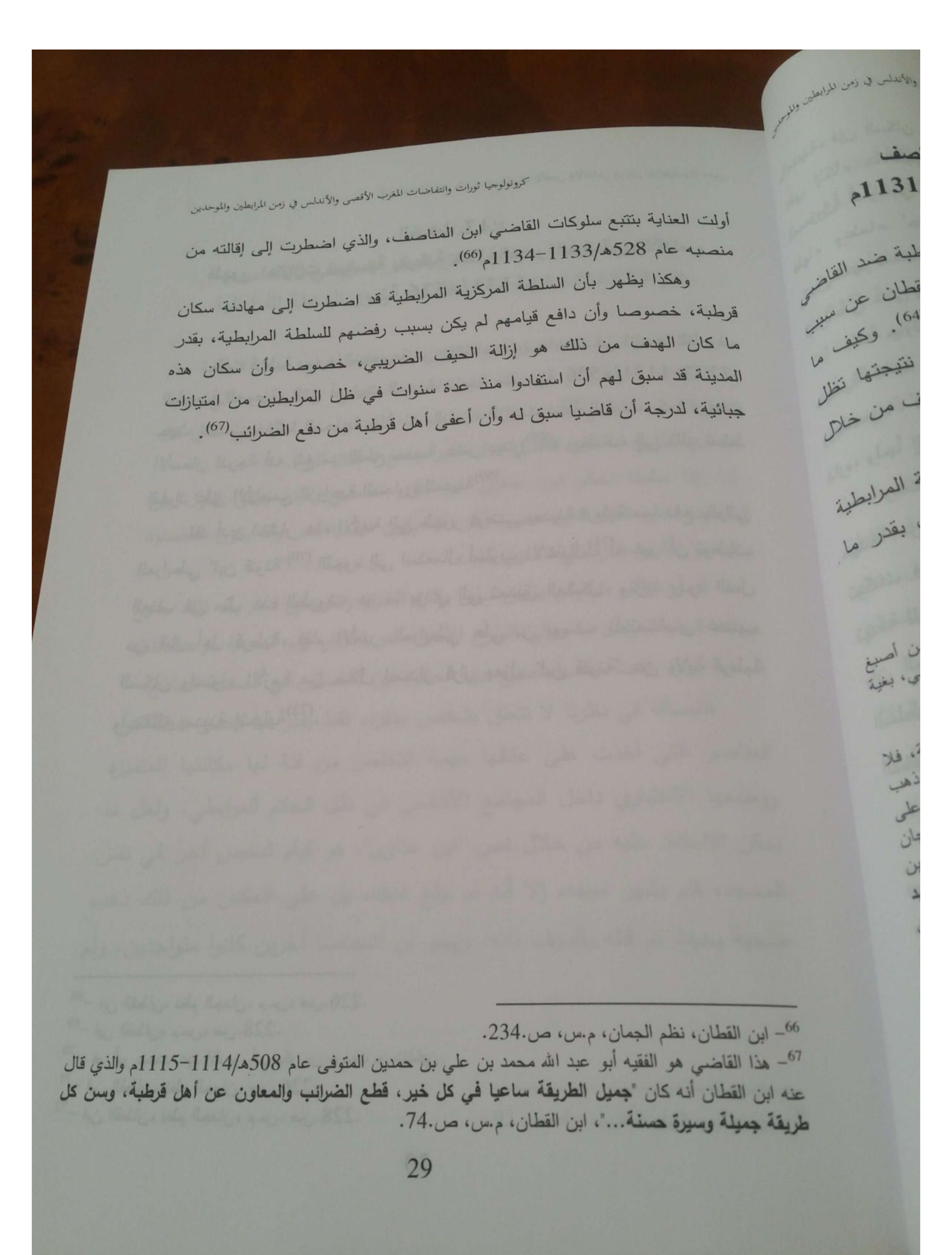
يخبرنا صاحب "نظم الجمان" عن حدوث اهتزاز لسكان قرطبة ضد القاضي "ابن المناصف" سنة 525هـ/1130-1131م[63]. ويحدثنا ابن القطان عن سبب قيام انتفاضاتهم ضد قاضي المدينة بكونه فرض عليهم المعونة[64]. وكيف ما كانت الدوافع التي دفعت بالقاضي أن يفرض تلك الضريبة، فإن نتيجتها تظل واحدة، ذلك أنه تم رفضها من قبل السكان، وتم التعبير عن هذا الموقف من خلال ظهور احتجاجات كبيرة تجلت في رجم القاضي "ابن المناصف"[65].

غير أن الرواية لم تخبرنا بالإجراءات التي اتخذتها السلطة المحلية المرابطية ضد "المتمرّدين"، ويبدو أن السلطة المركزية لم تعط أهمية لهذا الحادث بقدر ما

63- ابن القطان، "نظم الجمان"، ص.222. وهذا القاضي هو محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد ابن أصبغ الأزدري القرطبي أبو عبد الله ويعرف بابن المناصف. ويقول عنه الضبي بأنه "فقيه محدث مشهور". الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ص.61.

64- ابن القطان، نظم الجمان، ص.222.

65- لقد أشار صاحب الذيل والتكملة إلى حدوث قحط خلال سنة 525هـ/1130-1131م بمدينة غرناطة، فلا يستبعد أن تكون الظاهرة عامة بالأندلس مما أدى إلى تأجيج الوضع، وبالتالي وقوع الانتفاضة بمدينة قرطبة ذهب ضحيتها القاضي. وإذا كانت المصادر لم تقدم لنا أمثلة أخرى وقعت بمدن أندلسية غير قرطبة، فإن ذلك يدل على اختفاء الأسباب المؤدية إلى الاحتجاج للتعبير عن غضب السكان، وإنما قد تتدخل عوامل أخرى لتحول الهيجان الحضري إلى احتجاج بشكل مشروع، كما حدث خلال نفس السنة بمدينة غرناطة حيث قيل عن القاضي موسى بن حماد الصنهاجي "**مما لا يحل ذكره وكتب بذلك عقوده ومشى بها أحد فقهائها وهو القاضي أبو العباس ابن عبد الرحمان**" وذلك على أساس رفعها إلى الأمير علي بن يوسف بمراكش. فهل يمكن اعتبار أسباب الاحتجاج القرطبي كانت هي نفسها لدى الغرناطيين؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب فلماذا لم يستعمل الغرناطيون أسلوب العنف على شاكلة القرطبيين؟ أم أن شخصية قاضي غرناطة المعروفة بالفضل وتطبيق العدل في الحكم هي التي حالت دون القيام ضد القاضي؟
ابن بشكوال، كتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1994، ص.579، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق محمد بن شريفة، السفر الثامن، القسم الثاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984، ص.525.



أولت العناية بتتبع سلوكات القاضي ابن المناصف، والذي اضطرت إلى إقالته من منصبه عام 528هـ/1133-1134م[66].

وهكذا يظهر بأن السلطة المركزية المرابطية قد اضطرت إلى مهادنة سكان قرطبة، خصوصا وأن دافع قيامهم لم يكن بسبب رفضهم للسلطة المرابطية، بقدر ما كان الهدف من ذلك هو إزالة الحيف الضريبي، خصوصا وأن سكان هذه المدينة قد سبق لهم أن استفادوا منذ عدة سنوات في ظل المرابطين من امتيازات جبائية، لدرجة أن قاضيا سبق له وأن أعفى أهل قرطبة من دفع الضرائب[67].

66– ابن القطان، نظم الجمان، م.س، ص.234.

67– هذا القاضي هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين المتوفى عام *508هـ/1114-1115م* والذي قال عنه ابن القطان أنه كان "**جميل الطريقة ساعيا في كل خير، قطع الضرائب والمعاون عن أهل قرطبة، وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة...**"، ابن القطان، م.س، ص.74.

المبحث 13 :

ظهور اهتزازات سياسية بقرطبة خلال العصر المرابطي بالأندلس سنة 526هـ/1131م

ظلت قرطبة مسرحا لمجموعة من الانتفاضات، ساهمت في تزايدها الظروف الطبيعية الصعبة، التي أصابت المدينة خاصة منذ سنة 526هـ/1131-1132م حيث اشتدت خلالها المجاعة والأوبئة بالناس، فتزايدت نسبة الوفيات، كما ارتفعت الأسعار لدرجة أنه بلغ مد القمح خمسة عشر دينارا[68]، ويضاف إلى ذلك تسلط الجراد على الأراضي الزراعية المجاورة للمدينة[69].

لقد أدى انتشار هذه الأزمة إلى ظهور فوضى بمدينة قرطبة مما دفع بالوالي المرابطي "ابن قنونة"[70] اللجوء إلى استعمال أسلوب الاغتيال[71]، غير أن توظيف العنف في مثل هذه الظروف هو ما يؤدي إلى تعميق المشكل، وتزايد ردود الفعل من قبل أهل قرطبة، فقام الأمير المرابطي علي بن يوسف بامتصاص غضب السكان واحتواء الأزمة من خلال إصدار قرار بعزل "ابن قنونة" عن ولاية قرطبة واعتقاله بمدينة إشبيلية[72].

68- ابن القطان، نظم الجمان، م.س، ص.226.

69- ابن القطان، م.س، ص.228.

70- هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين.

71- ابن القطان، نظم الجمان، ص.226.

72- ابن القطان، نظم الجمان، م.س، ص.228.

المبحث 14 :

انتفاضة العامة بقرطبة خلال العصر المرابطي بالأندلس عام 529هـ/1134م، أو العنف ضد رموز السلطة المرابطية

لقد تحدث صاحب البيان عن اغتيال قاضي قرطبة في صلاة الجمعة عام 529هـ/1134-1135م في وقت كان الأمير المرابطي "تاشفين بن علي" يوجد بنفس المسجد الجامع[73]، إن هذا القاضي هو أحمد بن خلف التجيبي الذي قال عنه ابن عذاري أنه كان "**قاضي عدل، خير جامع لأعمال البر**".

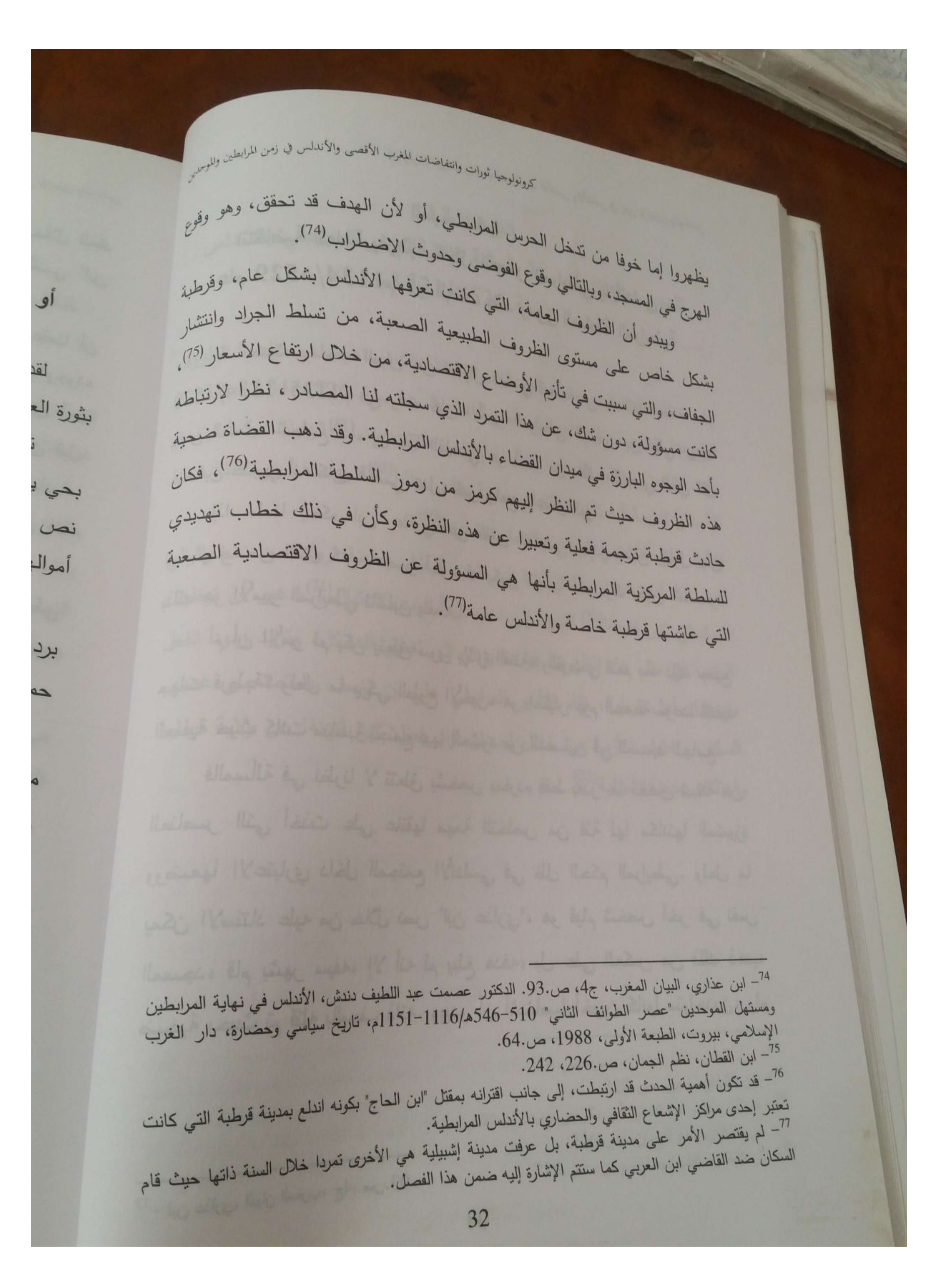
إذا سلمنا بحكم ابن عذاري عن تقوى القاضي، فإنه يمكن القول بأن المستهدف من القتل كان عنصرا آخر، قد يكون قاضيا آخر وقد يكون المقصود بذلك هو الأمير المرابطي تاشفين بنفسه.

أم أن الأمر لم يكن يتعلق سوى بإثارة الفتنة، والفوضى لتعم بعد ذلك جميع جهات قرطبة؟ ولعل ما يزكي الطرح الأخير، هو اختيار يوم الجمعة موعدا لتنفيذ العملية حيث كانت مناسبة تجتمع فيها الحشود من المصلين في المسجد الجامع.

فالمسألة في نظرنا لا تتعلق بشخص بمفرده فقط بقدر ما تخص شبكة من العناصر التي أخذت على عاتقها مهمة التخلص من فئة لها مكانتها المتميزة ووضعها الاعتباري داخل المجتمع الأندلسي في ظل الحكم المرابطي. ولعل ما يمكن الاستناد عليه من خلال نص "ابن عذاري"، هو قيام شخص آخر في نفس المسجد، قام بشهر سيفه، إلا أنه لم يبلغ هدفه، بل على العكس من ذلك ذهب ضحية بحيث تم قتله بالسيف ذاته. ويبدو أن أشخاصا آخرين كانوا متواجدين، ولم

---

[73]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص.93.



يظهروا إما خوفا من تدخل الحرس المرابطي، أو لأن الهدف قد تحقق، وهو وقوع الهرج في المسجد، وبالتالي وقوع الفوضى وحدوث الاضطراب[74].

ويبدو أن الظروف العامة، التي كانت تعرفها الأندلس بشكل عام، وقرطبة بشكل خاص على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، من تسلط الجراد وانتشار الجفاف، والتي سببت في تأزم الأوضاع الاقتصادية، من خلال ارتفاع الأسعار[75]، كانت مسؤولة، دون شك، عن هذا التمرد الذي سجلته لنا المصادر، نظرا لارتباطه بأحد الوجوه البارزة في ميدان القضاء بالأندلس المرابطية. وقد ذهب القضاة ضحية هذه الظروف حيث تم النظر إليهم كرمز من رموز السلطة المرابطية[76]، فكان حادث قرطبة ترجمة فعلية وتعبيرا عن هذه النظرة، وكأن في ذلك خطاب تهديدي للسلطة المركزية المرابطية بأنها هي المسؤولة عن الظروف الاقتصادية الصعبة التي عاشتها قرطبة خاصة والأندلس عامة[77].

74– ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص.93. الدكتور عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين "عصر الطوائف الثاني" 510-546هـ/1116-1151م، تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988، ص.64.

75– ابن القطان، نظم الجمان، ص.226، 242.

76– قد تكون أهمية الحدث قد ارتبطت، إلى جانب اقترانه بمقتل "ابن الحاج" بكونه اندلع بمدينة قرطبة التي كانت تعتبر إحدى مراكز الإشعاع الثقافي والحضاري بالأندلس المرابطية.

77– لم يقتصر الأمر على مدينة قرطبة، بل عرفت مدينة إشبيلية هي الأخرى تمردا خلال السنة ذاتها حيث قام السكان ضد القاضي ابن العربي كما ستتم الإشارة إليه ضمن هذا الفصل.

المبحث 15 :
غضب عامة قرطبة تجاه يهود المدينة
أو العنف الطائفي بالأندلس المرابطية عام 529هـ/1134م

لقد شهدت قرطبة حادثا آخر سنة 529هـ/1134-1135م، ويتعلق الأمر بثورة العامة على اليهود حيث نهبوا أموالهم وقتلوا بعضهم[78].

تذكر رواية البيان بأن هذه الواقعة كانت كرد فعل على اغتيال أحد المسلمين بحي يهودي دون أن تحدد هوية القاتل[79]. إلا أن "ابن القطان" يحسم المسألة في نص صريح بقوله "وقتل يهودي مسلما، فاستئصال المسلمون على اليهود، فنهبت أموالهم، وهدمت ديارهم، وذلك في قرطبة"[80].

لقد اكتفى صاحب "نظم الجمان" بالإشارة إلى أن المسلمين هم الذين قاموا برد فعل ذد مقتل الأندلسي المسلم، في حين كان صاحب البيان أكثر تحديدا عندما حمل مسؤولية الانتقام من اليهود إلى "العامة".

لقد عاشت بلاد الأندلس، وقرطبة خاصة، ظروفا صعبة طبيعيا واقتصاديا منذ 525هـ/1130-1131م، وذلك على مستوى انحباس الأمطار، وتسلط الجراد، وارتفاع الأسعار[81]. وبالمقابل كان نفوذ اليهود السياسي والإداري يتزايد في بعض جهات الأندلس المرابطية[82]. كما تزايد الضغط النصراني على عدة مناطق من

---

[78]– لقد افترضنا أن يكون حادث الثورة على اليهود قد جاء بعد حادث اغتيال القاضي "ابن الحاج" خصوصا وأن صاحب البيان أورد الخبر في أحداث سنة 529هـ/1134-1135م بعد ذكره لأحداث اغتيال القاضي بالمسجد الجامع خلال نفس السنة. ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص.93.

[79]– ابن عذاري، البيان، ج4، ص.93.

[80]– ابن القطان، نظم الجمان، ص.243.

[81]– ابن القطان، نظم الجمان، ص. 226 و 242.

[82]– كما هو الشأن بالنسبة بمدينة غرناطة.

شبه الجزيرة[83]. هذا في الوقت الذي شهدت فيه قرطبة بعض الفتن خلال العقد الثالث من القرن السادس الهجري، والتي انتهت بحادث اغتيال القاضي "ابن الحاج".

فالظروف كانت مواتية، أكثر من أي وقت مضى خصوصا إذا علمنا أن المدينة كانت تعرف فراغا قانونيا، بغياب قاضي الجماعة الذي يعتبر وجوده ضروريا لفرض الأمن من خلال البت في النزاعات[84]. ولذلك عندما تم قتل أحد المسلمين في حي يهودي، لم يتم اللجوء إلى القضاء، فتم الأخذ بثأره من قبل العامة. هذه الأخيرة التي وجدت في ذلك فرصتها لتجاوز تلك الضائقة الاقتصادية، التي كانت تعرفها الأندلس بشكل عام، وقرطبة بوجه خاص، وبالخصوص فئة العامة[85] فلجأت إلى السطو على أموال اليهود.

ويمكن القول كذلك، بأن إحساس العامة بضعف الجهاز الأمني المرابطي بقرطبة خلال تلك الفترة هو ما ألهب حماسها، وبالتالي قيامها على يهود المدينة[86].

83– هناك إشارات كثيرة في هذا الصدد عند: ابن القطان، م.س، ص.241-242. ابن عذاري، البيان، ج4، صفحات: 83، 90-91. فقد أورد ابن عذاري في هذا الصدد رواية معاصرة لأبي بكر يحيى بن محمد الأنصاري يشير من خلالها إلى أن يحيى بن علي بن غانية عامل المرابطين على بلنسية ومرسية قد خرج سنة 528هـ/1133-1134م بهدف "**حماية الزرع بالثغر وبث الطلائع أثناء ذلك، فانتهى إليه تقدم عسكر العدو يروم الضرب على بلاد الإسلام...**".

84– ابن القطان، نظم الجمان، ص.243. فقد ذكر أن قرطبة بقيت أشهرا دون قاض إلى أن ولي عليها أبو جعفر حمدين بن حمدين.

85– حول أثر المجاعات والحروب على العامة خلال الفترة المربطية يراجع: إبراهيم القادري بوتشيش، الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، 1990-1991، ج2، ص.552-555.

86– ابن القطان، نظم الجمان، ص.246.

المبحث 16 :
ثورة العامة بإشبيلية ضد القاضي أبي بكر بن العربي خلال العصر المرابطي بالأندلس سنة 529هـ/1134-1135م

وتبقى انتفاضة عامة إشبيلية الحدث الوحيد، على ما يبدو من خلال المصادر المتوفرة، الذي عرفته هذه الجهة إبان الفترة المرابطية، فما هي أسباب هذه الثورة ؟

لا تقدم الرواية التي أوردها ابن عذاري[87] الأسباب التي كانت وراء تحرك سكان إشبيلية ضد القاضي أبي بكر بن العربي[88] سوى ما يتعلق بموقفه المتصلب وتشدده في الأحكام حيث ينص على ذلك صاحب البيان صراحة من خلال هذا النص : "**كان له في عقاب الجناة اختراعات مهلكات ومضحكات فانتدب أنفسا جمة صلبا وضربا...**" [89].

فالأحكام القاسية التي كان يصدرها القاضي في حق من أخطأ من الناس هي التي كانت سببا في اندلاع ثائرة عامة هذه المدينة والتي ذكرت بشأنها النصوص المصدرية أنها كانت تتكون من الفسّاق والأشرار[90].

87- ابن عذاري، البيان، ج4، ص.93.

88- هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الإشبيلي من مواليد 468هـ/1076م، بمدينة إشبيلية في أحضان أسرة كانت لها حظوة لدى المعتمد بن عباد في عصر دول الطوائف. وتوفي ناحية فاس ودفن بها سنة 543هـ/1149م. وحول المزيد من التفاصيل عن حياته يراجع : النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1983، ص.105-107، ابن خلكان، وفيات الأعيان، المجلد 4، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص.296-297، أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1987، ص.13-50.

89- ابن عذاري، البيان، ج4، ص.93.

90- ابن عذاري، البيان، ج4، ص.93-94، النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص.106، عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، م س، ص.228.

ولم تشر كتب التراجم السابقة الذكر إلى ثائرة ساكنة إشبيلية، ولا إلى موقفها المعارض لهذه الأحكام، غير أن ابن الزبير صاحب "صلة الصلة" ربط بين الأحكام القاسية لهذا القاضي، وبين ردود فعل الناس ضده حيث لمح إلى ذلك في النص التالي : "**...والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله...**" [91].

لقد حاولت مختلف الروايات حصر أسباب هيجان ساكنة إشبيلية، في موقفها من مؤسسة القضاء، ممثلة في القاضي "ابن العربي"، إلا أن رواية انفرد بتقديمها المقري تعطينا أسبابا أخرى لهذه الثورة : "**...وما برح معظما إلى أن تولى خطة القضاء، ووافق ذلك أن احتاج سور إشبيلية إلى بنيان جهة منه، ولم يكن فيها مال متوفر، ففرض على الناس جلود ضحاياهم، وكان ذلك في عيد أضحى، فأحضروها كارهين، ثم اجتمعت العامة العمياء، وثارت عليه ونهبوا داره، وخرج إلى قرطبة**"[92].

91- عن النباهي، م.س، ص.106.

92- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ج2، ص.27.

المبحث 17 :
انتفاضة العامة بقرطبة بالأندلس
خلال العصر المرابطي سنة 535هـ/1140-1141م

يحدثنا ابن الخطيب عن تمرد آخر شهدته قرطبة حوالي سنة 535هـ/ 1140-1141م[93]، وقد لعبت العامة دورا مهما في اندلاع هذه الانتفاضة، والتي كانت تستهدف الاحتجاج على قاضي المدينة "أحمد بن رشد"[94].

إن المصادر لا تحدثنا عن هذه الثائرة، باستثناء ابن الخطيب الذي لا يقدم لنا مصدر روايته، كما أنه لا يعطينا تفاصيل عنها. لذلك لا تظهر لنا الدوافع الحقيقية وراء قيامها. إلا أن ما يثير الانتباه في الطريقة التي قدم بها ابن الخطيب هذه الأحداث، هو كونها شبيهة بما سبق أن عرفته قرطبة حوالي 514-515هـ/ 1120-1122م، على الأقل من خلال الإشارة إلى بعض الأطراف التي ساهمت في بناء الحدث، فكيف جاءت صياغة وقائع هذا التمرد من طرف ابن الخطيب؟

إن الإجابة عن هذا التساؤل يقدمها النص التالي المأخوذ من كتاب أعمال الأعلام حيث جاء في هذا الصدد : "**فلما ثارت العامة بقرطبة واستطالت الأيدي لضعف قاضيها إذ ذاك أحمد بن رشد الابن اضطر أبو جعفر بن حمدين إلى الخروج للناس لردع العامة وتسكين الثائرة، وكان شهما يجيش في صدره الأمر الذي برز فيه. فظهر يومئذ وفر ابن رشد مستعفيا عن القضاء وتعطلت الأحكام بقرطبة أزيد من سنة سخطا من الأمر على أهلها ثم أذن لهم في اختيار قاض**

93- ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، القسم الثاني في أخبار الجزيرة الأندلسية، اعتنى بنشره وتصحيحه ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، الرباط، 1934، ص.290.

94- نفس المصدر والصفحة، وحول أحمد ابن رشد هذا انظر : ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج1، نشر عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1994، ص.85.

فاتفقوا على ابن حمدين هذا سنة 536، فاستمر على القضاء إلى سنة 539..."[95].

إن الأسباب كما يقدمها هذا النص لها علاقة بقاضي قرطبة "ابن رشد" الإبن، والذي كان يتميز بضعف شخصيته.

ويتضح من خلال رواية ابن الخطيب أن رد فعل العامة كان قويا مما فرض ضرورة وجود سلطة معنوية تمارس هيمنتها من أجل ردع هذه الفئة وتسكين الثائرة[96]، ولم تكن هذه السلطة الرمزية إلا إحدى الشخصيات المنتمية لمدينة قرطبة وهي المتمثلة في القاضي "أحمد بن أحمد التغلبي"، والمعروف بابن حمدين[97].

لقد ذكر صاحب كتاب "أعمال الأعلام" بأن ابن حمدين سبق وأن تم تعيينه قاضيا بمدينة قضاء قرطبة عام 529هـ/1134-1135م ثم عزل وأقيل بعد ذلك من منصبه ليخلفه فيه ابن رشد، ثم ثارت العامة، وعندما تمت استشارة السكان في تعيين القاضي الجديد تم اختيار ابن حمدين[98].

وهكذا يظهر، من خلال نص ابن الخطيب، أن إرادة القرطبيين قد تعارضت مع اختيارات المسؤول المرابطي الأول، مما قد يفهم منه أن هناك نوعا من التواطؤ بين عامة المدينة و "ابن حمدين" من أجل زعزعة الوضع الأمني بقرطبة وخلق أجواء من الفوضى من خلال ظهور الانتفاضات وغيرها من الاهتزازات السياسية.

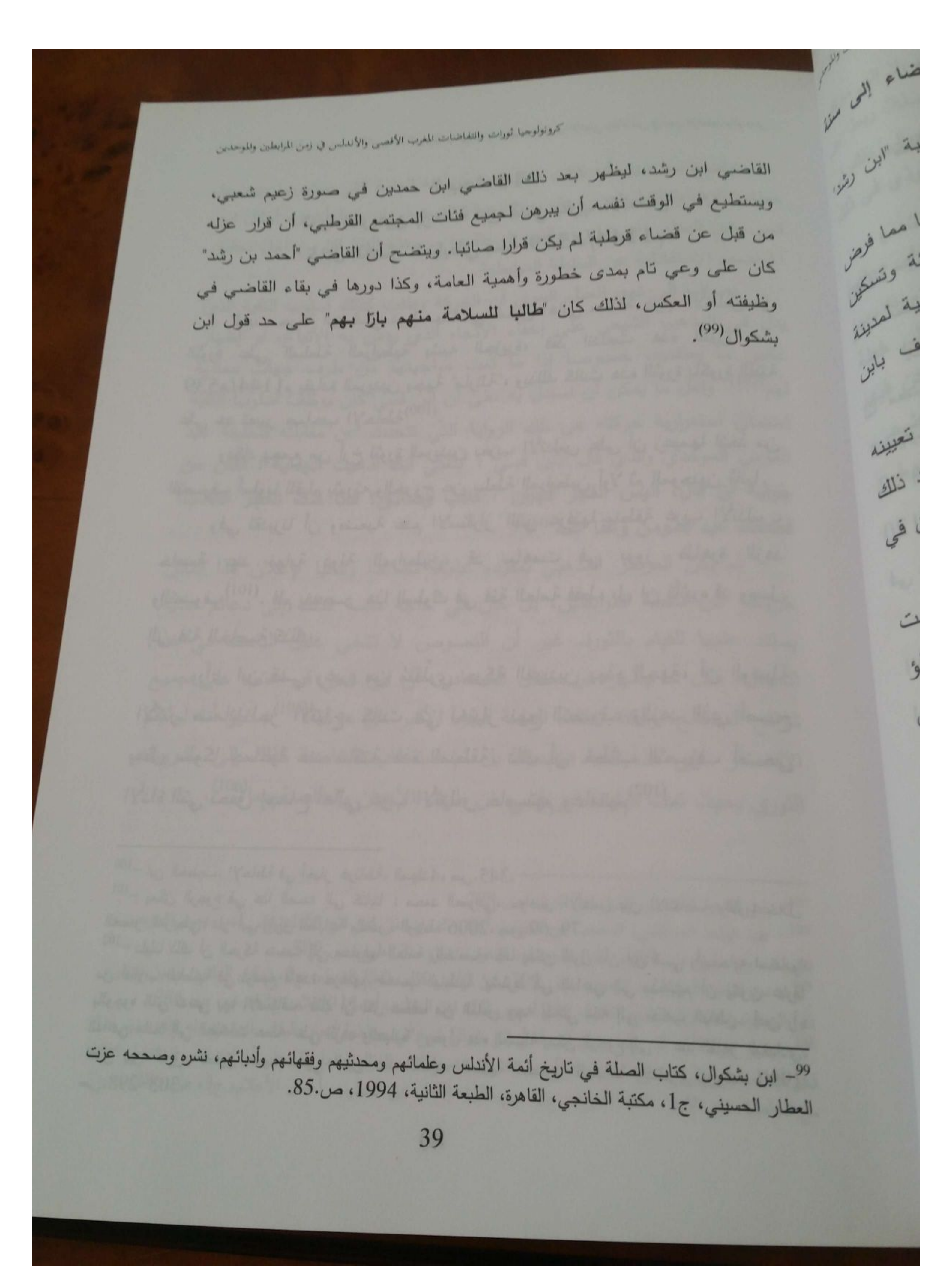
وإذا جاز لنا الأخذ برواية ابن الخطيب، فإن تمرد قرطبة لم يكن بريئا، بل ساهم في تأطيره القاضي ابن حمدين الذي استغل ظروف استياء العامة من

95- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الأندلسي، م.س، ص.290.

96- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، م.س، ص.290.

97- هو حمدين بن محمد بن حمدين التغلبي كما جاء عند صاحب كتاب "تاريخ قضاة الأندلس". النباهي، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا أو تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1983، ص.103.

98- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، م.س، ص.290.



القاضي ابن رشد، ليظهر بعد ذلك القاضي ابن حمدين في صورة زعيم شعبي، ويستطيع في الوقت نفسه أن يبرهن لجميع فئات المجتمع القرطبي، أن قرار عزله من قبل عن قضاء قرطبة لم يكن قرارا صائبا. ويتضح أن القاضي "أحمد بن رشد" كان على وعي تام بمدى خطورة وأهمية العامة، وكذا دورها في بقاء القاضي في وظيفته أو العكس، لذلك كان "**طالبا للسلامة منهم بارًا بهم**" على حد قول ابن بشكوال[99].

99- ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، نشره وصححه عزت العطار الحسيني، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1994، ص.85.

المبحث 18 :

ثورة المريدين بزعامة ابن قسي بغرب الأندلس

خلال العصر المرابطي سنة 539هـ/1144م

لعبت حركة ابن قسي دورا مهما في تمكين أهالي منطقة غرب الأندلس من الثورة على السلطة المرابطية بشبه الجزيرة، فقد اندلعت هذه الثورة عام 539هـ/1144م بقيادة المريدين بجهة "مارتلة"، وبذلك كانت هذه الثورة باكورة الفتنة على حد تعبير صاحب الإحاطة(100).

ويكاد يجمع من أرخ لثورة المريدين بغرب الأندلس على أن زعيمها اتخذ من التصوف أسلوبا للقيام بثورته والخروج عن سلطة المرابطين أولا ثم الموحدين ثانيا.

وفي تقديرنا أن وضعية عدم الاستقرار التي عرفتها منطقة غرب الأندلس، خاصة عند نهاية دولة المرابطين، قد ساهمت في بروز ظاهرة الزهد والتصوف(101). فلم ينحصر هذا السلوك في فئة العامة فقط، بل إن تأثيره قد وصل إلى فئة الخاصة كذلك.

ورأى ابن قسي وغيره من مُنَظِّري حركة المريدين بهذه الجهة، أن الوسيلة الأكثر ضمانا لجر الأتباع، كانت هي اختيار نهج التصوف والزهد الذي أصبح يمثل سلوكا جماعيا عند ساكنة هذه المنطقة. ذلك أن خطاب التصوف أضحى الأداة التي تحقق إجماع أهالي غرب الأندلس خاصتهم وعامتهم(102).

100– ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد4، ص.345.

101– يمكن الرجوع في هذا الصدد إلى كتابنا : محمد العمراني، حواضر الأندلس بين الانتفاضة والثورة خلال العصر المرابطي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006، ص.69-79.

102– دليلنا ذلك أن الحركة ضمت إلى صفوفها العامة والخاصة، كما يمكن القول بأن ابن قسي وأصحابه استفادوا من أسلوب الباطنية في توسيع قاعدة حركتهم. فحسب الباطنية "**يشترط في الداعي إلى مذهبهم أن يكون عارفا بالوجوه التي تدعى بها الأصناف، ذلك أن لكل صنف من الناس وجه يدعى منه إلى مذهب الباطن، فمن رآه الداعي مائلا إلى العبادات حمله على الزهد والعبادة**". وحول هذه المسألة يمكن الرجوع إلى : عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1990، ص.298-303.

يتضح مما سبق أنه كانت هناك هوة بين فئة العامة التي يستهويها ويجذبها خطاب الزهد والتقشف من جهة، وبين زعماء المريدين من جهة أخرى، أمثال ابن قسي وابن المنذر وابن وزير، والذين لم يتقربوا من هذه الفئة إلا من أجل تحقيق أغراضهم الاستقلالية عن السلطة المرابطية.

يضاف إلى نهج العمل السري أن الحركة وظفت كذلك أسلوب التقية الذي يدل في المذهب الشيعي على إخفاء الاتجاه الذي يؤمن به الأتباع، أو إظهار عكس ما يعتقدوه، خصوصا إذا ما تمت مواجهتهم من طرف جهات معادية لهم[103]. ولعل ما يمكن أن نستدل به على أن ابن قسي كان يوظف أسلوب التقية لضمان استمرارية حركته هي تلك الرواية التي تتحدث عن مقابلته للخليفة عبد المؤمن الموحدي والذي قال لابن قسي : "**بلغني أنك ادعيت الهداية ! فكان من جوابه أن قال، أليس الفجر فجران : كاذب وصادق؟ فأنا كنت الفجر الكاذب! فضحك عبد المومن وعفا عنه**"[104].

لم يكن المرتكز المذهبي بمفرده عاملا مساعدا وكافيا لإعلان هذا الثائر خروجه عن سلطة المرابطين، بل كان في حاجة ماسة كذلك إلى دعائم مادية يستند عليها للقيام بالثورة. غير أن النصوص لا تشفي غليل الباحث في هذا المجال، فكل ما يظهر من خلال المصادر، أن ابن قسي قد اعتمد على جميع شرائح المجتمع. وهكذا شكلت العامة الجزء الأكبر من حركته[105]، غير أنه لم يتم الاقتصار على هذه الفئة فحسب، بل تم استقطاب الخاصة كذلك إلى مشروعه الثوري بحيث تمت مبايعة ابن قسي من طرف الأعيان والخاصة معا[106].

103– عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص.298.

104– عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تقديم ممدوح حقي، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، دون سنة الطبع، ص.309.

105– عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص.309، ابن الأبار، كتاب الحلة السيراء، ج2، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985، ص.19، ابن الخطيب أعمال الأعلام، ج3، م.س، ص.286.

106– يشير ابن الأبار أنه عند دخول ابن قسي إلى ميرتلة شرع في مخاطبة أعيان البلاد، فاستجاب له كثير منهم كما ذكر أنه استجلب إلى صفوفه طلبة علم أصول الدين، خاصة كتب الغزالي، مما يدل على أن ابن قسي قد تعامل كذلك مع الخاصة. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.197–198. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص.286.

لقد ضمت حركة ابن قسي وأصحابه فئات متعددة غير أن العامة شكلت الدعامة الأساسية لها، فهذه الفئة هي التي كانت على استعداد للقيام بالثورة والتمرد، وذلك نظرا لتضررها من الوضع العام بالمنطقة، خاصة في السنوات الأخيرة من حكم المرابطين[107]، ولعل مدى أهمية العامة في صفوف هذه الحركة يعكسها لنا كتاب "خلع النعلين" الذي تم نعته من طرف الفيلسوف المتصوف ابن عربي بكونه كتاب العوام لا كتاب الخواص[108].

إلى جانب مساهمة هذه الفئات شكلت الأموال مكانة مركزية داخل حركة المريدين، فقد قام ابن قسي في بداية أمره ببيع كل ما كان يملكه وتصدق بثمنه[109]، وكانت هذه الوسيلة من الأساليب التي نهجها هذا الزعيم من أجل جر الأتباع وخاصة منهم فئة العامة.

وتجمع المصادر على أن تاريخ اندلاع هذه الثورة كان هو سنة 539هـ/1144م، غير أن فترة الإعداد لها قد تمت على ما يبدو قبل هذا التاريخ. ذلك أن التنظيم الذي طبعها وكذا السرعة التي تمت فيها عملية السيطرة على مختلف مدن وقلاع غرب الأندلس، تدل على أن التفكير في الثورة قد بدأ منذ استفحال حركة الموحدين في حربهم الطويلة ضد المرابطين منذ سنة 533هـ/1138-1139م[110]. ويظهر أن ابن قسي قد استغل الفراغ الذي أحدثه غياب ابن برجان وابن العريف، فكثف جهوده من أجل استقطاب الأتباع ملتزما في

107- إن قضية التصدق بالأموال من قبل زعماء المريدين دليل على مدى الوضعية المزرية التي كانت تتخبط فيها فئة واسعة من مجتمع هذه الجهة من الأندلس. وحول محن ومشاكل العامة خلال العصر المرابطي يمكن الرجوع إلى: القادري بوتشيش، الحياة الاجتماعية على عهد المرابطين، م.س، ص.552-568.

108- أبو العلا عفيفي، أبو القاسم بن قيسي وكتابه "خلع النعلين"، مجلة كلية آداب الإسكندرية، مجلد 11، سنة 1957، ص.62-64.

109- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.197.

110- لقد أرسل علي بن يوسف في طلب تاشفين لقيادة حرب الموحدين، فترك خروجه من الأندلس فراغا أمنيا وعسكريا مما دفع على ما يبدو بالمريدين بزعامة ابن قسي أن يفكروا في محاولة للقيام بالثورة، خصوصا وأن ابن قسي لم يكن غائبا عن الأحداث التي كانت تشهدها العدوة المغربية بسبب ثورة المصامدة. وهناك خلاف بين المؤرخين حول تاريخ خروج تاشفين من شبه الجزيرة، فابن عذاري يجعله عام 531هـ/1136-1137م، أما ابن أبي زرع فيحدده في عام 532هـ/1137-1138م. ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص.96، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.164.

ذلك السرية التامة[111]، فلماذا ظل ابن قسي لم يعلن ثورته إلى حدود سنة 539هـ/1144م ؟

إن استفحال الأزمة بعد وفاة علي بن يوسف عام 537هـ/1143م، وكذا ظهور الانتفاضات والثورات خاصة منها تلك التي قامت بعد سيطرة الموحدين على كثير من بلاد المغرب كانت سببا في ظهور ثورة ابن قسي[112].

وهكذا تحين ابن قسي فرصة انشغال الجيوش المرابطية في محاربة الموحدين، فأشار على أصحابه المريدين أن يسيروا مع محمد بن يحيى الشلطيشي،

111- تشير المصادر إلى أن السلطة المرابطية قد ألقت القبض على ابن برجان وابن العريف حيث تم إشخاصهما إلى مراكش. ومن أسباب إشخاص ابن برجان هو إعلانه إماما من قبل 130 قرية أندلسية. وعلق "Paul Nwyia" على هذا الحدث قائلا بأن ابن برجان كان يمهد للسيطرة على الوضع بالأندلس. ورغم الطابع السلمي للمتصوفة ببلاد المغرب الأقصى والأندلس، فإن الصورة التي تم تكوينها عنهم هي التي جسدت –على ما يبدو– خطورتهم. فلا شك أن ظهور المهدي بن تومرت في شكل شخصية الزاهد والمتقشف في بدايته، ليتحول بعد ذلك إلى مباشرة الفعل السياسي، من خلال تأطير حركة الموحدين التي أعلنت الجهاد على المرابطين، هو ما جعل السلطة المركزية تتخوف من كل أشكال الزهد والتصوف. ويمكن أن نضع إلقاء القبض على ابن العريف وابن برجان وإشخاصهما إلى مراكش ثم التخلص منهما بطرق مختلفة فيما بعد في هذا السياق. كما يمكن أن نفسر إجراء القبض على بعض المتصوفة بالمغرب الأقصى على عهد تاشفين بن علي بنفس هذه الأسباب. انظر ترجمة أبو عبد الله محمد ابن عمر الأصم في التشوف الترجمة رقم 40، ص.155. التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984، صفحات: 118-121، 155، 170، ابن شكوال، الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي القاهرة، 1994، ج1، ص.83، ابن الزبير، صلة الصلة، نشر بروفنسال، طبعة الرباط، عام 1937، ص.32.

Nwyia (RP.Paul), Notes sur quelques fraguements inédits de la correspondance D'Ibn Al Arif avec Ibn Barrajan, in Hesperis, 1er et 2ème trimestres, année, 1956, p.218.

Lagardere (V), La Tariqa et la Révolte des Murîdûn en 539H/1144 en Andalus, in Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, N°35, 1er semestre, 1983, p.163.

112- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.165. وأشار أدولف فور A. Faure بأن مغامرة ابن قسي امتدت من 537هـ/1142-1143م، أي سنة بعد النهاية المأساوية لابن العريف وابن برجان، وإلى حدود اغتياله عام 546هـ/1151-1152م، فكان بذلك قيامه في ظل مناخ سياسي واجتماعي مضطرب بفعل انقسام السلطة المرابطية. كما أن مقتل الربرتير القائد العسكري النصراني في صفوف المرابطين كان له الأثر الكبير في هذا الصدد، فقد جاء عند "Bosch Villa" بوش فيلا أنه كان المساند للدولة، والمستشار العسكري لتاشفين، وروح الجيش المرابطي بالمغرب". وأشار كيشار "Guichard" إلى أن الربرتير كان في نظر خصوم المرابطين رمزا للشبهات. وحول هذه الأحداث انظر :

Faure (A), Ibn Kasi, in Encyclopédie de L'Islam, nouvelle édition, Tome III, Leyde , 1971, Paris, GP Maisonneme et la rose S.A, pp.839-840.

Guichard, (P), Les musulmans de valence et la reconquête (XIème-XIIIème siècles), Tome I, Damas, 1990, p.104.

والمعروف بابن القابلة، وتوجهوا إلى ميرتلة إحدى القلاع المنيعة بغرب الأندلس قصد الدخول إليها والسيطرة عليها[113].

ويستنتج من قراءة المصادر أن السيطرة على ميرتلة كانت وفق خطة مدروسة، فقد تم اختيار الليل موعدا للهجوم عليها، فكمنوا بالربض وكان عددهم سبعين رجلا، يبدو أنهم كانوا من الطائفة الموثوق بها والمخلصة للدعوة وعلى رأسهم ابن القابلة الذي اتخذه ابن قسي «**سيف ثورته وعضد دولته**»[114].

وتم الدخول إلى ميرتلة بعد قتل حارس قلعتها، وأعلنوا دعوة ابن قسي الذي لحق بهم في ربيع الأول في جمع وافر من المريدين، شعارهم «**التهليل والتكبير**» حيث خاطب من قصر قصبتها أعيان البلاد، فاستجاب له كثير من أهل مدينتي يابرة وشلب[115].

ويشير ابن خلدون في عبره إلى رسالة أرسلها ابن قسي في تلك الفترة إلى عبد المؤمن بتلمسان، وذلك بعد انتصاره على المرابطين ومقتل تاشفين بن علي. وقد حمل هذه الرسالة رسول ابن قسي "أبو بكر بن حبيس"، فسلّمها لعبد المؤمن الذي "أنكر ما تضمنته من النعت بالمهدي ولم يجاوبه"[116]. وقد عمل المريدون على نشر دعوة ابن قسي بواسطة جهاز دعاية كبير ومنظم، فلم يتم الاكتفاء بداعية واحد في مدينة أو قرية، وفي هذا السياق نشير إلى دور ابن المنذر في نشر هذه الدعوة المذهبية بمدينة شلب ونواحيها بمساعدة أبي محمد سيداري بن وزير، الثائر بيابرة، كما سيطر على لبلة بمساعدة يوسف بن أحمد البطروجي، "**أحد مردة الثوار المريدين**"[117].

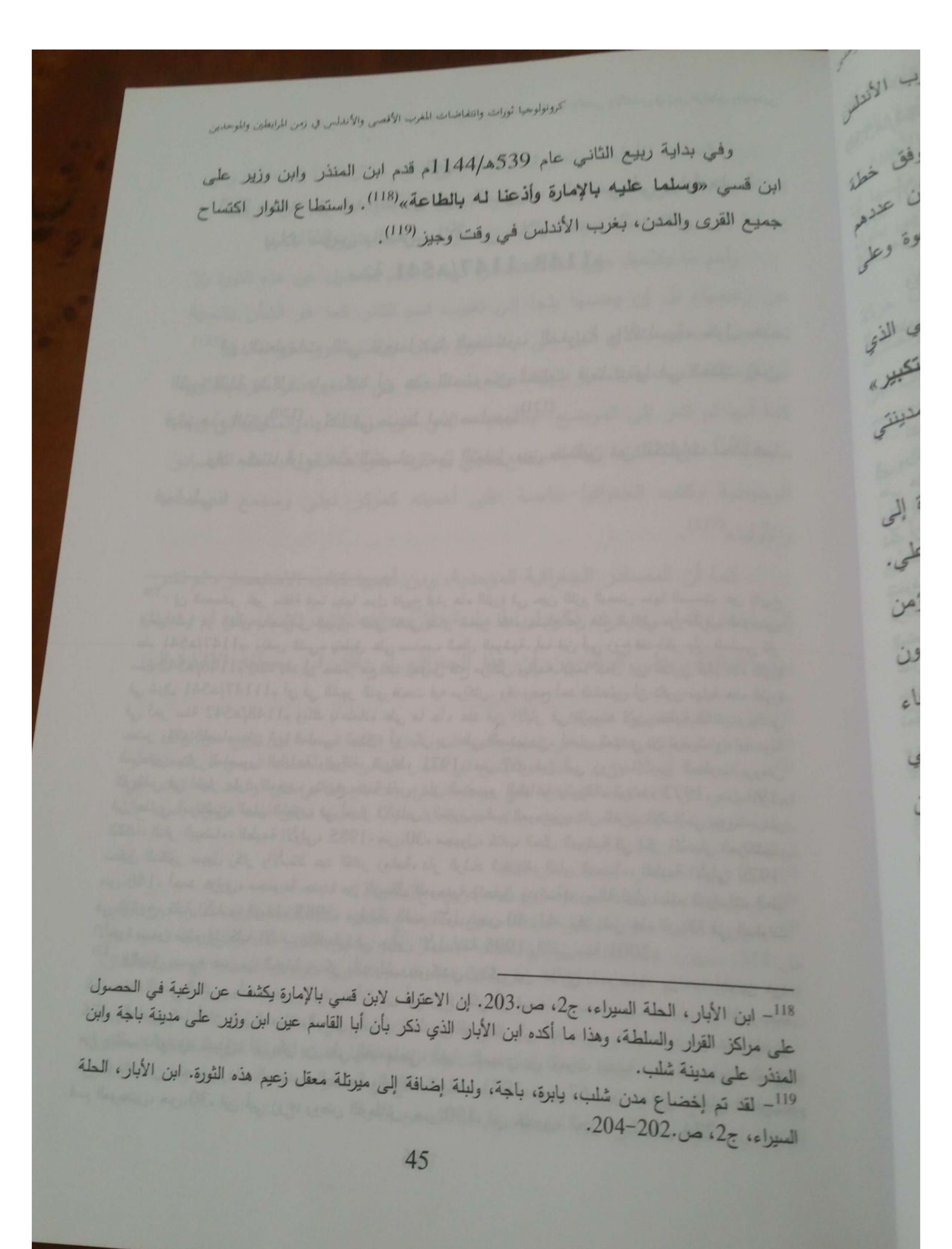
113– ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.198.

114– ابن الخطيب، أعمال الأعلام، م.س، ص.287.

115– ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.198.

116– ابن خلدون، العبر، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992، ص.276.

117– ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.203-204.



وفي بداية ربيع الثاني عام 539هـ/1144م قدم ابن المنذر وابن وزير على ابن قسي «**وسلما عليه بالإمارة وأذعنا له بالطاعة**»[118]. واستطاع الثوار اكتساح جميع القرى والمدن، بغرب الأندلس في وقت وجيز[119].

118- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.203. إن الاعتراف لابن قسي بالإمارة يكشف عن الرغبة في الحصول على مراكز القرار والسلطة، وهذا ما أكده ابن الأبار الذي ذكر بأن أبا القاسم عين ابن وزير على مدينة باجة وابن المنذر على مدينة شلب.

119- لقد تم إخضاع مدن شلب، يابرة، باجة، ولبلة إضافة إلى ميرتلة معقل زعيم هذه الثورة. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.202-204.

المبحث 19 :

ثورة محمد بن عبد الله بن هود المعروف بالماسي في رباط ماسة ببلاد سوس بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي سنة 541هـ/1147-1148م

إن المعلومات التي تزودنا بها المصادر، المغربية والأندلسية، حول هذه الثورة قليلة بشكل عام، كما أن هذه النصوص تختلف فيما بينها في تحديد زمن قيام هذه الثورة[120]، وكذا في ضبط اسم صاحبها[121].

وقد مكنتنا قراءة هذه المصادر من التمييز بين صنفين من الكتابات نحددهما فيما يلي :

120– إن المصادر غير متفقة فيما بينها حول تاريخ قيام هذه الثورة في حين التزم البعض منها الصمت عن تاريخ قيامها كما هو الشأن بخصوص البيذق، الذي اكتفى بذكر الخبر أثناء حديثه عن فتح مراكش من طرف الموحدين عام 541هـ/1147م. ونفس الشيء ينطبق على صاحب الحلل الموشية. أما ابن أبي زرع فقد ذكر بأن الماسي ثار سنة 542هـ/1148م وذلك بعد أن حضر مع عبد المؤمن فتح مراكش وبايعه. بينما جعل ابن عذاري قيام هذه الثورة في شوال 541هـ/11147م أي في الشهر الذي فتحت فيه مراكش. وقد رجح أحد الباحثين أن تكون نهاية هذه الثورة في آخر سنة 542هـ/1148م وذلك باعتماده على ما جاء عند ابن الأبار في ترجمته لابن عطية الكاتب، والذي حضر وقائع القضاء على ثورة الماسي. البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص.67، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص.190، ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، دار الغرب الإسلامي بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1985، ص.30، مجهول، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1979، ص.146، أحمد عزاوي، مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية (تحقيق ودراسة)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب، الرباط، 1985، مرقونة، القسم الأول، ص.40-41. وقد نشر هذه الرسالة في السنوات الأخيرة ضمن منشورات كلية الآداب بالقنيطرة في جزأين الأول سنة 1995 والثاني سنة 2001.

121– فالبيذق يسميه عمر بن الخياط ويذكر بأنه يلقب ببويكندي، وذكره ابن عذاري باسم محمد بن عبد الله بن هود كما نعته بالدعي الماسي وأنه تسمى بالهادي. أما ابن أبي زرع فذكر أن إسمه هو محمد بن هود بن عبد الله وسماه كذلك بالماسي كما أشار إلى تسميته بالهادي. أما ابن خلدون فقد أشار إلى أنه يعرف باسم محمد بن عبد الله بن هود وتلقب بالهادي. البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص.67، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.30، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.190، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.274.

- **الصنف الأول** : ويتعلق بالمؤلفات التي كتبت خلال الفترة الموحدية، وهي قليلة، وتتمثل في كتاب أخبار المهدي للبيذق[122]، والمعجب للمراكشي[123]، إضافة إلى رسالة رسمية موحدية تهم جانبا من أخبار هذه الثورة[124].

وأهم ما يلاحظ على هذه المصادر أنها لا تقدم تفاصيل عن هذه الثورة ولا عن زعيمها، بل إن بعضها يلجأ إلى تغييب اسم الثائر كما هو الشأن بالنسبة لصاحب المعجب، الذي أشار إلى هذه الثورة بشكل مقتضب دون ذكر لقائدها[125]. أما الرسالة الموحدية المشار إليها أعلاه فقد تجنبت هي الأخرى ذكر متزعم الثورة، كما أنها لم تشر إلى الموضع -بالتحديد- الذي كان منطلقا لها والمتمثل في رباط ماسة[126]. فرغم ذكرها لهذا الموضع، فهي لم تقرنه بالرباط الذي أجمعت المصادر الوسيطية وكتب الجغرافيا خاصة على أهميته كمركز ديني ومجمع للصلحاء والأولياء[127].

كما أن المصادر الجغرافية الموحدية، ومن أهمها كتاب الاستبصار، لم تشر إلى أخبار الماسي، فرغم ذكره لرباط ماسة، فإن مؤلف كتاب الاستبصار لم يخبرنا بهذه الواقعة، على الرغم من أن هذا الجغرافي لم يغفل في مصنفه الإشارة إلى

122- البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

123- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتاب البيضاء، دون تاريخ، ص.291.

124- رسالة كتبها أبو جعفر بن عطية عن الشيخ أبي حفص الهنتاني، أحد أصحاب المهدي من الجماعة أو العشرة، والذي كان قائدا للحملة العسكرية التي هزمت الماسي، وهذه الرسالة هي التي أوصلت هذا الكاتب إلى منصب الوزارة لدى الخليفة عبد المؤمن. رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، تحقيق أحمد عزاوي، م.س، ج2، الرسالة الخامسة، ص.12-13.

125- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص.291.

126- رسائل موحدية، مجموعة جديدة، تحقيق أحمد عزاوي، ج2، ص.12.

127- الزهري، كتاب الجعرافيا، بالعين المهملة، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دون تاريخ، ص.117، مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص.212، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1984، ص.522. ويشير مؤلف مجهول في هذا الصدد: "**...وهي بلاد سوس الأقصى وما فيه من الغرايب وحد هذا الصقع في المغرب البحر الأعظم وعليه الرابطة العظيمة الشأن المسماة برباط ماسة وإنما سميت بهذا الإسم لأنها نسبت للمدينة التي استفتحها المسلمون وهدموها عند فتح سوس وكان اسمها تامسنا وحد هذا الصقع في الصحراء...**"، مؤلف مجهول (عاش خلال القرن 6هـ/12م)، السُفرة، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم 5935، ص.43.

بعض الأحداث التاريخية، كما أنه لم يقفز عن ذكر بعض الوقائع المرتبطة بزعامات دينية أو مذهبية عرفها المغرب الوسيط[128].

- **الصنف الثاني** : أهم ما يلاحظ بخصوص مؤلفات الفترة المرينية أنها كثيرة بالمقارنة مع المصادر السابقة في ذكرها لأحداث ثورة الماسي، كما أنها تتميز عنها بكونها أضافت معلومات جديدة لم تذكرها الرواية الموحدية.

فقد زودتنا هذه المؤلفات بمعلومات حول الاتجاه المذهبي للماسي، والمتمثل في ادعاء الهداية حيث سمي بالهادي[129]، كما أنها ذكرت بعض التفاصيل بخصوص عدد الجيوش التي كان يتوفر عليها الماسي، وكذا عدد جيوش الموحدين التي قامت بمحاربته[130]، مما قد يعطينا فكرة عن أهمية الحدث. ومكنتنا الرواية المرينية من بعض الإشارات التي بإمكانها تحديد الوضعية الاجتماعية للثائر عندما ذكرت أن والده كان "دلّالا" في سوق بمدينة سلا[131].

لا تخبرنا الرواية الموحدية بتاريخ قيام الثورة ولا تاريخ القضاء عليها باستثناء إشارة عند ابن الأبار التي جعلت نهاية الثورة في أواخر 542هـ/1148م[132]. كما أن مكان تجمع الثائر وأتباعه يشوبه الغموض، سواء من خلال الرسالة الرسمية، أو من خلال رواية البيذق. ذلك أن الرسالة الموحدية تكتفي بالقول أن مجال تحرك الماسي كان يتمثل في وادي ماسة[133]، أما بخصوص البيذق، الذي عاصر هذه

128– من ذلك حديثه عن برغواطة ومذهبهم، وانتشار الدعوة الشيعية بسجلماسة إضافة إلى ذكره لوقائع غمارة مع حاميم وغيره ثم الحديث عن الأدارسة. انظر في هذا الصدد: مجهول، الاستبصار، صفحات: 190- 191، 194- 200، 202-206.

129– ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.190، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.30، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.274، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973، ص.263-264، مجهول الحلل الموشية، ص.146.

130– ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.31.

131– ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.30، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.190.

132– لقد تم الاعتماد في ذلك على ما توصل إليه الباحث أحمد عزاوي الذي أشار إلى أن ابن الأبار ذكر في كتابه "أعتاب الكتاب" في سياق ترجمته لابن عطية أن انتصار الموحدين كان في يوم الخميس 16 ذي الحجة سنة 542هـ/1147-1148م. أحمد عزاوي، م.س، ج1، ص.41.

133– رسائل موحدية، مجموعة جديدة، م.س، ج2، ص.12.

الوقائع، فقد حدد مجال تحرك الماسي في التجمع القبلي لكزولة[134]، كما أشار في موضع آخر إلى قيامه في ماسة[135]، في حين أن المراكشي يجعل من منطقة سوس مجالا لقيام ثورة الماسي[136].

ورغم اختلاف الروايات الموحدية حول تحديد مكان حدوث ثورة الماسي بشكل دقيق، إلا أنها تتفق في كون الثورة كانت محلية، بمعنى أنها لم تشمل بلاد المغرب الأقصى بأكملها.

على أن صاحب أخبار المهدي، يذكر بأن قبائل حاحة، ركراكة، هزميرة، هسكورة الوطاء، ودكالة وبنو ورياغل قد ارتدت مع كزولة[137]. إلا أن صياغة هذا الخبر لا تعني بالضرورة أن خروج القبائل المذكورة عن السلطة الموحدية كان من أجل تأييد الماسي، بدليل أن البيذق يذكر بعد ذلك أن سبتة، وطنجة، والمرية بالأندلس قد ارتدت هي الأخرى[138]. هذا ونعرف من خلال المصادر أن انتفاضة مدينة سبتة ضد السلطة الموحدية كان مرتبطا بشخصيات لها ولاء للأسرة المرابطية كبني غانية، الصحراوي، والقاضي عياض[139].

ورغم أن الرسالة الصادرة عن أبي حفص تشير إلى أن الثائر وصلته مراسلات من كل حدب[140]، فإن ذلك لا يدل بالضرورة على أن المقصود به هو كل جهات المغرب الأقصى، وحتى إذا سلّمنا بأن البعوث قد وصلته من مختلف جهات المغرب، فإنها لا تدل بالضرورة عن اتفاق حول القيام بتغيير النظام. ذلك أن المشروع السياسي بالمغرب الوسيط كان يتطلب توفر مجموعة من الشروط من

---

[134]– البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

[135]– نفس المصدر، ص.83.

[136]– المراكشي، المعجب، ص.291.

[137]– البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

[138]– البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

[139]– انظر عن هذه الثورة ما سيأتي لاحقا في هذا الفصل، وكذا دراستنا: محمد العمراني، الثورات والتمردات بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي، دار نشر المعرفة، 2005، ص.59-67.

[140]– رسائل موحدية، مجموعة جديدة، م.س، ج2، ص.12.

أهمها شرط العصبية كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون[141]. في حين أن الماسي كما يشير إلى ذلك البيذق غريب عن المنطقة التي قام فيها، وذلك بحكم انتسابه إلى مدينة سلا[142]، وبذلك يمكن اعتبار هذه الثورة هي أول محاولة تمردية -على ما يبدو- خارج الانتماء القبلي وتنسب إلى شخصية تنتمي إلى الحاضرة بالمغرب الوسيط.

وإذا كانت المصادر الموحدية قد تحدثت عن أصل هذا الثائر، فإنها بالمقابل لم تقدم لنا حوله معلومات عن وضعه الاجتماعي، ولا عن تكوينه العلمي باستثناء ما أشارت إليه الرسالة الموحدية أنه كان يدعي الانتماء إلى أهل الزهد من خلال اللجوء إلى القيام والصيام[143].

ورغم سكوت مصادر الدولة الموحدية عن جوانب من شخصية هذا الثائر، إلا أن الصورة التي تبينت لنا من خلال المنظور الموحدي الرسمي أن الماسي شخصية كارزماتية استطاعت استهواء القلوب، فاعتقدته الخواطر أعجب عجب، فكانت جموعه تنظر إليه على أنه لا تنقله الحملات ولا تحركه، ولا تزيله المنية ولا تتركه[144].

إن شخصا بهذه المواصفات قد جعل الناس يتحمسون له لدرجة أنهم كانوا على استعداد من أجل الاستماتة في الدفاع عنه ضد كل من حاول المساس به، وهذا ما اعترفت به الرواية الموحدية عندما ذكرت، أنه ظهر لأعداء الله تجلد لم ير قط لأمثالهم رغم الحملات الكثيرة التي نفذها الموحدون ضدهم[145]. ومما زاد من

141– ابن خلدون، العبر، ج1، (المقدمة)، ص.140-142، فصل : "أن الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية"، وكذا فصل : "في أن الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم". وحول أهمية العصبية وعلاقتها بالدعوة الدينية يراجع : محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، دار النشر المغربية، الطبعة الثانية، 1979، ص.271-295.

142– البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

143– رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، م.س، ج2، ص.12.

144– رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، م.س، ج2، ص.12.

145– رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، م.س، ج2، ص.12.

ذلك الموقف المتصلب لأتباع الماسي ثقة السكان بقداسة هذا الشخص الذي أقنعهم بأنه تم تبشيره بأن الموت لن تدركه في تلك الأعوام كما لا تنوبه النوائب[146].

وإذا كانت الثورة قامت في الفترات الأولى من سقوط دولة المرابطين، أي في مرحلة لم يتم فيها بعد تنظيم الجهاز الضريبي من طرف السلطة الموحدية[147]، فإن ضمان الموارد لخزينة الدولة الصاعدة كان يتم وفق تعاليم المهدي، القائمة على تخميس الأراضي[148]. كما أنه بعد خضوع مراكش للموحدين قد ضاعفت من سلطة جهاز الإدارة الموحدية، وتطاول البعض من أفرادها على أموال الناس كما حدث مثلا في إشبيلية[149]، وأخذ أموال التجار كما هو الشأن مثلا في أغمات[150]. فلا شك أن حدوث مثل هذه الممارسات الابتزازية قد جعل سكان رباط ماسة والمناطق المجاورة له يعبرون عن غضبهم من خلال تأييدهم للماسي الذي رأوا فيه ركيزة مشروعة لإعلان تمردهم عن السلطة الجديدة. ذلك أن منطقة ماسة كانت غنية بمواردها الفلاحية مستفيدة في ذلك من مياه وادي ماسة[151]، كما تميزت برواجها التجاري الذي كانت تقوم بتنشيطه بعض المراكز الحضرية القريبة من المنطقة مثل تارودانت[152] بفضل نشاط صناعة السكر[153].

146– رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، م.س، ج2، ص.13.

147– يبدو أن التنظيم الضريبي خلال العصر الموحدي، لم يتم الشروع فيه إلا بعد 543هـ/بعد 1148م، خاصة بعد صدور الرسالة التي بعث بها الخليفة عبد المؤمن إلى الولايات شارحا فيها سياسته حيث أكد من خلالها على رفع الظلم عن الناس وحذر من فرض المغارم والمكوس والقبالات عليهم. عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي: تنظيماتهم ونُظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ص.279-280.

148– عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت والقاهرة، الطبعة الأولى، 1983، ص.135.

149– للمزيد من التفاصيل حول ثورات المدن الأندلسية على عهد الموحدين يمكن الرجوع إلى دراستنا: محمد العمراني، الأندلس بين الخضوع والثورة، العصر الموحدي 541-609هـ/1147-1212م، نادية للنشر، الرباط، المغرب، 2015، ص.48-91.

150– الشريف الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دون تاريخ، ص.232.

151– مجهول، الاستبصار، ص.211.

152– مجهول، الاستبصار، ص.211-212، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص.227.

153– الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص.227، مجهول، الاستبصار، ص.212 ويذكر أن فيها "معاصر السكر كثيرة".

فلا يستبعد أن يكون هؤلاء السكان قد رغبوا في الاستفادة من خيرات منطقتهم مع الالتزام بأداء حصتهم الضريبية لكن بشكل مشروع ودون ابتزاز. فرغم أن النصوص لا تسعفنا من أجل تأكيد هذه المعطيات، غير أنها تؤكد على وجود حملات عسكرية متكررة قامت بها الجماعة الموحدية قبل فتح مراكش وبعده كان الهدف من خلالها هو الحصول ما أمكن على الغنائم والسبي[154]. وهذا من شأنه أن يكون باعثا على التمرد خصوصا في منطقة مجاورة لتجمع الزهاد كرباط ماسة حيث يلجأ الناس إلى بركة الأولياء ووساطتهم لمواجهة تسلط وتظلم السلطة[155].

وهكذا صادف موقف قبائل جزولة، الرافض لاستغلال خيراته بشكل غير مشروع، مع تواجد عمر بن الخياط برباط ماسة من أجل انقطاعه للزهد والعبادة[156]، والذي وصل صيته إلى عدة جهات، فتمّ الوقوف في وجه الجيوش الموحدية التي أرسلت على ما يبدو في بداية الأمر فرقة عسكرية من أجل الحصول على غنائم جديدة غير أنها اصطدمت برفض القبائل، التي تجمعت حول الماسي، فتم هزم الموحدين في أكثر من مرة[157]. وهكذا لم يتم القضاء على هذه الثورة إلا بعد إيفاذ حملة بزعامة الشيخ أبي حفص عمر حيث انتهت الثورة بمقتل الماسي وقطع رأسه[158].

154– انظر في هذا الصدد ما ذكره ابن القطان في أحداث 533هـ/1138-1139م، ابن القطان، نظم الجمان، ص.263-265.

155– يشير كولان في الموسوعة الإسلامية إلى أن رباط ماسة، حسب المعتقد الشعبي، هو مكان ظهور المهدي، مما دفع بالعديد من المغامرين، بتحريض من بعض الزهاد لإثارة الانتقاضات.

Colin (G.S), « MASSA » in encyclopédie de L'Islam, nouvelle édition, Tome VI, 1991, p.763.

Montagne (R), Une tribu Berbère du sud marocain, « MASSA », Hespéris, Volume.4, 1924, 4ème trimestre réédite par les éditions Arabo-africaines, 1987, p.364.

156– رسائل موحدية، المجوعة الجديدة، م.س، ج2، ص.12.

157– "...**فكانت هناك كرات شهيرة، وحملات كثيرة**...". رسائل موحدية، ج2، ص.12، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.31.

158– ابن عذاري، م.س، ص.31.

إن موقف ثائر ماسة ما هو في حقيقة الأمر إلا تعبير عن رفض لسياسة الظلم الجبائي وبالتالي لم يكن له مشروع سياسي لإسقاط الموحدين.

وإذا كانت الرواية المرينية قد أضافت الجديد بخصوص وقائع ثورة الماسي، فكيف يمكن صياغتها من هذا المنظور؟

هي ثورة قادها الثائر محمد بن عبد الله بن هود[159] برباط ماسة الذي كان منطلقا لحركته، والتي استندت على دعوة اعتنقتها مجموعة لا تحصى من الأتباع الذين التحقوا به من كل جهات المغرب، كما أعلن مهدويته وبايعته أمم لا تحصى حتى لم يبق خارج دعوته سوى مراكش وفاس[160]. وبفضل جيش قوي استطاع أن يهزم الموحدين أكثر من مرة، ولم يكن القضاء على هذا الثائر وجماعته بسهولة بحيث لم يتم ذلك إلا بعد تجهيز جيش قوي من الموحدين بزعامة الشيخ أبي حفص عمر بمشاركة فرق عسكرية نصرانية[161]. وكانت لهذا الانتصار دلالة هامة بالنسبة للدولة الموحدية التي أكدت على صدق دعوتها وقوة جيشها لدرجة أنها لقّبت قائد الحملة الشيخ أبا حفص عمر بسيف الله على غرار خالد بن الوليد كما جاء في رواية ابن أبي زرع[162].

159– ابن خلدون، العبر، ج6، ص.274، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.30.

160– مجهول، الحلل الموشية، ص.146.

161– ابن عذاري، م.س، ص.31، مجهول، الحلل الموشية، ص.146.

162– ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.190.

المبحث 20 :

منطقة تامسنا بالمغرب الأقصى

بين انتفاضة قبائل برغواطة وثورة الزعيم بومزكيدة

ذكرت المصادر الوسيطية منطقة تامسنا ضمن لائحة الخارجين عن سلطة الموحدين بعد قيام ثورة الماسي خلال الفترة الممتدة من 541هـ/1147م إلى 543هـ/1148-1149م[163]، غير أن هذه الإسطوغرافيا لا تقدم هذا التمرد بشكل جلي وواضح، هذا بالإضافة إلى التناقض الذي يلاحظ بين رواياتها.

إن قيام الموحدين بغزو بلاد تامسنا قد مكن برغواطة من الوقوف على مدى خطورة النظام الجديد، وكذا مدى تهديده لمصدر رزقهم، كما أن الغنائم التي حصل عليها الموحدون بعد غزوهم الأول لبرغواطة قد حمّست المسؤولين في الدولة الجديدة على ضرورة إرسال حملات متكررة لإخضاع هذه القبائل، إن لم نقل إبادتها، أو على الأقل التخلص من شيوخها وزعمائها.

ولا شك أن انشغال الموحدين بضرورة جعل حد لتحرك الماسي بمنطقة سوس، ثم ضرورة السيطرة على سجلماسة باعتبار أهميتها التجارية[164]، وكذا إعادة الهيبة على المناطق الخاضعة سابقا للمصامدة، وضرورة الاستفادة من غنائمها[165]، كان على ما يبدو سببا في تأجيل المشروع الموحدي لإخضاع قبائل برغواطة وغيرها ببلادنا تامسنا[166].

163– ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.32، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.274، الناصري، أحمد بن خالد، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء 2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص.111.

164– ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.32، البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

165– حول الأهمية الاقتصادية، والتجارية خاصة، لمدينة سجلماسة خلال القرن السادس الهجري/12م. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص.225-226.

166– نقصد بذلك مثلا منطقة تادلا وهسكورة وغيرهما من المناطق التي سبق إخضاعها من طرف المصامدة قبل فتح مراكش.

فعندما تفرغ الموحدون لاستكمال مشروعهم السياسي، أرسلوا جيشا بزعامة الشيخ أبي حفص، غير أنه مُني بهزيمة، بل إن قبائل برغواطة استطاعت الحصول على أمتعة هذا القائد الموحدي، وأسلحته بالإضافة إلى تمكنهم من الاحتفاظ بولده كرهينة[167].

لا يمكن تفسير هذا الموقف إلا برفض هذه القبائل لعملية استغلال خيرات منطقتها، وذلك في ظرفية لم يتم فيها بعد تنظيم النظام الضريبي بشكل رسمي، فكان الاعتماد على الغزو والحصول على الغنائم يشكل موردا أساسيا للجهاز الموحدي الحاكم[168]. فكأن هناك رفض لحالة الاستثناء هاته، وأن رغبة البرغواطين كانت تهدف إلى انتزاع وعد صريح وتعهُّد من طرف رجالات الدولة الموحدية بعدم تهديدهم في مصدر رزقهم، وعدم الاستحواذ والسيطرة على خيراتهم الاقتصادية، ولعل هذا ما يفسر احتفاظ هذه القبائل بالأسلحة والأمتعة التي حصلوا عليها كغنائم أثناء محاربتهم لأبي حفص، وكذا عدم لجوئهم إلى تنفيذ حكم الإعدام في ولده[169].

وهناك رواية أخرى لابن خلدون يبرر فيها حملة الشيخ أبي حفص هذه على البرغواطيين باعتبار أن قبائل تامسنا قد تبنت واعتنقت دعوة الماسي[170]، وبذلك تكون هذه الحملة تدخل في سياق العمليات التأديبية التي نظمتها الدولة الموحدية في المراحل الأولى لإخضاعها للمجال المغاربي.

فالمصادر الموحدية لا تشير إلى مساهمة قبائل تامسنا في ثورة الماسي، كما أنه كيف يتم التمرد على النظام الجديد، وأن قبائل تامسنا لم تعلن بعد بيعتها

167- يحدد البيذق سنة 543هـ/1148-149م كتاريخ لخضوع هذه القبائل للدولة الموحدية. البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

168- البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

169- حول هذا النظام الضريبي، خلال القرن السادس الهجري/12م، عند الموحدين، يراجع: الدكتور عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ص.279-287.

170- البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

للخليفة عبد المؤمن، كما أنها لم تلتزم رسميا بخضوعها للدولة الجديدة بأي شكل من الأشكال ؟

ويذكر ابن عذاري في نفس منحى رواية ابن خلدون بأن الشيخ "أبا حفص عمر" خرج غازيا إلى برغواطة فنهض إليهم فقاتلوه مدافعين لأهل عبد المؤمن متمسكين بطاعة الماسي[171].

أما الرواية الموحدية، فإنها لم تفسر الموقف الذي اتخذته السلطة الموحدية ضد قبائل برغواطة بالتبعية للماسي، ولكن موقفها هذا جاء بناء على اتصال الصحراوي ببرغواطة[172] بعد خروجه من مدينة سلا[173].

فهل وجود هذا الزعيم المرابطي وسط قبائل تامسنا –وبرغواطة خاصة- يدل على الرغبة في استمرارية خروجها عن السلطة الجديدة؟ أم أنها محاولة لمساعدة الصحراوي على إحياء الدولة المرابطية؟

إذا ما أخذنا بالرواية المرينية، وما جاء في روض القرطاس خاصة، نجد أن هذه القبائل هي التي راسلت الصحراوي عندما وصل إلى سبتة حيث أتاهم فقدموا بيعتهم له، فاجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المؤمن فهزموه[174]. غير أن البيذق، وهو المعاصر للأحداث، يذكر لنا رواية أخرى يقول فيها بأن الصحراوي اتصل بهم من تلقاء نفسه، ولعل ما يؤكد لنا ذلك هو عدم استقراره عندهم رغم أنهم أكرموه ورحبوا به، كما عرضوا عليه البقاء[175]، ولو أحس الصحراوي بأن هناك رغبة في جعله

171– ابن خلدون، العبر، ج6، ص.274-275.

172– ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.32.

173– لقد كان الصحراوي واليا على مدينة فاس خلال العصر المرابطي قبل أن يلجأ فارا منها إلى الأندلس تحت حماية ابن غانية وذلك إثر دخول الموحدين مدينة فاس وسيطرتهم عليها. وعند قيام ثورة سبتة على الموحدين عيّنه ابن غانية واليا عليها بعدما تقدم له بطلب في ذلك.

174– ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.191.

175– البيذق، أخبار المهدي، ص.68.

قائدا عليهم لمّا تردد في ذلك، وهذا ما تبين عندما بايعته وأمّرته دكالة كما ذكر ذلك البيذق نفسه[176].

إن عدم منح الزعامة للصحراوي يدل على أن قبائل برغواطة لم تكن ترغب من خلال تمردها رفض الخضوع للسلطة السياسية للموحدين، وإنما عصيانها هذا جاء بمثابة تعبير فقط عن رفض للاستغلال غير المشروع لمواردها. فقبائل برغواطة دخلت في طاعة الموحدين بعدما وجهت لها حملة قوية، عبرت عنها قيادتها والمتمثلة في ثلاث قواد استطاعوا من خلالها الحصول على غنائم الشيخ أبي حفص واسترجاع ولده وجاريته، كما أنهم استطاعوا تحصيل الزكاة منهم[177].

إلا أن ما يلاحظ من خلال حملة إخضاع برغواطة أنه لم تتم الإشارة إلى عدد قتلاها، كما أنه لم يتم الحديث عن سبي نسائها أو رجالها على شاكلة ما قام به الموحدون في دكالة[178]. فهل ذلك يدل على أن السلطة الجديدة قد فطنت إلى أسباب تمرد برغواطة ودوافعه؟ أم أن المصامدة تجنبوا ذلك مع برغواطة لما عرفوا به من شجاعة وصلابة في الدفاع عن البلاد والحريم ؟

ما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن برغواطة قد خضعت بشكل نهائي للسلطة الموحدية[179]، دليلنا في ذلك أنه رغم قيام ثورة أخرى في بلاد تامسنا تزعمها شخص عرف بـ "بومزكيدة"[180]، لم تسجل لنا الرواية المعاصرة للحدث مساندة هذه القبائل له حيث تم توجيه حملة عسكرية ضده انتهت بالقضاء عليه، فقد أشار البيذق إلى أن الموحدين «**بددوا شمله، وساقوا غنائمهم، فغنائمهم هؤلاء العبيد الذين يقال لهم آيت يرزيجن...**»[181]، على أن ابن أبي زرع يذكر بأن هذا

176– نفس المصدر والصفحة.

177– البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

178– البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

179– البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

180– البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

181– البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

الثائر وجد مساندة من طرف برغواطة التي قامت بمبايعته إلى جانب قبائل كثيرة من البربر[182].

ويظهر من رواية القرطاس أن عملية القضاء عليه لم تتم بسهولة بحيث بقي مدة يحارب الموحدين إلى أن استطاعوا الانتصار عليه وتم إعدامه حيث قطعوا رأسه وبعثوه إلى العاصمة مراكش، كما تم اغتيال عدد كبير من أتباعه[183]. وأشار البيذق بعد ذكره لأحداث هذه الثورة إلى قيام ثائرين[184] على الموحدين، إلا أننا لم نتمكن من معرفة ما إذا كان ذلك قد حدث في تامسنا أم في غيرها.

وهكذا يتضح لنا بأن قيام ثورات تامسنا لم يكن بدافع تأييد دعوة أو اتجاه مذهبي معين، كما أن هذه الانتفاضات لم تكن بغرض الاستقلال عن السلطة المركزية، بقدر ما كانت تهدف إلى الحفاظ على الموارد الاقتصادية لقبائل المنطقة.

182_ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.191.

183_ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.192.

184_ والمقصود بالثائرين هنا هما: "هلال الأصلع" و "ويلان بن موسى"، البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

المبحث 21 :

ثورات وانتفاضات دكالة ورگراگة وحاحا على الموحدين بالمغرب الأقصى ما بين 541-544هـ/1147-1150م

أوردت المصادر أخبار تمردات دكالة، ركراكة، وحاحة ضمن نفس السياق الذي تحدثت فيه عن قيام ثورة الماسي، وأن بعض النصوص تشير إلى وجود تنسيق بين هذه المجموعات فيما بينها للخروج عن السلطة المركزية الموحدية خاصة عند مجيء الصحراوي إلى بلاد دكالة[185].

فالأهمية الاقتصادية لبلاد، دكالة، وركراكة، وحاحة هي ما دفعت الموحدين إلى إخضاعها لسيطرتهم قبل فتح مراكش وقضائهم على الدولة المرابطية عام 541هـ/1147م[186].

كما أن الرغبة في ضمان استمرارية لاستفادة من هذه الخيرات الاقتصادية هي ما أدت بهذه القبائل إلى تنظيم صفوفها والقيام بتمردات ضد السلطة الجديدة؛ فكيف جاء حضور هذه الوقائع في سياق المادة المصدرية؟

يمكن التمييز بين ثلاث روايات وهي كالآتي :

- **الأولى** : تشير إلى أن دكالة قامت بثورتها من خلال قيامها بدعوة الماسي، وأنها قامت في مرحلة ثانية بتأييد الصحراوي، الذي كان مبعوثا من طرف ابن غانية على أساس أن يكون واليا على مدينة سبتة[187].
- **الثانية** : وهي تضع انتفاضة دكالة مباشرة بعد قيام ثورة الماسي، غير أنها لا تربط ذلك باعتناقها دعوته، على أنها تتفق مع مضامين الرواية الأولى فيما يتعلق بخروج دكالة وركراكة وحاحة مع الصحراوي[188].

---

[185]- البيذق، أخبار المهدي، ص.68.

[186]- البيذق، أخبار المهدي، ص.63.

[187]- البيذق، أخبار المهدي، ص.67-68.

[188]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص.274، 276.

- **الثالثة** : وهي تربط ظهور ثورة دكالة على الموحدين بتواجد الصحراويين عندهم سنة 543هـ/1148-1149م، وكأنها بذلك تضع هذا التمرد على السلطة الموحدية في سياق كونه مؤامرة مرابطية[189].

فالرواية الأولى موحدية يوردها البيذق في كتابه أخبار المهدي، والثانية مرينية وهي لابن خلدون، أما الثالثة فتتعلق بالرواية المشرقية ممثلة فيما جاء عند النويري في "نهاية الأرب". ومن أجل الوقوف على حقيقة تمردات دكالة بعد قيام الدولة الموحدية عام 541هـ/1147م، لا بد من تحديد موقف هذه القبائل من الدعوة التومرتية. فقد ذكر البيذق أنه قبيل فتح مراكش أعلنت قبائل دكالة للخليفة عبد المؤمن عن توحيدها الأول، وذلك بعدما استقر هو وعسكره عند صنهاجة أزمور[190]، غير أن هذه القبائل "ارتدت بعد قيام ثورة الماسي"[191]، فهل كان ارتدادها من أجل تأييد هذا الثائر ؟

يقدم لنا ابن خلدون إجابة عن هذا السؤال عندما ذكر بأنه عند قيام الماسي أخذ بدعوته أهل دكالة وركراكة[192]، غير أن صاحب العبر لا يعطينا أي مؤشر على هذه التبعية. وفي تقديرنا، إن قيام دكالة لم يكن حدثا عابرا، أو رغبة في الخروج عن السلطة المركزية الجديدة بمجرد اندلاع ثورة الماسي، ذلك أن خضوع دكالة للموحدين تم –حسب رواية البيذق– دون مقاومة تذكر[193]، إلا أن هناك مؤشرات تدل على أن هذا الخضوع لم يكن سهلا، بدليل أن أحد أشياخ الموحدين كان قد ألقى القبض على ألف شخص من دكالة بنية قتلهم، إلا أن هؤلاء الدكاليين

189– النويري، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق الدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984، ص.412.

190– البيذق، أخبار المهدي، ص.63.

191– البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

192– ابن خلدون، العبر، ج6، ص.274.

193– البيذق، أخبار المهدي، ص.63.

استطاعوا النجاة بعدما تم التمكن من اغتيال ذلك القائد الموحدي[194]، فذكر البيذق على أن أحدا منهم لم يمت[195].

ويظهر أن عودة ألف شخص إلى مناطقهم بدكالة قد ساعد هذه القبائل على إعلان ثورتها، خصوصا وأن الظروف كانت مواتية بعد انشغال الجيوش الموحدية بأحداث منطقة ماسة[196].

ولعل تزامن تمرد قبائل دكالة، وركراكة، وحاحا مع ثورة منطقة ماسة، هو ما جعل بعض المصادر المتأخرة تفسره على أساس أنه مساند للماسي[197]، على أن الرواية الموحدية لا تشير إلى ردود فعل السلطة الموحدية تجاه هذه القبائل إلا بعد إعلانها عن تقديم الصحراوي أميرا عليها[198]. أما الرواية المشرقية فقد حاولت أن تعطي الأهمية للزعيم المرابطي الصحراوي في هذه الأحداث أكثر من دور القبائل[199]، ويستفاد من خلالها وكأن الأمر يتعلق بمحاولة لاسترجاع نفوذ الدولة المرابطية، خصوصا وأن هذه الرواية تنفرد بذكر بعض الوقائع، عند إشارتها إلى أن دكالة قامت بتهديد مراكش، من خلال القيام بهجمات عليها[200]، وهذا يدل على أن هناك محاولة مرابطية لاسترجاع عاصمة دولتهم، باعتبار أن هذه المدينة تعتبر رمزا للسلطة الجديدة الموحدية.

194– وهذا الشيخ هو أبو الحسن بن واكاك كما جاء في أخبار المهدي ثم يذكره البيذق في المقتبس من كتاب الأنساب باسم "أبي الحسن يوكوت بن واكاك" وبأنه من أهل تينملل وينتمي إلى أهل الخمسين. وقد تم اغتيال هذا الشيخ من طرف طلحة غلام الأمير المرابطي إسحاق بن علي بن تاشفين. البيذق، أخبار المهدي، س.65، البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص.33.

195– البيذق، أخبار المهدي، ص.65.

196– انظر حول هذه الأحداث كتابنا المشار إليه سابقا: محمد العمراني، الثورات والتمردات بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي، ص.8-25.

197– ابن خلدون، العبر، ج6، ص.274.

198– فقد ذكر صاحب أخبار المهدي بأن الصحراوي اتجه إلى **"دكالة، فاجتمعوا عليه وأخذوا بيده وأمروه، وبقي عندهم فجاءه ركراكة وحاحة وبقي معهم في دكالة واجتمعوا حوله. فلما سمع الخليفة ذلك أخرج إليهم يصرسن بالعسكر..."**. البيذق، أخبار المهدي، ص.68.

199– النويري، نهاية الأرب، م.س، ص.412.

200– النويري، نهاية الأرب، م.س، ص.412.

وإذا كانت المصادر لا تكشف عن الفئة التي قادت هذا التمرد ومهدت له، سواء في إعلانها عن الخروج عن سيطرة الدولة الموحدية، أو في مبايعة الصحراوي، فلا يستبعد أن تكون فئة شيوخ القبائل ورؤسائها هي المسؤولة عن هذا التمرد. فالمصادر تشير إلى فرار هذه المجموعة مع الصحراوي إلى السوس عندما قرر الخليفة عبد المؤمن محاربة المتمردين[201]، فهذه الفئة بما تتوفر عليه من أراضي وأموال -على ما يبدو- هي التي كانت مستهدفة من قبل الحملات العسكرية الموحدية قبيل وبعد فتح مراكش من طرف المصامدة عام 541هـ/1147م[202].

ويظهر من خلال المصادر، أن هناك اتفاقا إن لم نقل تنسيقا بين قبائل دكالة، ركراكة، حاحة للوقوف في وجه السلطة الجديدة، فبعدما أخذت دكالة مبادرة بيعة الصحراوي جاءت قبائل ركراكة وحاحا إلى موضع تواجد قبائل دكالة فتبعتها فيما قامت به من إعلان البيعة والخروج عن سلطة حكام مراكش[203].

لقد انتهت انتفاضات دكالة بالفشل أمام القوة العسكرية الموحدية، بل إن المصادر قدمت لنا هذه الهزيمة في صورة مأساوية تحمل كل أشكال إهدار كرامة القبائل، فزيادة على أخذ أموالهم، وإبلهم وأغنامهم[204]، فقد تم سبيهم لدرجة أن انتهى البيع فيهم إلى بيع المرأة بدرهم، والغلام بنصف درهم، على حد قول صاحب الحلل الموشية[205]. ولم يتم الوقوف عند هذا الحد فحسب، بل إن الموحدين قاموا

201– البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

202– رغم أن المصادر لا تزودنا بمعلومات عن الثروات التي يتوفر عليها شيوخ هذه القبائل، إلا أننا اعتمدنا في هذا الصدد على تنظير ابن خلدون على مستوى أسس الزعامة والرئاسة في الوسط القبلي والتي من بين شروط تحققها، بالإضافة إلى النسب الصريح، هناك الشرف والحسب، أي وراثة الخلال الحميدة، وهي ما يحقق المصلحة للقبيلة، وتتمثل في الشجاعة والكرم وكذا التضحية بالنفس والمال. انظر في هذا الصدد: محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، م.س، ص.272 و 277.

203– البيذق، أخبار المهدي، ص.68.

204– البيذق، أخبار المهدي، ص.69.

205– مجهول، الحلل الموشية، ص.147.

بحملات تطهيرية في صفوف القبائل الثلاث في إطار عملية الاعتراف التي وقعت سنة 544هـ/1149-1150م حسب ما جاء

في سياق رواية البيذق، ويبدو أن بعضها قد أشرف عليه بعض زعماء هذه القبائل مثل ركراكة كما هو مبين من خلال الجدول التالي[206] :

اسم القبيلة	أسماء المشرفين على عملية الاعتراف	الحصيلة من القتلى في صفوف القبائل
ركراكة	محمد بن مضكاد وعبد الله بن مالات شيخي ركراكة	800
حاحة	صهر أبي سعيد وعثمان بن مناد	800
دكالة	إسحاق بن عمر الهنتاتي	600

ورغم أن نتائج حملات التطهير هاته تبدو ضعيفة مقارنة مع ما وقع في مناطق أخرى، فإن ذلك راجع –على ما يبدو– إلى الفراغ الديمغرافي الذي شهدته هذه المناطق، ولعل ذلك ما يمكن أن يستنتج من كلام البيذق، عندما أشار إلى أن إسحاق بن عمر الهنتاتي كان شفيقا على دكالة عندما قتل منهم ستمائة شخص[207]. إن هذه الأزمة الديمغرافية هي ما جعلت القبائل العربية تقوم باكتساح المنطقة بهدف الاستقرار فيها، والقيام بتعمير بلاد دكالة خلال العهد الموحدي كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين[208].

206– البيذق، أخبار المهدي، ص.70 و 72.

207– البيذق، أخبار المهدي، ص.72.

208– أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، درا الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1984، ص.73.

المبحث 22 :

انتفاضة سكان مدينة سلا بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي من 541-543هـ/1147-1149م

لم يحدثنا البيذق وهو المؤرخ لأحداث ووقائع إخضاع المغرب للسلطة الموحدية عن ظروف هيمنة المصامدة الموحدين على مدينة سلا[209]، غير أن ابن عذاري يشير إلى ذلك من خلال روايتين :

* فالرواية الأولى : تخبرنا بأن معارضة قد واجهت دخول الموحدين سلا في ذي الحجة عام 540هـ/1146م[210]، وإثرها نزل الخليفة عبد المؤمن بدار ابن عشرة حيث أقام بها أربعة أيام، ليتوجه بعد ذلك إلى مراكش[211].

* أما الرواية الثانية : فهي لابن "بجير" يشير من خلالها إلى أن فتح المدينة كان على يد "يبورك" وابنيه "محمد" و "علي"، أي أن الخضوع تم بتواطئ مع بعض سكان المدينة الذين سهلوا للموحدين عملية الدخول إلى سلا عبر سورها ليلا[212]، إذ قام الموحدون بقتل كل من وجدوه على السور[213].

ويبدو من خلال نص ابن بجير أن قسما من سكان سلا قد اضطر إلى الهروب عبر الوادي بعد دخول المصامدة إلى المدينة، غير أن مياه البحر غمرتهم فكانت سببا في موتهم[214]. وقام الموحدون خلال المدة القليلة التي ظلوا فيها

209_ ذلك أن البيذق يشير إلى أن الخليفة عبد المؤمن بعد مغادرته حصار مكناسة اتجه إلى مراكش عبر تادلا في حين أن صاحب كتاب "التعريف بالقاضي عياض" يذكر بأن الخليفة اتجه عبر سلا حيث وقع اللقاء بينه وبين القاضي عياض. البيذق، أخبار المهدي، ص.63، محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الثانية، 1982، ص.12.

210_ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.25.

211_ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.25.

212_ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.25.

213_ ابن عذاري، المرجع نفسه، ص.25.

214_ ابن عذاري، المرجع نفسه، ص.25.

بمدينة سلا بتعيين عبد الواحد الشرقي واليا عليها[215]. وجاء في كتاب البيان لابن عذاري أن سلا ظلت خاضعة للدولة الموحدية إلى أن ظهر الثائر الماسي ببلاد السوس، فقتل أهل سلا عاملهم، ونصّبوا مكانه والد هذا الثائر حيث ظل حاكما عليهم إلى أن تم اغتيال ثائر ماسة والقضاء على ثورته، فدخلت المدينة في سلك الدعوة التومرتية وعادت من جديد إلى طاعة الموحدين إلى حدود انقضاء دولتهم[216].

وذكر ابن عذاري أن أهل سلا اتصلوا بالخليفة "عبد المؤمن" سنة 543هـ/ 1148-1149م فصفح عن دمائهم[217].

ولم تحدثنا المصادر عن علاقة سلا بالصحراوي، باستثناء البيذق الذي أشار إلى أنه بعد مغادرة هذا الأخير مدينة سبتة اتجه إلى سلا حيث وجد "الخياط" -والد الثائر الماسي- على غير الاستقامة مع أهلها فأخذه وضرب عنقه ثم رماه في البحر.

إن هذه الرواية تؤكد بأن أهل سلا لم يكن انفصالهم عن الموحدين بدافع اعتناق دعوة الماسي، وبذلك فهي تختلف عن المعطيات الواردة في رواية "ابن بجير" التي تم اعتمادها من طرف ابن عذاري في بيانه[218].

ورغم هذا التباين بين الروايتين فإن وقائع ثورة سلا تكشف لنا عن إحدى نماذج المعارضة الحضرية التي ظهرت في مناطق أخرى بالمغرب الأقصى عند قيام دولة الموحدين، سواء تعلق الأمر بالمدن التي رفضت الخضوع والاستسلام

215- هو من أصحاب المهدي بن تومرت ومن أهل الدار وقد التقى به في قرية ملالة قرب بجاية، فقد ذكر البيذق أن اسمه هو "يرزيجن بن عمر" ويكنى "أبا محمد" وسماه ابن تومرت "عبد الواحد". انظر البيذق، أخبار المهدي، ص.14، وهامش. 7، المقتبس من كتاب الأنساب، ص.25، وهامش. 27، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.25.

216- ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.25.

217- ابن عذاري، المرجع نفسه، ص.37.

218- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.25.

للسلطة الجديدة، أو تلك التي تمرّدت عليها بعد أن سبق لها وأن أعلنت بيعتها وأدت فروض الطاعة والولاء للخليفة "عبد المؤمن الموحدي"[219].

وفي تقديرنا أن انتفاضة مدينة سلا بعد قيام دولة الموحدين عام 541هـ/1147م كان حدثا خطيرا نظرا لما ترتب عنه من اغتيال لوالي الموحدين على المدينة[220]، فلا شك أن رد فعل السكان هذا كان نتيجة عرقلة نشاط الفئة الفاعلة في هذه الحاضرة، خاصة منها شريحة التجار، ولعل وجود الموحدين بهذه المدينة قد صادف توقفا نسبيا للمبادلات التجارية بين سلا وباقي مدن الساحل الأندلسي وذلك بسبب الثورات والتمردات التي عرفتها مدن غرب الأندلس بشكل خاص خلال نفس الفترة[221].

رغم أن بعض الإشارات التاريخية قد ربطت انتفاضة سلا بثورة الماسي، فإن تحليل بعض الروايات وبالاستناد على إشارات سجلها الجغرافي المعاصر لتلك الأحداث مكنتنا من تقديم تفسير آخر لأسباب اندلاع هذه الثورة. ذلك أن قيام هذا التمرد جاء كرد فعل عن الأزمة التي تعرض لها النشاط التجاري بالمدينة بسبب توقف المبادلات بين مدينة سلا وبين غرب الأندلس خاصة، وقد تزامن ذلك مع تواجد سلطة محلية موحدية زادت من تأزيم الوضعية من خلال السيطرة على أموال التجار وممتلكات الأغنياء، فاستغل أهل سلا قيام ثورة الماسي وانشغال الموحدين بمواجهتها، فأعلنوا عن عصيانهم وقاموا بالثورة على رموز السلطة الموحدية بالمدينة.

219- كما هو الشأن بخصوص مدينة سبتة التي سنقوم بتحليل وقائع ثورتها ضمن مبحث لاحق، أما بخصوص موقف مدينة مكناسة فلم نعتبره معارضة أو ثورة، لأنها لم تخضع للسيطرة الموحدية حتى يمكن اعتبارها متمردة. بل إن وضعها كان أقرب إلى أسلوب المقاومة منه إلى أسلوب الثورة والتمرد وذلك دفاعا على الاستمرار في التبعية للمرابطين. وحول موقف "مكناسة الزيتون" من الموحدين انظر: ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1988، ص.23-27.

220- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.25.

221- ابن عذاري، المرجع نفسه، ص.38.

المبحث 23 :

ثورة أهل سبتة بالمغرب الأقصى

خلال العصر الموحدي سنة 542هـ/1147-1148م

لقد جاء سرد وقائع ثورة سبتة سنة 542هـ/1147-1148م ضمن الكتابات الوسيطية في سياق حديثها عن الفوضى التي شهدها المغرب الأقصى بعد قيام ثورة الماسي[222]، وكذا في إطار إشارتها إلى التحولات التي كانت تعرفها الأندلس عند ارتداد مجموعة من مدنها عن السلطة المصمودية وظهور زعامات مرابطية مستقلة عن سلطة الموحدين كما هو الحال بالنسبة لأسرة بني غانية[223].

إن الاختلاف بين المصادر في ذكر وقائع ثورة سبتة هو ما يدفع بنا إلى تتبع مختلف رواياتها من أجل فهم حقيقة هذه الثورة، فهذه المصادر يمكن تصنيفها إلى ثلاثة نماذج وهي :

* النموذج الأول : يقدم وجهة نظر أهل سبتة ويتعلق الأمر بكتاب التعريف بالقاضي عياض[224].

* النموذج الثاني : ويمثل وجهة نظر موحدية ممثلة في كتاب أخبار المهدي للبيذق.

* النموذج الثالث : ويتعلق الأمر بالمصادر المرينية.

* **النموذج الأول** : لا يعطينا هذا النموذج أسباب قيام تمرد أهل سبتة ضد الموحدين، كما لم يحدثنا عن أطوار ومظاهر هذه الثورة، ويرجع ذلك –دون شك–

222– البيذق، أخبار المهدي، ص.67، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.191، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.32.

223– حول "بنو غانية" يراجع ابن خلدون، ج6، ص.224-235.

224– محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، ص.12.

إلى أن المؤلف كان يهدف من خلال كتابه إلى تقديم ترجمة لامعة لحياة والده القاضي عياض[225]. وكانت ثورة سبتة إحدى محطات هذه الترجمة، فكان صاحب كتاب "التعريف" ملزما بإدراجها ضمن مؤلفه ليس بهدف إلقاء الأضواء عليها، ولكن من أجل إزالة التهمة عن القاضي عياض، وابراز دوره في خدمة الدولة الموحدية[226].

فما هي المعلومات التي أفادنا بها "محمد بن عياض" حول أحداث هذه الثورة؟

لا بد من الإشارة إلى أن خضوع سبتة للموحدين قد تم قبل فتحهم لمراكش[227]، فقد ذكر المؤلف بأن القاضي عياض لعب دورا مهما في ضمان تبعية سبتة للمصامدة، فاتصل القاضي بالموحدين وبادر إلى الدخول في نظامهم والاعتصام بحبلهم المتين على حد تعبير ابن عياض[228]. كما التقى بالخليفة عبد المؤمن في مدينة سلا قبل توجهه لمحاصرة مراكش[229] "**وأجزل صلته، ولقي منه برا تاما وإكراما عاما**"[230]. فهل يعبر هذا الاتصال بالموحدين عن موقف شخصي، أم أنه يجسد موقفا جماعيا لسكان مدينة سبتة ؟

إذا افترضنا أن القاضي عياض هو الناطق باسم أهل المدينة، فإن هذه البيعة تعبر عن الرأي العام لسكانها، هذا إذا ما سلمنا بما قاله صاحب كتاب

225– حول كتاب التعريف يراجع مقدمة التحقيق للدكتور محمد بنشريفة، ص.13-19.

226– انتهى الباحث محمد الشريف إلى القول في هذا السياق بأن محمد بن عياض الذي التحق في خدمة الموحدين حيث زاول مهنة القضاء في دانية واشبيلية يبدو أنه أراد إقبار هذه المرحلة من حياة والده القاضي عياض، والتي كان خلالها في مواجهات مفتوحة مع الموحدين. محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، ص.11-12.
-Mohamed CHERIF, CEUTA aux époques Almohade et Mérinide, L'Harmattan, paris, 1996, p.29.

227– فصاحب كتاب التعريف يقول بأن هذا الخضوع تم قبل دخول المصامدة مراكش عام 541هـ/1147م، في حين يشير ابن خلدون بأن سبتة امتنعت على الموحدين خلال الحملة الطويلة التي قادها الخليفة عبد المؤمن قبل فتح مراكش. وذكر بأن هذا الامتناع كان سببا في تغريب القاضي عياض فيما بعد إلى تادلا حيث اشتغل بالقضاء في البادية. أما ابن عذاري فيشير إلى أن خضوع سبتة تم قبل خضوع مراكش. محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، ص.11، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.271، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.26.

228– محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.11-12.

229– محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

230– محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

التعريف عندما ذكر بأنه عند عودة القاضي عياض مرة أخرى لمنصب القضاء بسبتة أواخر عام 539هـ/1145م، ابتهج أهل بلده وسار فيهم السيرة التي عهدوا فيه[231]، فانطلاقا من هذا الحكم نرى بأن ساكنة سبتة سوف لن تختلف مع القاضي عياض عندما أعلن بيعته للموحدين.

وكيف ما كان موقف أهل سبتة من الحركة الموحدية، فإن المستفيد الأول من ذلك هو القاضي عياض الذي احتفظ بمنصبه في القضاء، بل أعطيت له الصلاحية في تدبير أمور بلده[232].

فكل المؤشرات التي زودنا بها صاحب كتاب التعريف لا تجعل القاضي عياض يفكر في القيام بالثورة على الموحدين، ولذلك لم يُحمّل المؤلف للقاضي عياض أي مسؤولية أو دور في قيام هذه الثورة[233]، وبالمقابل فقد جعل هذه المسؤولية على عاتق سكان المدينة دون أن يحدد فئة بعينها عندما أشار إلى أنه «**ثارت الفتنة وقام البلد**»[234]. كما أنه لم يذكر أسباب قيام المدينة ولم يشر إلى مظاهر وتجليات هذه الانتفاضة. فإذا أخذنا بمعطيات هذا المصدر، نرى بأن السلطة السياسية للمدينة كانت في يد القاضي عياض الذي كان يدبّر شؤون مدينة سبتة باسم الموحدين[235]. فإذا كان هدف الثورة هو التخلص من سلطة المصامدة فإن المستهدف بالدرجة الأولى هو القاضي عياض، غير أن المعلومات التي نتوفر عليها سواء منها تلك التي أوردها هذا المصدر، أو غيره من المصنفات التاريخية، تؤكد على أن العلاقة كانت ودية بين قاضي المدينة وسكانها[236]، وهذا ما يؤدي

231– محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.11.

232– محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

233– محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

234– محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

235– محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

236– لقد عبر ابن خلدون عن هذه العلاقة الودية عندما نعت القاضي عياض بكونه يومئذ كان رئيس سبتة "**بدينه وأبوته ومنصبه**"، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.271.

بنا إلى القول بأن السكان قاموا بالثورة على رموز أخرى للدولة الموحدية بالمدينة، ونقصد بذلك جماعة الموحدين التي بعث بها الخليفة عبد المؤمن بعدما أعلنت سبتة عن بيعتها على يد القاضي عياض[237]. فصاحب كتاب التعريف قد سكت عن ذكر وجود سلطة موحدية مكونة من المصامدة في سبتة قبل قيام الثورة، فهل لذلك علاقة بهذا التمرد ومدى أهميته وخطورته ؟

إنه من الصعب تقدير حجم خطورة هذه الثورة في سياق رواية ابن عياض الذي تعمد -على ما يبدو- القفز عن أحداثها بذكر كلمات تختزل في مضمونها ما يجسد خطورة هذا الحدث[238]، هذه الخطورة هي ما دفعت بولد عياض الدفاع عن والده الذي كان غير راض عن ما قام به الثوار[239].

ويظهر من كتاب التعريف كذلك أن الثورة لم تكن لها قيادة تؤطرها، خصوصا بعد إبعاد عياض عنها، فقد «**بقي يدبر أمره، ويسوس أهله، دون تعاط إلى الإمرة في قول أو فعل...**»[240].

إن القاضي عياض ظل بعيدا عن الثوار - على الأقل- إلى حدود مجيء الصحراوي إلى سبتة[241]، وهذا ما يفضي بنا إلى القول بأن هذه الثورة قد مرت بمرحلتين، الأولى منهما هي القضاء على الوجود الموحدي بالمدينة، والثانية هي إلحاق سبتة بالسلطة السياسية ليحيى بن غانية بعد دخول الصحراوي إليها[242]، فكيف تم إلحاق سبتة بابن غانية؟

237- فقد أشار ابن عذاري إلى ولاية يوسف بن مخلوف التملي على سبتة من قبل الخليفة عبد المؤمن قبل فتح مدينة سلا. ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.26.

238- فقد ذكر في هذا الصدد "...**إلى أن ثارت الفتنة وقام البلد، والله يعلم أن ذلك كان على غير رضى منه، كراهة في الفتنة الدنيوية والأخروية**...". محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

239- محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

240- محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

241- محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

242- هذا على الأقل ما يفهم من رواية صاحب التعريف، م.س، ص.12.

* **النموذج الثاني** : إن الإجابة يقدمها البيذق عندما أشار إلى أن أهل سبتة أرسلوا في طلب الصحراوي[243]، لكن دون أن يعطي للقاضي عياض أي مسؤولية في هذه المبادرة، وإن كان البيذق قد منح زعامة ثورة أهل سبتة له في موضع آخر من كتابه[244]. إن مجيء الصحراوي، على الأقل من خلال هذه الرواية يعتبر مؤشرا عن وجود مرحلة جديدة في ثورة أهل سبتة، وهي أخطر من سابقتها، فهي ليس لها فقط دلالة الارتباط بالأسرة المرابطية التي لا تزال بعض الجيوب المغربية تابعة لها[245]، وإنما كذلك على مستوى تصعيد موقفها من السلطة الموحدية عندما تمكن الصحراوي من قتل قائد الأسطول الموحدي "علي بن عيسى"[246] حيث تم صلبه في برج المدينة[247].

إن صاحب أخبار المهدي قد كشف عن خطورة انتفاضة سبتة من خلال ربطها ببني غانية، إلا أن المصادر المرينية تقدم لنا جانبا آخر من خطورة هذه الثورة.

* **النموذج الثالث** : ويقدمه لنا ابن عذاري في النص التالي : «**...وفي أثناء هذه الفتن قام من أهل سبتة قوم على من بالقصبة حتى غلبوهم، وأوقدوا النار عليهم بالبرج الذي تحصنوا فيه حتى قتلوهم وصلبوهم وجاز البحر عياض القاضي إلى يحيى بن علي ابن غانية وهو بالخضراء، وطلب منه واليا، فأرسل معه يحيى بن أبي بكر الصحراوي، وأجازه البحر إلى سبتة، فاستولى عليها وخلعوا طاعة عبد المؤمن. وقام أهل المدينة على الموحدين فيها وقتلوا الحافظ بها يوسف بن مخلوف، وكان قد غزا مع القاضي عياض الروم في البحر...**»[248].

243– البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

244– البيذق، أخبار المهدي، ص.86.

245– انظر في هذا الصدد استمرارية السلطة المرابطية في مدينة مكناسة الزيتون ومقاومتها للوجود الموحدي إلى بداية 545هـ/1150م. محمد بن غازي العثماني، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، 1988، ص.21-27.

246– ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.33، البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

247– البيذق، أخبار المهدي، ص.67.

248– ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص. 32.

إن صاحب البيان زوّدنا بتفاصيل أكثر من روايتي صاحب التعريف، وكذا صاحب أخبار المهدي، وبالرغم من أن ابن عذاري لم يحاول أن يجعل من القاضي عياض فاعلا في أحداث اغتيال الموحدين، وإشعال النار في البرج الذي تحصنوا فيه، إلا أنه لم ينف دوره في هذه الثورة، التي حولته إلى زعيم من خلال قيامه بالبحث عن قيادة جديدة للمدينة. غير أن الأمر في منظورنا لا يتعلق بأزمة سياسية تخبطت فيها مدينة سبتة، وإنما المسألة كانت تتعلق بالبحث عن قوة عسكرية قادرة على حماية المدينة. وإلا فلماذا يلجأ القاضي عياض أو أهل سبتة في طلب والي لمدينتهم وأن القاضي عياض يحظى بثقة سكان المدينة ؟

فلا يستبعد أن يكون أهل سبتة ومعهم القاضي عياض بعدما رأوا انشغال الموحدين بمواجهة الثورات والتمردات بمنطقة سوس ودكالة وتامسنا إلا أن يزداد حماسهم للقيام بثورتهم ضد الموحدين واتصالهم بابن غانية. غير أنه كيف ما كانت مبررات انتفاضتهم ضد سلطة الدولة الجديدة، فإن لا شيء كان يحتم عليهم الانتقام من الموحدين على تلك الشاكلة الواردة في النص أعلاه. وإذا ما سلمنا بصحة المعطيات الإخبارية لابن عذاري، فإن موقف عياض من الموحدين لم يكن يعبر عن موقف ساكنة المدينة عندما لجأ القاضي إلى تقديم بيعته للخليفة عبد المؤمن في سلا[249]، أم أن سلوك الموحدين بمدينة سبتة قد تعارض مع طموحات بعض فئات المجتمع السبتي وخاصة منها فئة التجار، خصوصا إذا علمنا بالأهمية التجارية لهذه المنطقة[250] ؟

فالنصوص –المتوفرة– لا تسمح لنا بتقديم إجابة صريحة في هذا الشأن، غير أن ما يمكن التأكيد عليه في هذا الصدد هو أن الثورة كانت خطيرة بدليل الانتقام الذي تعرضت له المدينة –دون سكانها– حيث تم اللجوء إلى هدم سورها

249– محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، ص.12.

250– الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، دون تاريخ، ص.528-529.

بعدما تقدم قاضيها من جديد لطلب العفو من المسؤولين الموحدين وكذا السماح بفك الحصار عن مدينتهم[251]، كما تم نفي وتغريب القاضي عياض إلى العاصمة مراكش[252]. فهذا الإجراء التأديبي لا يمكن أن يكون إلا إذا ثبت فعلا عن القاضي بأنه متورط بشكل أو بآخر مع الثوار. ورغم محاولة ابنه الدفاع عن والده، فهو لم يلبث أن اعترف بتأييد عياض للصحراوي، على الأقل من خلال استمرارية مزاولته لمهنة القضاء عند مجيء هذا الأخير ودخوله إلى مدينة سبتة[253].

فإذا جاز لنا الأخذ بمعطيات مختلف النصوص، فإننا نرى بأن حدة خطورة ثورة سبتة تكمن في تغييب نصوص القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي لوقائع هذا الرفض لسلطة الموحدين، وكذا عدم ذكر معلومات عن أطوار هذا العصيان والتمرد، على الأقل ما يتعلق منها بإجراء قتل الموحدين وإحراقهم داخل المدينة. ولعل ذلك هو ما دفع بصاحب كتاب "التعريف" أن يقفز عن ذكر أحداث هذه الثورة، التي تعتبر في نظره ذكرى غير مرغوب في التأمل فيها، سواء بالنسبة له حفاظا على مكانته الاجتماعية[254]، أو بالنسبة للسلطة المركزية الموحدية التي تحاول تهميش كل من عارضها، وذلك ما يستنتج من خلال الصورة الباهتة التي أمدنا بها كتاب الاستبصار عن سبتة، والتي لا تتناسب مع مكانتها الاقتصادية والثقافية في بلاد المغرب خلال تلك الفترة[255].

251- ويذكر ابن أبي زرع بأن الذي تقدم بطلب العفو هم أشياخ المدينة وطلبتها فعفا عنهم وعن القاضي عياض وصدر أمر الخليفة عبد المؤمن بهدم سور سبتة. محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12-13، البيذق، أخبار المهدي، ص.68، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.276، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.37، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.191.

252- أما ابن خلدون فيذكر رواية أخرى يتحدث فيها عن نفي القاضي عياض إلى منطقة تادلا حيث تم تكليفه بخطة القضاء بالبادية إلى أن توفي هناك، ويرجع صاحب العبر قرار الموحدين هذا إلى موقف عياض الذي تولى الدفاع عن المدينة ضد المصامدة فسخطته الدولة على حد قول ابن خلدون. محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12-13، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص.191. ابن خلدون، العبر، ج6، ص.271.

253- محمد بن عياض، التعريف، م.س، ص.12.

254- وذلك بحكم ممارسته القضاء في دانية وغرناطة بالأندلس الموحدية، راجع مقدمة التحقيق لكتاب "التعريف بالقاضي عياض"، ص.2-4.

255- مجهول الاستبصار، ص.137-138. وحول الأهمية الاقتصادية والثقافية لمدينة سبتة خلال العصر الوسيط يمكن الرجوع إلى: محمد بن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، الرباط، 1983، ص.27-52.

المبحث 24 :

ثورة بعض مدن الأندلس على الموحدين

بزعامة البطروجي وابن قيسي عام 542هـ/1147م

لا تتحدث المصادر المغربية والأندلسية عن أسباب هذه الثورات بشكل مباشر، غير أنها تقدم معطيات يمكن من خلالها استنتاج بعض المؤشرات الدالة عن أسباب حدوث هذه الاهتزازات السياسية التي عرفتها شبه الجزيرة منذ البدايات الأولى لخضوعها للسلطة الموحدية.

يمكننا البيان المغرب من بعض العناصر التي بإمكانها تفسير دوافع قيام هذه الانتفاضات، ذلك أن ظهورها لم يتم إلا عندما عزم أخوا المهدي بن تومرت "عيسى" و"عبد العزيز" على الإيقاع بالبطروجي صاحب "لبلة"، إثرها استقل هذا الزعيم الأندلسي بهذه المدينة وغيرها مثل مدينتي "طلياطة" و"حصن القصر" وذلك بالاعتماد على جماعة من أصحابه، كما استطاع طرد الموحدين من مدينة لبلة، وتم بذلك الإعلان عن انتفاضة هذه الحواضر واستقلالها عن سلطة المصامدة[256] لتبدأ بعدها حركة عصيان باقي المدن التي خضعت للموحدين، ما عدا مدينتي "شريش" و"رندة"، هذه الأخيرة التي ثبت صاحبها "أبو الغمر بن عزون" على طاعة الموحدين[257].

فأسباب قيام ثورة الأندلسيين على السلطة المركزية الموحدية تتمثل حسب ما ذكره ابن عذاري[258] فيما قام به أخوا "المهدي بن تومرت" وابن عمهما يصلاتن وجماعة من الجيش الموحدي في مدينة إشبيلية من إعدام الناس والسطو على أموالهم.

256– ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.38.

257– ابن عذاري، م.س، ص.38.

258– ابن عذاري، م.س، ص.38.

إن المصادر في سياق سردها وتتبعها لأحداث انتفاضة المدن الأندلسية عن الموحدين، تجعلنا من الصعب وصف ذلك بالثورة على النظام، بقدر ما هي فقط تعبير عن رفض لسلوك جماعة لا تشكل إلا طرفا في السلطة الجديدة، أي دون أن تكون ممثلة للموقف الرسمي للدولة الموحدية[259]، ولذلك لم يكن جانب التنظيم والتأطير حاضرا في هذه الانتفاضات باستثناء حالات نادرة.

ولا تحدثنا النصوص كذلك عن تنسيق بين زعماء هذه الاهتزازات والانتفاضات ضد السلطة الموحدية، ولذلك لم تمر هذه الثورات بمراحل معينة، بقدر ما كانت عبارة عن خطوات للسيطرة على مدينة أو قرية محددة، وهذا ما حدث عندما قام "البطروجي" بالخروج مختفيا من مدينة إشبيلية حيث تحرك ليلا باتجاه لبلة، واستطاع برفقة جماعة من أصحابه أن يشعل بها فتيل الثورة، وقام بطرد الموحدين منها ثم أرسل بعد ذلك إلى "طلياطلة" و"حصن القصر" من سيطر عليهما، في وقت تمكن فيه ابن غانية من إخضاع الجزيرة الخضراء[260].

لقد تم القضاء على معظم أشكال هذه الثورة وبؤر انتشارها والتي لم تدم أكثر من سنتين، ما عدا حركة "ابن قسي" التي لم تنته إلا بعد مقتل زعيمها سنة 546هـ/1151-1152م[261].

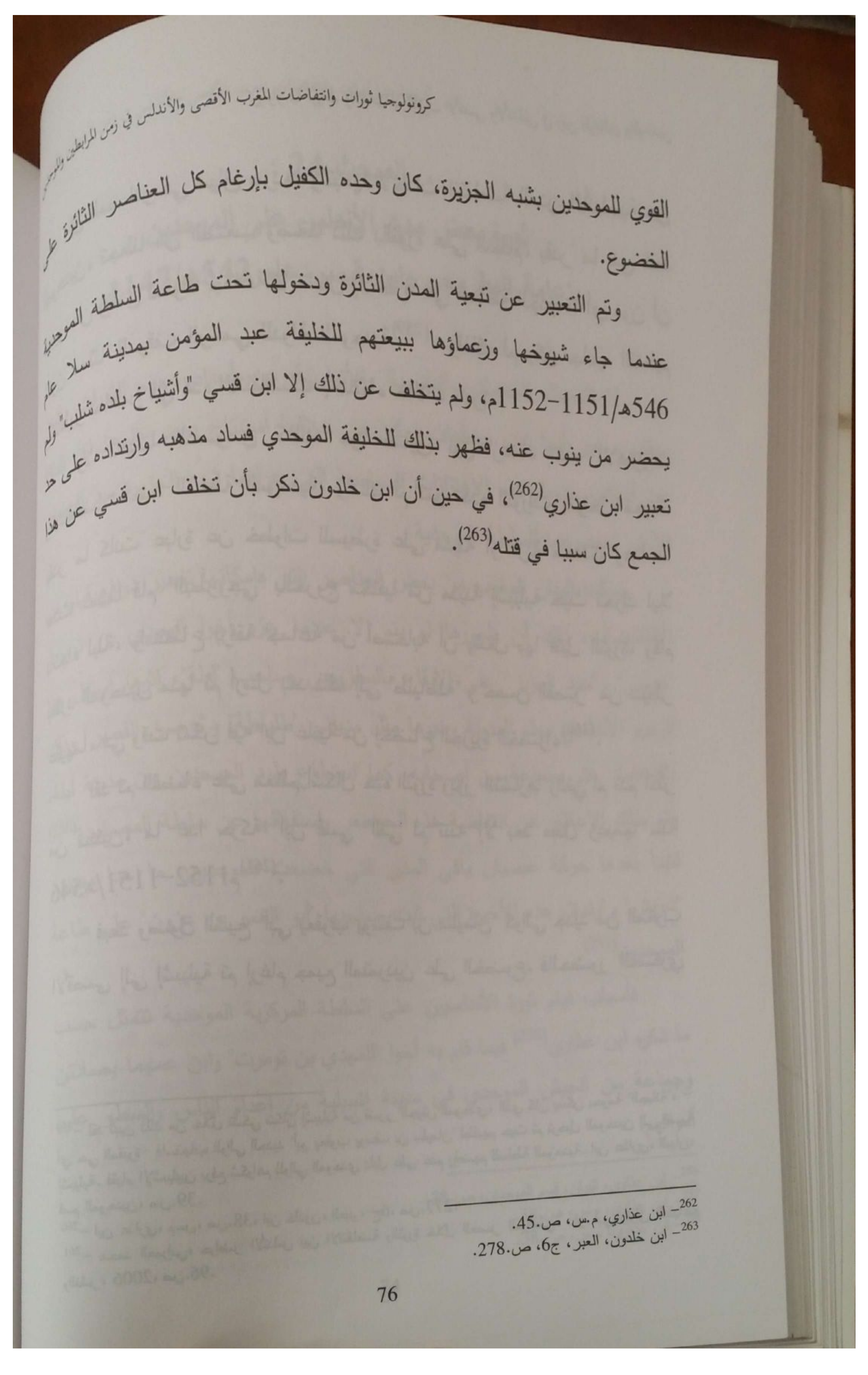
فبعد وصول الشيخ "أبي يعقوب يوسف بن سليمان" كوالي جديد من المغرب الأقصى إلى إشبيلية تم إرغام جميع المتمردين على الخضوع. فالحضور العسكري

---

[259]- لقد تبين ذلك من خلال تشكي سكان إشبيلية من ضرر الجيش الموحدي، الذي كان يسكن بحومة "الجبانة"، - أي حي المقبرة- فاستجاب الوالي الجديد "أبو يعقوب يوسف بن سليمان" لطلبهم حيث تم ترحيل الموحدين إلى قصبة إشبيلية. فقيام الإشبيليين برفع شكواهم للوالي الموحدي دليل على عدم رفضهم للسلطة الموحدية. ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.39.

[260]- ابن عذاري، م.س، ص.38، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.277.

[261]- محمد العمراني، حواضر الأندلس بين الانتفاضة والثورة خلال العصر المرابطي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2006، ص.96.



القوي للموحدين بشبه الجزيرة، كان وحده الكفيل بإرغام كل العناصر الثائرة على الخضوع.

وتم التعبير عن تبعية المدن الثائرة ودخولها تحت طاعة السلطة الموحدية عندما جاء شيوخها وزعماؤها ببيعتهم للخليفة عبد المؤمن بمدينة سلا عام 546هـ/1151-1152م، ولم يتخلف عن ذلك إلا ابن قسي "وأشياخ بلده شلب" ولم يحضر من ينوب عنه، فظهر بذلك للخليفة الموحدي فساد مذهبه وارتداده على حد تعبير ابن عذاري[262]، في حين أن ابن خلدون ذكر بأن تخلف ابن قسي عن هذا الجمع كان سببا في قتله[263].

262 – ابن عذاري، م.س، ص.45.

263 – ابن خلدون، العبر، ج6، ص.278.

المبحث 25 :
تمرد مدينة طبيرة عن سلطة الموحدين
بزعامة علي الوهيبي 546-563هـ/1151-1168م

تحدثنا النصوص التاريخية عن خروج هذه المدينة عن قبضة الموحدين منذ سنة 546هـ/1151-1152م، وهو التاريخ الذي بايعت فيه المدينة الخليفة عبد المؤمن، وإلى حدود سنة 563هـ/1167-1168م، وهو تاريخ دخول الجيش الموحدي لها وجعل حد لتمردها[264].

وتجمع الكتابات الوسيطية تقريبا حول اسم زعيم تمرد مدينة "طبيرة"، وتذكره باسم "علي الوهيبي"[265]، غير أن ابن صاحب الصلاة يحدثنا عن اسم آخر هو "عبد الله بن عبيد الله"[266]، ولا تفيدنا المعلومات المتوفرة عنه في تحديد وضعيته الاجتماعية ومكانته الفكرية، فهي تكتفي بنعته بالغادر الثائر والشقي[267]، كما نعتت جماعته بأهل الشر والفسق[268].

وقد حاولت الرواية الموحدية تقزيم الجماعة الثائرة بمدينة طبيرة، فاتهمتها باللصوصية، من خلال نهب أموال المسافرين والتجار[269]، غير أن تحليل

264- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك)، المن بالإمامة، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1987، ص.284، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.103.

265- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.56، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص.265، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.279.

266- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.283. وقد ذكر الدكتور عبد الهادي التازي أنه لم يقف على ذكر لعبد الله بن عبيد الله هذا، غير أنه في تقديرنا وبناء على مقارنة بين ما أورده صاحب "المن بالإمامة" وما جاء بشكل خاص عند صاحب البيان -قسم الموحدين- يؤكد على أن "عبد الله بن عبيد الله" هو نفسه "علي الوهيبي". وإلا فإنه قد يكون هو الرجل الثاني الذي خلف "علي الوهيبي" في قيادة تمرد مدينة طبيرة، خصوصا وأن المصادر لم تخبرنا بمعلومات عن نهاية هذا المتمرد، هل ظل على قيد الحياة إلى حدود 563هـ/1167-1168م، أم لا؟

267- ابن صاحب الصلاة، م.س، ص.283، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.52.

268- ابن صاحب الصلاة، م.س، ص.284، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.103.

269- ابن صاحب الصلاة، م.س، ص.284.

معطيات النصوص القليلة المتوفرة تمكننا من ملامسة بعض العناصر المفسرة لتمرد هذه المدينة.

ذلك أن مدينة طبيرة تتوفر على موقع استراتيجي يجعلها تستفيد من النشاط التجاري، والذي كان يربط العدوة المغربية ببلاد غرب الأندلس[270]، ولم تستفد المدينة من موقعها البحري فقط، بل استفادت كذلك من التجارة البرية، والتي عرفت نشاطا بفضل أهمية حركة المسافرين[271]. فكانت هذه العوامل على ما يبدو دافعا وراء تفكير "علي الوهيبي" وجماعته في اللجوء إلى احتكار السلطة بمدينة طبيرة، وإعلان استقلالها عن سلطة الموحدين. ذاك أن الرغبة في الاستفادة من عمليات العبور، ومداخيل التجارة البحرية إضافة إلى الاستفادة من نشاط الصيد البحري، كانت إحدى دوافع هذا التمرد، ولم يكن الدافع لذلك هو رفض الدعوة الموحدية كاتجاه مذهبي، أو السلطة الموحدية كاختيار سياسي. دليلنا فيما ذهبنا إليه، هو أنه في إحدى المواجهات العسكرية بين الموحدين من جهة وبين الجماعة المتمردة بزعامة "علي الوهيبي" من جهة أخرى عام 559هـ/1157-1158م، فضل الموحدون "**المصالحة والقنوع من الوهيبي المذكور باللفظ في الخطبة، فصولح على اختياره وقنع منه بإقراره**"[272]. وهذا ما يفسر لنا بشكل واضح أن هاجس الرغبة في احتكار التجارة والاستئثار بمواردها المالية يعتبر عاملا من بين عوامل أسباب قيام هذا التمرد والعصيان لساكنة مدينة طبيرة.

ويمكن القول أن استمرار عصيان هذه المدينة وخروجها عن سلطة الموحدين ما بين سنتي 546 و 563هـ/1151-1168م وصمود ساكنتها في وجه الحصار الذي كانت تفرضه جيوش الدولة الموحدية، والذي كانت تصل مدته إلى شهرين أحيانا كما هو الشأن سنة 552هـ/1157-1158م، دون أن تستسلم المدينة، يفسر

270- ابن صاحب الصلاة، م.س، ص.284.

271- المصدر نفسه.

272- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.57.

بأن هذه الجماعة الثائرة كانت تتوفر على ثروة هامة وقوة عسكرية مكنتها من الوقوف في وجه جيش دولة بكاملها[273].

وفي تقديرنا أن الجماعة الثائرة قد تشكلت من فئة التجار، والتي عملت جاهدة على الحفاظ على استمرار استفادتها من مداخيل التجارة، مما جعلها تستحوذ على النشاط التجاري بغرب الأندلس، ففكرت –على ما يبدو– في توسيع هذا النشاط من خلال ضم مراكز أخرى بالمنطقة كما هو الشأن بالنسبة لمدينة "لبلة"[274].

ولم يكن حدث ثورة مدينة "طبيرة" بزعامة "علي الوهيبي" أمرا عابرا دون أهمية له تذكر بالنسبة للموحدين بالأندلس، بل كان يشكل عبئا ثقيلا إن لم نقل هما سياسيا لدى المسؤولين في الدولة. ولعل دليلنا فيما ذهبنا إليه أنه بعد استرجاع طبيرة إلى السيطرة المصمودية عبر الخليفة "أبو يعقوب يوسف" عن سروره "**بارتفاع شغبها، وانقطاع نفاقها الطائل في السنين ونوبها**"[275].

273- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973، ص.265، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.56.

274- يقول عنها الإدريسي أنها مدينة حسنة أزلية متوسطة القدر ولها سور منيع، وتبعد عن البحر المحيط بستة أميال، كما توجد بها أسواق وتجارات ومنافع. ويضيف صاحب الروض المعطار قائلا: بأن لبلة تتوفر على مآثر قديمة كما حدد موقع المدينة بغرب الأندلس. الإدريسي، م.س، ص.541. الحميري(عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984، ص.507.

275- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.284.

المبحث 26 :

ثورة قبيلة هرغة وأهل تنملل بزعامة عيسى وعبد العزيز وابن عمهما يصلاتن بالمغرب الأقصى خلال سنتي 547 و 548هـ/1152-1153م

يمكن تحديد الفترة الزمنية لهذه التمردات بين فتح بجاية من قبل الموحدين عام 547هـ/1152-1153م[276]، وإعلان ولاية العهد لأبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن عام 548هـ/1153-1154م[277]، غير أن الأسباب المفسرة لهذا العصيان تعود إلى فترة سابقة عن هذا التحديد الزمني، قد تصل إلى مرحلة تسلم "عبد المؤمن" القيادة السياسية للحركة الموحدية سنة 524هـ/1130م[278].

وإذا كانت معظم المصادر الوسيطية قد أشارت إلى هذه الوقائع، إلا أن ما يلاحظ عليها هو عدم وجود اختلافات كبيرة فيما بينها حول تفسيرها لأحداث الثورة، ويرجع ذلك في اعتقادنا إلى تبنيها التفسير الرسمي الذي قدمه الخليفة عبد المؤمن في إحدى رسائله[279]. ولعل ما يلفت النظر في هذا الصدد هو أن الكتابات الموحدية قد قفزت عن ذكر هذه الأحداث، باستثناء البيذق الذي اكتفى بسردها دون أن يفصح عن دوافع قيامها[280]، ورغم ذلك فإن رواية "أخبار المهدي" قد كشفت لنا

276– ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.194، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.45.

277–لقد ذكر ابن عذاري أن هذه البيعة تمت في مدينة سلا عام 548هـ/1153-1154م، بينما نجد صاحب القرطاس يشير إلى أنها تمت سنة 549هـ/1154-1155م ولا يوافقه في ذلك صاحب العبر الذي حدد تاريخ هذه البيعة في 547هـ/1152-1153م. ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.49، ابن أبي زرع، القرطاس، ص.194، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.279.

278– يشير ابن أبي زرع بأنه بعد وفاة المهدي بن تومرت تم إخفاء خبر موته، ولم يعلم به أحد إلا عبد المؤمن وأصحابه العشرة، فبقي موته في طي الكتمان ثلاث سنوات، وهم يدبرون الأمر، وذلك بسياسة ظاهرة من عبد المؤمن في ذلك الوقت على حد تعبير صاحب القرطاس. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.184.

279– ليفي بروفسال، مجموع رسائل موحدية، الرباط، 1941، الرسالة رقم 11، ص.38-47.

280– البيذق، أخبار المهدي، ص.76.

عن جوانب هامة من هذه الثورة التي مرت حسب هذا المصدر بمرحلتين وهما كالآتي :

- الأولى تمت بعد مقتل يصلاتن بن المعز[281] عام 547هـ/1152-1153م[282].
- والثانية بعد إعلان أبي عبد الله محمد ابن الخليفة عبد المؤمن وليا للعهد[283]، فما هي الأطراف التي قامت بالثورة؟

يحددها البيذق في قبيلة هرغة وأهل تينملل[284]، بصيغة أخرى أن الثوار ينتمون إلى العصبية المصمودية، ويشكلون دعامة أساسية للسلطة الموحدية الحاكمة.

لقد انحصر تأطير هذه الثورة في ثلاثة أشخاص من قرابة المهدي بن تومرت وهم: عيسى وعبد العزيز أخوي المهدي ثم صهرهما "يصلاسن". فالرواية الرسمية أعطت مكانة هامة لهذا الأخير في تدبيره لهذا الخلاف: "**...وكان لهم في الشقي فلان عمدة كبرى، وعدة أجرى لها القدر من حكمه المستأصل ما أجرى...**"[285].

واتضح موقف هؤلاء الزعماء الثلاثة وأتباعهم عند إخضاع الموحدين للبلاد الشرقية "**فلما كانت الغزوة التي فتحت فيها بجاية وسائر تلك البلاد المشرقية**

281- يذكره البيذق في كتابه "المقتبس من كتاب الأنساب" بأنه من أهل دار المهدي بن تومرت، وبأن اسمه هو الشيخ أبو محمد يصلاتن الهرغي. أما ابن عذاري فيشير إلى أن يصلاتن هو ابن عم المهدي بن تومرت، غير أنه في موضع آخر يذكر بأنه صهر أخوي المهدي عيسى وعبد العزيز، وفي موضع ثالث يشير صاحب البيان إلى أن هذا الشخص يسمى "يصلاتن الزناتي"، أما صاحب القرطاس فيذكر بأنه قريب المهدي. البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص.26، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.22، 39 و 47، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.195.

282- البيذق، أخبار المهدي، ص.76.

283- البيذق، أخبار المهدي، ص.78-79.

284- يقول البيذق، عن هرغة أنهم السابقون إلى دعوة المهدي بن تومرت، وأنهم أنصاره. وما يلاحظ عند هذا المؤرخ أنه عند ذكره لهذه القبيلة، أثناء سرده لوقائع التمييز على عهد ابن تومرت، لم يتبعها بعبارات التمجيد كما فعل مع أهل تينملل الذين يقرن ذكرهم بقوله نصرهم الله، وأشار بأن لهم من الأفخاد إحدى عشر. البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص.37، وص.43.

285- مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، الرسالة رقم 11، ص.42.

وظهر فيها من نصر الله هناك العجب العجاب، وتأتي بها من غرائب التسهيل والتيسير ما بهر العقول والألباب، ثارت كوامن حسدهم تطرق وتنتاب، وأنفرت حيات إذايتهم تنسل وتنساب وسلكوا في التحريب والتخريب مسلكا لا يشك فيه ولا يرتاب..."[286].

إن الأسباب في منظورنا أعمق من ذلك، فهي ترجع إلى رغبة الخليفة عبد المؤمن في احتكار سلطة القرار السياسي والعسكري، غير أن ذلك يتعارض مع طموحات هرغة وتينملل، وخاصة أسرة محمد بن تومرت التي كانت ترى أن السلطة السياسية قد اغتصبت منها. فقد كان عبد المؤمن يشعر بمدى خطورة يصلاسن وأتباعه، ولعل ذلك هو ما جعله يتخذ أسلوب الاغتيال وسيلة لمحو أثرهم[287]، وتمت محاصرة البعض الآخر واعتقالهم[288]، ويستفاد من سياق مضمون الرسالة الرسمية أن مجال تحرك الثوار قد شمل كذلك المناطق الجبلية[289].

إذا كانت المرحلة الأولى من هذه الثورة قد أدت إلى التخلص من مجموعة من الثوار قتلا وسجنا، فإن السلطة المركزية الموحدية لم تلجأ إلى تصفية كل العناصر، فقد احتفظت بزعيمين هما عيسى وعبد العزيز حيث تم نفيهما إلى مدينة فاس بمعية أهليهما وأبنائها «**لينزلوا بقرارتها خير منزل، ويكونوا لتمييز أحوالهم هناك بمعزل، وأمر لهم بما يقوم بهم من المؤاسات، والمحترث والجنات...**»[290].

ويظهر أن الخليفة عبد المؤمن قد برر موقفه هذا من أخوي المهدي بن تومرت بكون تهمة تورطهما في أحداث هذه الانتفاضة لم تكن فعلية ولم يصل مشروعهما الثوري إلى حيز التطبيق، فكانت الغاية القصوى في عقوبتهما من طرف

286– مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.42.

287– مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.43.

288– مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.43.

289– مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.43.

290– مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.43.

الخليفة عبد المؤمن هي «**التجاوز عن عظيم ما اجترحا، والتغافل عن مؤلم ما تمنيا واقترحا...**»[291]. وتبين من خلال المصادر كذلك أن السلطة الموحدية لم تستطع إلقاء القبض على كل المشتبه فيهم خلال المرحلة الأولى من هذه الثورة، ذلك أنه في إطار التمهيد للمرحلة الثانية منها تم الاتصال بين عيسى وعبد العزيز وبين أعداد كبيرة من أهل مراكش[292]، وهذا ما يؤكد على أن الثوار قد وظفوا آليات الأسلوب السري في تنظيم حركتهم الثورية.

إن الدافع وراء قيام هذه التمردات التي تزعمتها أسرة محمد بن تومرت هو تقديم الخليفة لابنه محمد وليا للعهد[293]، فالأمر يتعلق بتركيز السلطة في يد الأسرة المؤمنية، وتوجيه الحركة الموحدية لخدمة أهداف الخليفة عبد المؤمن وعصبيته "كومية" عوض تلبية متطلبات المصامدة الذين احتضنوا الحركة التومرتية في مهدها.

فهذا العامل يفسر لنا إلى أي مدى كان الصراع قائما حول القيادة السياسية للحركة الموحدية، كما أن ذلك يكشف بشكل صريح عن وجود معارضة داخل النظام السياسي للدولة الموحدية أساسها رفض قيادة الحركة الموحدية ومؤسسات دولتها من طرف الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي.

لقد شكلت هذه الثورة بالفعل خطورة على الجهاز المركزي للدولة الموحدية، فطريقة قيامها كما جاءت في سياق الكتابة المصدرية يؤدي بنا إلى القول بأنها كانت منظمة، وأن ذلك استغرق مدة طويلة لا يستبعد أن تكون منذ الفترة التي بويع

291- مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.43.

292- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.50، مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.44.

293- علاش محمادي، نظام الحكم عند الموحدين، المذهب والمؤسسات، رسالة دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال، الرباط، 1984، ص.235.

Le TOURNEAU (A), du mouvement almohade a la Dynastie Muminide: la Révolte des frères D'Ibn Tumart de 1153 à 1156, in mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman, Tome. II, 1957, p.113.

فيها عبد المؤمن بالخلافة. ولعل انتقال الأسرة التومرتية إلى هذا الأسلوب العنيف هو إحساسها بنية عبد المؤمن وعزمه في تحويل الخلافة إلى ملك وراثي داخل أسرته [294]، وكذا شعورهم بدخول العرب وقبيلة كومية الزناتية إلى المغرب الأقصى، وهو ما يشكل خطرا على المصامدة الذين سيتراجع دورهم على حساب تزايد القبائل المذكورة.

وإذا كانت المرحلة الأولى من الثورة لم تسجل لنا أحداث عنف من طرف الثوار، فمرد ذلك، على ما يبدو، إلى أن التفكير في تقديم ولاية العهد لمحمد بن عبد المؤمن لم تتجاوز إطار الإشاعة لذلك تحرك الثوار لكن دون أن يصل مشروعهم السياسي إلى مرحلة العنف الثوري [295].

وقد سجلت لنا الرسالة الموحدية السابقة الذكر [296] الظروف التي قامت فيها ثورة آيت مغار، كما سردت الوقائع بشكل دقيق ومفصل، وكشفت لنا بأن هذه الأحداث ترتبط بمحاولة انقلابية ضد سلطة الخليفة عبد المؤمن، وذلك عندما قرر زعيمي الثورة عيسى وعبد العزيز التوجه إلى مراكش والسيطرة عليها، وقد استغل زعيمي الثورة وأنصارهما فرصة غياب الخليفة عن عاصمة الدولة الموحدية، إذ كان عبد المؤمن ومعه رجالات الدولة وأعضاء الجهاز المركزي العسكري والسياسي الموحدي متواجدين بمدينة رباط الفتح [297]. ويضاف إلى ذلك أن اختيار مدينة

294– Merad (ALI), ABD Al'Mu'min à la conquête de l'Afriques du nord, op.cit, p.136.

295– إذا ما جاز لنا الأخذ برواية ابن عذاري، فإن شيوع أخبار ولاية العهد لأبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن قد بدأت منذ رجوع الخليفة الموحدي إلى مراكش بعد غزوة بجاية، فوصل وفد إشبيلية للتهنئة وقام فيهم القاضي أبو موسى عيسى بن عمران فأنشد قصيدة في معنى التحريض على البيعة لابن الخليفة المذكور على حد قول صاحب البيان. ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.48.

296– مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، الرسالة الحادية عشرة، ص.44-46.

297– إن هذا التواجد العسكري الرسمي برباط الفتح كان –على ما يبدو– هو الدافع وراء اختيار عيسى وعبد العزيز التوجه عبر طريق تادلا، هذا بالإضافة إلى أن أتباع هذا المسلك سيكون فرصة مناسبة لهما لإمكانية توسيع قاعدتهما من خلال ضم عناصر جديدة من بلاد صنهاجة إلى صفوف الثورة، وهذا ما عبرت عنه الرسالة الرسمية الموحدية بشكل واضح. في حين أن روجي لوتورنو له رأي آخر ويتمثل في كون الذهاب إلى مراكش عبر الطريق المذكور قد تحكّم فيه بالأساس اختيار أسرع المسالك إلى عاصمة الموحدين.

Le tourneau (R), op.cit, p.113.

مراكش قد أملته عليهما مشروعية هذه المدينة باعتبارها رمزا للسلطة بالمغرب الأقصى خلال تلك الفترة، فمن تمكن منها وجبت طاعته، كما أن هذا الاختيار فرضته طبيعة التنسيق الذي تم بين زعيمي الثورة وأتباعهما في هذه الحاضرة[298]، بل إن قناعة عيسى وعبد العزيز بشروط نجاح مشروعهما الثوري هو ما دفع بهما إلى التعجيل بالوصول إلى مراكش للسيطرة عليها، وفي نفس الوقت للتقليل من أهمية الحدث الذي شهده رباط الفتح[299]، والمتمثل في عقد البيعة لأبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن، وكأن هذه البيعة لا تستند على مشروعية لأنها تمت خارج عاصمة دولة المصامدة مراكش.

وكيف ما كانت دوافع رغبة الثوار في أن تكون مراكش كمنطلق لثورتهم، فإن ذلك لا يمكن أن يكون بمحض الصدفة، بل إن ذلك تم التخطيط له سلفا بدليل أن النصوص تؤكد على وجود شبكة من أتباع عيسى وعبد العزيز وصل عدد المنخرطين فيها حسب بعض المصادر إلى ثلاثمائة شخص[300]. ولا شك أن المساندين للثوار كان عددهم أكثر بكثير من هذا الرقم، وأن ما جاء به البيذق لا يتعلق سوى بالأسماء التي تم العثور عليها في بعض منشورات عيسى وعبد العزيز[301]. الشيء الذي يقودنا إلى الاستنتاج التالي وهو أن هؤلاء الثلاثمائة من

298- مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.44، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.279.

299- نقصد بذلك حدث البيعة لابن الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي بولاية العهد، وأكد بعض الباحثين على أن اختيار رباط الفتح من قبل الخليفة عبد المؤمن، كان تحسبا منه لأي ردود فعل أو حدوث تمرد، كما ذهب علي مراد، أو بعيدا عن العاصمة السياسية مراكش، وعن العاصمة الروحية تنمل، كما ذهب محمادي علاش. ويبدو في نظرنا أن هناك عاملا آخر وهو المتعلق بمحاولة إعطاء مشروعية لمدينة رباط الفتح كمدينة مؤمنية ما دامت ترتبط بدلالات رمزية كعبور وادي سلا سباحة على عهد المهدي بن تومرت، وكذا نضوبه عندما كان الخليفة المذكور متوجها إلى فتح بجاية عام 546هـ/1151-1152م.

Merad (Ali), op.cit, p.146.

علاش محمادي، نظام الحكم عند الموحدين، م.س، ص.234، ابن القطان، نظم الجمان، ص.185، مع هامش رقم.5.

300- البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص.79.

301- البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص.79.

أصحاب الثائرين ما هم في واقع الأمر إلا دعاة لهم، خصوصا وأن الخليفة عبد المؤمن قد اعترف بوجود هذا التنظيم ضمن رسالته[302].

إن هذه الشبكة بالعاصمة مراكش قد ساعد دون شك في جر أتباع لصفوف آيت أمغار من أسرة محمد بن تومرت الزعيم المذهبي للدولة الموحدية، دليلنا فيما ذهبنا إليه هو أن البحث لم يتوقف بقتل الأفراد المذكورين في اللائحة، بل استمر بعد ذلك ليشمل كل من تم اتهامه أو الشك في علاقته بالثوار[303].

لقد انتهت الثورة بالفشل وذلك بعد مقتل زعيميها في عاصمة دولة الموحدين، فمات عبد العزيز عند باب الدباغين، وقتل عيسى عند باب "ابلان" ومات كاتبهم بباب "أغمات"، فتم بعد ذلك تعليقهم بباب "الشريعة" بمراكش[304]، ذلك أن حز الرؤوس وفصلها عن الأجساد[305] ليتم تعليقها في أبواب العاصمة مراكش تبقى عبرة لمن سوّلت له نفسه التفكير في مثل ذلك[306]، ويظل هذا المشهد في الوقت ذاته كذلك أسلوبا استراتيجيا يكرّس من خلاله النظام الموحدي عنف الدولة في الذاكرة المغربية.

302- مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.45-46. "...وباتوا ليلتهم تلك واثقين على ترتيب أمرهم المختل، متوكلين على أولئك المنافقين بذلك الربط المنحل... فأعثر الله على غواة الأشقياء ودعايتهم...".

303- فقد جاء في رسالة الخليفة عبد المؤمن: "...نظر بعون الله في موجب البحث والتنقيب، ونيطت بأنقاب الأمر طلائع الأرصاد والترقيب... والبحث قائم على جانب الظن والاتهام". مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.46-47.

304- البيذق، أخبار المهدي، ص.78.

305- "وكان حكم الله فيهم حز رؤوسهم من أجسادها، وتصيير نفوسهم إلى سوء مصيرها ومهادها...". مجموع رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص.47.

306- "تخطب العبر بأفنية إقناعهم وإعدادهم، ويفصح الحق أنهم المفردون يوم يدعى كل أناس بإمامهم، لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب..."، نفس المصدر، ص.46.

المبحث 27 :

ثورات وانتفاضات قبائل جزولة، لمطة، آيت بيغز وهسكورة وآيت للكست خلال العصر الموحدي ما بعد سنة 548هـ/ما بعد 1153م

لا تشير المصادر إلى هذه الانتفاضات، باستثناء البيذق الذي أوردها ضمن أحداث ما بعد 548هـ/1153م دون أن يعطي تاريخا محددا لقيامها[307]. كما أن المصادر المتأخرة، وخاصة منها المرينية، لم تعط أهمية لها لكون هذه الثورات، على ما يبدو، جاءت متزامنة مع أحداث اعتبرتها أهم، وهي المتمثلة في انتفاضة هرغة وبني أمغار[308].

فالرواية المعتمدة[309] لا تتحدث عن مظاهر هذه الانتفاضات وتجلياتها، على الأقل بالنسبة لـ "جزولة" و"لمطة"، فهي اكتفت بالإشارة فقط إلى ظهور ثائر كزولة واغتياله[310]. كما ربطت هذا العصيان بمجيء الصحراوي عند هذه القبائل بطلب منها[311]، فهل يدل ذلك على الرغبة في الخروج عن السيطرة الموحدية؟

لقد جاءت هذه الوقائع متزامنة مع مرحلة هامة بالنسبة للقيادة السياسية الموحدية، وهي التفكير في توزيع الولايات على أبناء الخليفة عبد المؤمن وتقديم ابنه أبي عبد الله محمد وليا للعهد[312]. وقد صاحب هذا الإجراء[313] ردود فعل من قبل هرغة وتينملل[314] مما قد يفسر عند جزولة بوجود تصدع داخل العصبية

307- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

308- المقصود ببني أمغار أسرة الزعيم المذهبي للدولة الموحدية محمد بن تومرت، البيذق، أخبار المهدي، ص.76.

309- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

310- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

311- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

312- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.50.

313- نقصد بذلك أخذ البيعة لابن الخليفة عبد المؤمن ثم تولية السادات أبناء هذا الخليفة الموحدي على الأقاليم والولايات بالمغرب والأندلس.

314- انظر المبحث السابق.

الحاكمة، فكانت هذه الأحداث، على ما يبدو، فرصة للقيام بالتخلص من الالتزامات المالية والضريبية المفروضة عليها من طرف السلطة الموحدية[315].

ويتضح من خلال رواية "أخبار المهدي"[316]، أن الحضور الأمني الموحدي كان متواجدا بهذه الجهة، واستطاع التخلص من الثائر "الجزولي أبي بكر بن عمر" الذي تم اغتياله[317]، غير أنه إذا تتبعنا رواية البيذق يظهر بأن قيام الثائر دام مدة من الزمن لا تقل عن ثلاث سنوات، إذ يشير في سياق سرده لأحداث سنة 552هـ/1157-1158م أنه تم اغتياله[318].

ويستنتج بأن ثورة "جزولة" قد شغلت الخليفة عبد المؤمن بنفس الأهمية التي شغلته ثورة هرغة وتنملل[319]، ولعل ما زاد من قلق الخليفة عبد المؤمن هو وقوع تمردات أخرى في صفوف لمطة وبني يبغز[320].

وهكذا يتحدث البيذق عن ظهور ثائر في صفوف قبائل لمطة[321] يسمى

315– حول النظام الضريبي خلال الفترة الموحدية يمكن الرجوع إلى: عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، م.س، ص.173–180. وكذا الهوامش المعتمدة. ويشير الباحث على أن التنظيم الضريبي الموحدي كان محكما ومقننا حتى لا يترك الفرصة لعمال الجباية أن ينهبوا أموال الدولة، غير أننا نعتقد بأن الثقل الضريبي كان ينظر إليه من قبل المجتمع أحيانا كعبء يجب التخلص منه.

316– البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

317– البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

318– البيذق، أخبار المهدي، ص.79.

319– محمد العمراني، الثورات والتمردات...، م.س، ص.68-81.

320– إن ما يعبر عن هذا الغضب هو ما جاء عند البيذق "**فقال الخليفة رضي الله عنه لأبي حفص قامت الناقة بحملها يا أبا حفص...**" البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

321– يذكر ابن خلدون أن "**لمطة من إخوة قبائل صنهاجة ويستوطنون بالسوس وما يليه من بلاد الصحراء وجبال درن ملأوا بسائطه وجباله. فلمطة أكثرهم مجاورون الملثمين من صنهاجة، ولهم شعوب كثيرة وأكثرهم ظواعن أهل وبر. ومنهم بالسوس قبيلتا زكن ولخس**"، ويذكر صاحب الاستبصار بأن "**نول لمطة في بلاد السوس، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط**"، وحسب هذا الجغرافي سميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنونها وما وراءها وهي آخر بلاد السوس. أما صاحب نزهة المشتاق فيشير بأن من قبائل لمطة هناك "مسوفة، ووشان، وتمالته ثم يشير بأن نول لمطة مدينة كبيرة عامرة على نهر يأتي إليها من جهة المشرق وعليه قبائل لمتونة ولمطة". فبهذه المدينة يذكر الإدريسي "**تصنع الدرق اللمطية والتي بها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة محملها، إضافة إلى وجود صناعة السروج واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الإبل**". كما تصنع بها "**البرانس وتتوفر بكثرة على الأبقار والأغنام**" إضافة إلى "الألبان والسمن". هذا ما جعل مدينة نول لمطة تشكل مركزا تجاريا بتلك المنطقة. ابن خلدون، العبر، ج6، ص.241، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص.224-225، مجهول، الاستبصار، ص.213.

محمد أمركال"[322] لم يخبرنا صاحب كتاب أخبار المهدي عن مصيره، في حين قدم لنا معلومات مهمة حول ثورة "آيتي يغز"[323]، والتي كانت -على ما يبدو- أكثر عنفا من سابقتها على الأقل من خلال الصيغة التي عبرت بها المصادر عن هذا التمرد. فقد قاموا بالهجوم على "تازاكورت"، وعملوا على تدميرها، وقتلوا "أومازير بن حواء الهنتاتي"[324] الذي لا شك أنه كان أحد ولاة الدولة الموحدية أو أحد عمالها من المكلفين بشؤون الضرائب والجبايات.

فقيام هذه الثورات لم يكن في واقع الأمر يدل على وجود تنسيق فيما بين الأطراف القائمة ضد الموحدين، بقدر ما كان تعبيرا عن إحساس من قبل مشعلي هذه التمردات بمدى انشغال الموحدين بقمع ثورة داخلية. ذلك أن هذا التزامن في قيام هذه التحركات القبلية يعبر في نفس الوقت عن وعي هذه القبائل بمدى خطورة الوضع الذي كانت تمر به السلطة المركزية الموحدية آنذاك[325]. فالصراع على السلطة، وكذا طرح مسألة القيادة السياسية الموحدية لما بعد فترة حكم الخليفة عبد المؤمن، كانت تشغل هذه القبائل الثائرة بنفس الاهتمام الذي كانت توليه له القبائل المصمودية عامة "وهرغة" خاصة[326].

لقد كانت قبائل لمطة، جزولة، آيت ييغز[327] تهدف من خلال قيام ثورتها استغلال انقسام السلطة الموحدية[328]، إلا أن الجهاز الحاكم أولى أهمية كبيرة لهذه الانتفاضة تجلت من خلال تجهيزه لحمله عسكرية قوية ضد هذه القبائل بقيادة

322- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

323- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

324- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

325- حول هذه الأوضاع يراجع المبحث السادس من دراستنا السابقة الذكر. محمد العمراني، الثورات والتمردات، ص68-81.

326- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

327- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

328- نقصد بذلك الطرف المصمودي، والمرتبط بأسرة بن تومرت من جهة، ثم الطرف المؤمني ذو الأصول الزناتية والمتمثل في الخليفة عبد المؤمن وأبناء الخليفة الملقبين بالسادة بني عبد المؤمن.

الشيخ أبي حفص[329]، وقد عبر الخليفة الموحدي عن غضبه أثناء حديثه مع الشيخ أبي حفص عندما صارحه بقوله **"أن الناقة قامت بحملها"** كما جاء عند صاحب أخبار المهدي[330].

وقد تزامن مع هذه العمليات التأديبية ضد الثوار قيام الموحدين بتتبع بعض القبائل الأخرى الثائرة والمتمثلة في "آيت للكست"[331]، والذين كانت انتفاضتهم ضد الموحدين بزعامة الثائر الصحراوي[332]، وتم في هذا الإطار توجيه جيش قوي ضد قبائل "للكست" تم تقسيمه إلى فرقتين كان عل قيادتهما الشيخ "أبي الحفص" و"وسنار"[333]، هذا في الوقت الذي تم فيه توجيه عسكر آخر بقيادة ثلاثية إلى "نول لمطة"[334].

ولعل ما يثير الملاحظة في رواية البيذق عن الحملات التأديبية التي شملت مجموعة من بطون قبائل "لمطة" و"جزولة" "ولكست"، أن هذا المؤرخ لم يخبرنا كعادته بعدد القتلى، غير أن الحصيلة –على ما يبدو– لم تكن مهمة بحيث تم التركيز على الغنائم بدرجة كبيرة[335]، وقد تم نهج أسلوب المهادنة مع البعض من هذه القبائل طمعا في التحاقهم بصفوف الدعوة الموحدية كما ذهب إلى ذلك صاحب "أخبار المهدي"[336]، وهذا ما حدث عندما قام أبو حفص بتدمير حصن يسمى "كستور" دون أن يلجأ إلى اغتيال ساكنته[337].

329– البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

330– البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

331– البيذق، أخبار المهدي، ص.77. ويشير صاحب المعجب إلى أن في بلاد جزولة مدينة هي بمثابة حاضرتهم تسمى "الكُسْت". وفي إحدى الرسائل الموحدية الرسمية يشير الخليفة عبد المؤمن الموحدي إلى "جماعة من قبائل جزولة الكست...". المراكشي، المعجب، ص.509، رسائل موحدية، مجموعة جديدة، تحقيق أحمد عزاوي، ج2، الرسالة، رقم 17، ص.84.

332– البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

333– البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

334– البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

335– البيذق، أخبار المهدي، ص.77. فقد ذكر في هذا الصدد "**وخرج وسنارلتا سريرت وساق غنائمهم، ثم رجع أبو حفص لهشتوكة وهزمهم وساق غنائمهم، هزم أيضا أكانكي لمطة وساق غنائمهم...**".

336– البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

337– البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

على أن اختيار هذا الأسلوب جاء كمحاولة من الخليفة الموحدي لكسب أنصار جدد لمشروع دولته المؤمنية، ولعل ذلك هو ما يفسر دخول بعض الزعامات في الدعوة الموحدية مثل "الحسين بن سليمان" صاحب تاعكيزت"[338].

وقد أثارت انتباهنا مسألة تتعلق بظهور زعامات محلية تمتعت -على ما يبدو- بسلطات واسعة داخل نطاق هذه القبائل الثائرة كما هو الشأن بالنسبة "لأهوكار" الذي نعته البيذق بأنه سلطان لمتونة[339].

فهل يمكن القول بأن هذا المجال القبلي المتاخم لأرض السودان[340]، قد تمتع بنوع من الاستقلال أو كانت له بالأحرى الحرية في تدبير أموره الداخلية منذ قيام دولة المرابطين[341]، وأن قيام الدولة الموحدية قد هدد هذا الاستقلال، مما أدى إلى ردود فعل هذه القبائل كلما سنحت لها الفرصة بذلك؟

فرغم أن المصادر لا تسعفنا في تقديم إجابة صريحة في هذا الصدد، إلا أن ما ينبغي الإشارة إليه، هو أن هذه الاستقلالية تم التأكيد عليها ضمن إحدى الرسائل الموحدية[342]، التي تم توجيهها إلى "ابن توندوت"[343] زعيم إحدى بطون

338- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

339- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

340- نقصد بذلك ما كان يعرف بالسودان الغربي.

341- إن هذا الاستقلال قد سنه رسميا الأمير المرابطي "أبو بكر بن عمر" والذي قال ليوسف بن تاشفين "**يا يوسف أنت ابن عمي ومحل أخي وأنا لا غنى لي عن معاونة إخواننا بالصحراء، ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك، وقد خلعت نفسي لك ووليتك عليه. فاستمر على تدبير ملكك وأنت حقيق به وخليق له، وما وصلت إليك إلا لامرتك في بلادك وأسلم لك الأمر وأعود في الصحراء مقر إخواننا وموضع استيطاننا...**". ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، 1980، ص.25، مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، م.س، ص.26-27.

342- رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، تحقيق أحمد عزاوي، م.س، الرسالة رقم 8، ص.25-26.

343- يشير صاحب "كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب" إلى أهل توندوت كفخذ من أفخاذ هسكورة القبيلة. وحول قبائل هسكورة خلال العصر الموحدي يراجع: البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، م.س، ص.52-53.

هسكورة[344]. فقد وجه إليه الكاتب الموحدي عتابا نظرا لأنه أيد "أهل اللثام" في تلميح منه للقبائل الصنهاجية المرتبطة بالدولة المرابطية سابقا[345]، لدرجة أنه لامه بكونه فضل "**الفيافي على مشيدات الدور**"[346]. ولعل في هذا التعبير دلالة رمزية على المجال الذي كانت تستوطنه هذه القبائل، التي لم تعرف تشييد المباني على شاكلة ما هو موجود عند الموحدين، والذي تعتبر مدينة مراكش أجلى نموذج معماري له خلال عهد الخليفة عبد المؤمن[347].

فهذه الرسالة[348] هي المصدر الوحيد –فيما نعتقد– الذي يكشف لنا عن مساهمة هسكورة إلى جانب هذه القبائل المذكورة في القيام بهذه الانتفاضات والتي

344– يتحدث ابن خلدون عن هذه القبائل قائلا : "**وأما هسكورة وهم أكثر قبائل المصامدة، وفيهم بطون كثيرة أوسعها بطن هسكورة... فكان لهم بين الموحدين مكان واعتزاز بكثرتهم وغلبهم إلا أنهم أهل بدو ولم يخالطوهم في ترفهم وإلا أنعموا في نعيمهم. وكان جبلهم الذي أوطنوه من حالة دون القنة منها والذروة. واعتصموا منه بالآفاق الفدد واليفاع الأشم والطود الشاهق، قد لمس الأفلاك بيده ونظم النجوم في مفرقة وتلفع بالسحاب في مروطة، وآوى الرياح العواصف الدجوة وألقى إلى خبر السماء بإذنه، وأظل على البحر الأخضر بشماريخه، واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره، وأقام سائر جبال درن في حجره**". ابن خلدون، العبر، ج6، ص.311-312. ويشير في موضع آخر إلى أن هسكورة هم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة. ابن خلدون، العبر، ج6، ص.241. وقد خصص الأستاذ أحمد التوفيق فصلا هاما، في دراسته عن إينولتان، لهسكورة، وتطورها التاريخي ما قبل الفتح الإسلامي وأشار إلى تحكم هذه القبائل في المحطات التجارية الهامة كما هو الشأن بين سجلماسة وأغمات وبين "أغمات" و"داي" و"فاس". وللمزيد من التفاصيل حول هسكورة من حيث إمكانياتها الطبيعية في العصور التاريخية الماضية وعلاقتها بالمؤسسات السياسية الحاكمة وخاصة خلال الفترة الموحدية التي نهتم بها في هذا المبحث. ويمكن الرجوع في هذا الصدد إلى: أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1983، ص.59-70.

345– فيقول له "...**وصرت بعد الإمارة لأهل اللثام عبدا...**". رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، تحقيق أحمد عزاوي، م.س، الرسالة رقم 8. ص.25.

346– رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، تحقيق أحمد عزاوي، م.س، الرسالة رقم 8. ص.25.

347– حول أهمية مراكش خلال فترة حكم الخليفة عبد المؤمن يمكن الرجوع إلى: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص.233-235، الزهري، كتاب الجغرافية، بالعين المهملة، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دون تاريخ، ص.115-116. وقد أورد الزهري وصفا رائعا لمراكش على عهد الخليفة عبد المؤمن.

348– حول هذه الرسالة يراجع : رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، تحقيق أحمد عزاوي، م.س، ج1، ص.47، وج2، ص.24.

كان ظهورها في فترة ما بين 548هـ/1153م و 552هـ/1158م[349].

وفي تقديرنا يبقى من الصعب الوقوف عن العوامل المفسرة لمساهمة "هسكورة" في هذه الثورات، خصوصا وأن باقي المصادر قد التزمت الصمت عن ذلك باستثناء الرسالة المشار إليها أعلاه[350]. على أن الذي تمدنا به هذه الوثيقة هو أن الرغبة في الحصول على الأموال، وكذا الوصول إلى السلطة كانت دون شك وراء هذا الاختيار الذي سلكه "ابن توندوت" في مساندة لمتونة، ذلك ما بينته تلك الرسالة عندما أشارات بأن ما أقدم عليه هذا الزعيم ما هو في حقيقة الأمر إلا موقفا انفراديا الشيء الذي يفسر تنكر قبائل هسكورة له[351].

لقم تم القضاء على كل هذه التمردات وذلك راجع إلى عزم الموحدين على إنهاء كل أشكال الاهتزازات السياسية من جهة، ونظرا كذلك لعدم وجود تنسيق بين هذه القبائل الثائرة من جهة أخرى. ويمكن تفسير غياب هذا التنسيق بالخلاف المتواجد فيما بينها، ولعل ذلك ما يشير إليه ابن خلدون بشكل صريح في القول التالي : "**وأما كزولة فبطونهم كثيرة ومعظمهم بالسوس ويجاورن لمطة ويحاربونهم**"[352].

349- البيذق، أخبار المهدي، ص.77. لقد سبق لهسكورة أن ثارت إثر قيام ثورة الماسي على غرار مجموعة من القبائل، إلا أن عدم وجود الإشارات المصدرية الكافية، هو ما جعلنا لا نقوم بتحليلها خصوصا وأن المصادر أشارت إلى حدوث ثورات في المغرب كله تقريبا خلال هذه الفترة. وهذا أرغمنا على أن نتحفظ في الخروج باستنتاجات حول هذه الثورات خلال بداية حكم الخليفة عبد المؤمن. وقد فسر الأستاذ أحمد التوفيق تمرد هسكورة السهل المجاورة للكتلة الجبلية ذات السابقة، وأن انتصار الجبليين بعد قيام الدولة الموحدية ربما قد نشأ عنه عواقب في اختلال التوازن، فقامت بذلك الثورة حيث قام الموحدون بقمع جديد لهسكورة سنة 544هـ/1149-1150م على حد تعبير الباحث. أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، ص.67.

350- رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، تحقيق أحمد عزاوي، م.س، الرسالة رقم 8. ص.25-26.

351- رسائل موحدية، المجموعة الجديدة، م.س، الرسالة، رقم 8، ص.25. وجاء في هذا الصدد "**وما مثلك إلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قد تبرأت منك هسكورة، أعزز بها شرفا كفيلا...**".

352- ابن خلدون، العبر ، ص.241.

المبحث 28 :

انتفاضة أهل غرناطة ونكث بيعتها للموحدين بالأندلس عام 551هـ/1156-1157م

يفيدنا في الكشف عن هذه الانتفاضة، ما قدمه لنا ابن أبي زرع في النص التالي : "ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، فيها ملك الموحدون مدينة غرناطة، وخطب بها لعبد المؤمن بن علي، وبعث أهلها بيعتهم إليه فقبلها، وبعث إليهم عامله فنكثوا البيعة وقتلوا العامل"[353].

فالنص لا يذكر لنا الأسباب التي أدت إلى اندلاع هذا التمرد الغرناطي، ولكن هناك مؤشرات بإمكانها تحديد بعض العوامل التي تفسر لنا أسباب تمرد المدينة وعصيانها والذي جاء بعد خضوع غرناطة للموحدين بوقت قصير[354].

فمعطيات الرواية لا تفيد بأن التمرد عن سلطة الموحدين كان هو الدافع إلى القيام بحادث الاغتيال، ذلك أن سكان غرناطة قد عبروا عن رغبتهم في الدخول تحت السلطة الموحدية، وقد تم تأكيد ذلك من خلال الدعاء للخليفة عبد المؤمن على المنابر[355]، كما بعثوا بيعتهم إلى الخليفة الموحدي. فكل ذلك يعبر عن نية أهالي غرناطة في الدخول تحت طاعة الموحدين، ذلك أن عملية نكث البيعة لم تصدر من الغرناطيين إلا بعدما بعث الخليفة عبد المؤمن عامله على المدينة، على أن التمرد اتخذ طابعا مأساويا من خلال اللجوء إلى التصفية الجسدية[356].

353_ ابن أبي زرع، م.س، ص.196.

354_ فرغم أن الرواية لا تذكر لنا بشكل صريح تاريخ إرسال والي الموحدين إلى غرناطة ولا تاريخ اغتياله، فإنه على ما يبدو لم يستغرق وقتا طويلا بعد عملية إخضاع المدينة من طرف السلطة الموحدية.

355_ ذلك ما يفهم من خلال عبارة "**وخطب بها لعبد المؤمن بن علي**". ابن أبي زرع، م.س، ص.196.

356_ هذا في الوقت الذي تتحدث فيه المصادر عن عنف السلطة الموحدية في مجموعة من المناطق التي أخضعوها، وكمثال على ذلك يراجع أحداث لبلة سنة 549هـ/1154-1155م. ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.52-53.

المبحث 29 :

قيام والي الموحدين على جيان ناحية غرناطة بالأندلس بنكث البيعة تحت الضغط العسكري لابن مردنيش سنة 554هـ/1159-1160م

وإذا كان النموذج السابق قد عبر –نسبيا– عن موقف ساكنة "غرناطة" من سلطة الموحدين، فإن النموذج الثاني يقتصر على موقف النخبة الحاكمة محليا، والمنتمية لجهاز الدولة الموحدية، ويتعلق الأمر بوالي الموحدين على "جيان"، وهو: "محمد بن علي الكومي" الذي نكث البيعة[357].

لا تعطينا المصادر تفسيرا عن هذا التمرد ضد الدولة الموحدية وهي لا تزال في بداية تواجدها بالأندلس سنة 554هـ/1159-1160م، فالحوليات التاريخية تربط موقف الوالي الموحدي هذا بالتدخل العسكري الذي تعرضت له مدينة "جيان" من قبل ابن مردنيش، "**فصادف عنده من النكوث بالبيعة قبولا لمراده، وأعجله الشؤم من رأيه بارتداده**"[358].

ولا تخبرنا المصادر كذلك عن تاريخ بداية هذا التمرد والعصيان، كما أنها لا تحدثنا بأخبار عن الكيفية التي انتهت بها الأحداث، غير أن سياق الرواية يكشف لنا بأن دوافع التمرد على الموحدين جاءت بفعل ضغط عسكري على والي جيان، والذي فضل على ما يبدو نكث بيعة الموحدين بدل القيام بعملية دفاع يائسة وغير مضمونة العواقب، خصوصا أمام خصم كابن مردنيش تناقلت بشأنه الذاكرة الأندلسية صورا من العنف والرعب من خلال التنكيل بخصومه في المعارك والحروب، إذ يقول عنه ابن الخطيب في هذا الصدد ما يلي : "**كان بعيد الغور،**

357- ابن صاحب الصلاة، م.س، ص.66.

358- ابن صاحب الصلاة، م.س، ص.66.

قوي الساعد، أصيل الرأي، شديد العزم، بعيد العفو، مؤثر للانتقام، مرهوب العقوبة"[359].

فلا شك أن الرعب الذي كان يحدثه ابن مردنيش كان هو السبب المفسر لعصيان والي "جيان"، خصوصا وأنه كان على علم بأن جيوش الدولة الموحدية كانت منشغلة بحروب إفريقية (تونس الحالية) [360].

359- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص.122.

360- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.198.

المبحث 30 :

انتفاضة اليهود الإسلاميين على الموحدين في غرناطة بالأندلس سنة 557هـ/1161-1162م

يمثل هذا النموذج أخطر محاولة تمردية عرفتها الأندلس الموحدية على عهد الخليفة عبد المؤمن، ولعل خطورتها هي التي ميزت حضورها في أكثر من مصدر [361]. ورغم أن كتابات المؤرخين الوسيطيين قد أعطت أهمية لهذه الأحداث، وذلك من خلال الإشارة إلى مختلف أطوارها، وذكر مختلف النتائج المترتبة عنها، إلا أنها لم تخبرنا بالعوامل المفسرة لانتفاضة غرناطة ضد سلطة الموحدين سنة 557هـ/1161-1162م. فإن المعلومات التي توفرها لنا المادة المصدرية تقودنا إلى الكشف عن دور سكان غرناطة في صنع حدث عام 557هـ/1161-1162م، ولا يتم ذلك إلا بالإجابة عن السؤالين التاليين: هل كان هناك موقف موحد -نسبيا- يعبر عن رغبة جميع سكان "غرناطة" في الخروج عن سلطة الموحدين؟ أم أن الأمر اقتصر فقط على فئة دون أخرى ؟

إن رواية المن بالإمامة جاءت صريحة في هذا الصدد عندما أشارت إلى أن الفئة التي تورطت في عملية تمكين غرناطة لابن همشك تتمثل في "اليهود الإسلاميين"[362]، بينما اقتصر ابن عذاري على ذكر اليهود فقط[363] دون أن

361- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.124-125. ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.74-75. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص.300-301، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.281.

362- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.124، لا نعرف على وجه التدقيق هل كان ابن صاحب الصلاة يقصد باليهود الإسلاميين في هذه الحالة فئة اليهود التي أشهرت إسلامها، واختارت الإسلام بديلا عن ديانتها السابقة، أم أن صاحب المن بالإمامة ذكر عن قصد كلمة الإسلاميين مقرونة باليهود حتى يمرر لنا رسالة مفادها أن هؤلاء اليهود الذين أعلنوا إسلامهم خلال العصر الموحدي لم يكن إسلامهم صحيحا، وبالتالي كانوا فقط يتظاهرون بذلك حتى يتجنبوا بطش أجهزة النظام الموحدي. وفي نظرنا أن المسألة المتعلقة بقضية اليهود في ظل الدولة الموحدية تحتاج إلى دراسة أخرى لا يتسع لها المقام هنا في هذا الكتاب.

363- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.74.

ينعتهم بالإسلاميين، بينما ذكر ابن الخطيب أن الأمر يتعلق بطائفة من ناسها[364]، وفي نفس المنحى لمح ابن خلدون عند ذكره أن الأمر يتعلق ببعض أهلها[365].

وتكاد تجمع مختلف المصادر، التي تعرضت لهذا الحادث حول العوامل التي ساعدت "اليهود الإسلاميين" على تمكين غرناطة وتسليمها "لابن همشك"، وتتمثل هذه الأسباب في غياب والي المدينة الذي كان في زيارة إلى المغرب الأقصى[366]. ورغم أن إشارات المؤرخين قد تحدثت عن وجود الدعم اللوجستيكي بالقصبة الموحية بالمدينة[367] كما أخبرتنا بتوفر الأسلحة واستقرار الجنود بها[368]، إلا أن ثقة الجماعة الثائرة بغرناطة بالإمكانيات العسكرية التي يتوفر عليها "ابن همشك" وصاحبه "ابن مردنيش" كانت قوية، ولعل ذلك هو ما يفسر إقدام هؤلاء المتمردون على المغامرة بفتح باب مدينة غرناطة للجيوش الآتية من مملكة ابن مردنيش بشرق الأندلس.

وهكذا استطاع اليهود الإسلاميون تنفيذ خطتهم وتسهيل السبيل لابن همشك في الدخول إلى غرناطة، ولم تزودنا الرواية التاريخية بعد ذلك بأي تفاصيل أخرى عن دور هؤلاء اليهود، سواء في علاقتهم مع "ابن همشك"، أو في الموقف الذي اتخذه ساكنة غرناطة من المسلمين تجاههم، كما لم تخبرنا المصادر بنهاية ومآل

364– ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص.300.

365– ابن خلدون، العبر، ج6، ص.281.

366– ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.124، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.281. ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.74.

367– في حديثه عن المؤسسات الحضرية بمدن الغرب الإسلامي ذكر ليفي بروفنسال أن القصبة كانت باستمرار مقرا للسلطة المحلية الحاكمة.

Evarist-Levi-Provençal, « Les villes et les institutions urbaines en Occident Musulman au Moyen-âge », in Conférences sur l'Espagne Musulmane Prononcées à la faculté des lettres en 1947-1948, p.102.

368– ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.124-125.

هذه الجماعة الثائرة والمتواطئة مع الجيوش الأجنبية بعد ما تم طرد ابن همشك وإرغام ابن مردنيش على مغادرة منطقة غرناطة[369].

وفي تقديرنا أن مصير هذه الجماعة من يهود غرناطة قد انتهى بالتصفية الجسدية للمتورطين منهم في هذه الأحداث، كما تمت مصادرة أملاكهم وأموالهم[370].

369- لقد تم القضاء على جيش ابن همشك وابن مردنيش بعدما سبق للجيوش الموحدية أن انهزمت في معركة "بمرج الرقاد" ناحية غرناطة حيث قتل في تلك "الواقعة" الكثير من الموحدين كما جاء في المن بالإمامة، ولم يتم الانتصار عليهم إلا بعد مجيء إمدادات من المغرب بزعامة السيد "أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن" حيث تم تقدير عدد الجيوش العابرة إلى الأندلس بعشرين ألفا من الفرسان والمشاة. ابن صاحب الصلاة، م.س، ص.129-130، وحول هذه المعركة انظر دراستنا: محمد العمراني الموحدون والأندلس في زمن المعارك والحروب قراءة في الوجود العسكري الموحدي بالأندلس 541-609هـ/1147-1212م، نادية للنشر، 2015، الرباط، ص.25-27.

370- لقد اكتفى ابن صاحب الصلاة بنعتهم بالمنافقين حيث ذكر بأنه "**تمشت الحال في ضم أموال المنافقين للمخزن، مما وجب عليهم من نفاقهم وارتدادهم إلى الفتن...**". ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.136. وفي ذلك إشارة صريحة على أن الواقعة لا تتعلق فقط بهجوم خارجي على مجال خاضع سياسيا للموحدين، بقدر ما يعبر ذلك عن إحساس بوجود فئة من المرتدين بغرناطة وناحيتها.

المبحث 31 :

ثورة غمارة بالمغرب الأقصى ضد الموحدين بزعامة مرزدغ الغماري سنة 559هـ/1163-1164م

تُشكل ثورة غمارة على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أخطر ثورات هذه المنطقة[371] خلال فترة قوة الدولة الموحدية[372]، بل إن المصادر المعاصرة أو القريبة من الفترة قد أعطت أهمية كبيرة لسرد وقائعها[373].

كما تتجلى خطورة هذه الثورة في كون صاحبها قام بعملية سكّ العملة باسمه وكتب فيها "**مرزدغ الغريب نصر الله قريب**"[374]، فقد ساهمت الأوضاع العامة بالمغرب في قيام هذه الانتفاضة حيث جاءت في مرحلة انتقالية ما بين وفاة الخليفة "عبد المؤمن" ومبايعة ابنه "يوسف" على رأس جهاز الدولة الموحدية، فكأن غمارة بزعامة "مرزدغ" قد حاولت استغلال ظروف وفاة الخليفة عبد المؤمن لتعلن عن

371– هناك عدة مؤشرات تبرز مدى خطورة هذه الثورة، ولعل من أهمها الاستعداد القوي عسكريا من قبل الموحدين لإخمادها، وكذا استمراريتها مدة طويلة تراوحت ما بين سنتي 559-562هـ/1163-1167م، هذا بالإضافة إلى المشاريع التي قامت بها السلطة الشرعية الموحدية بعد القضاء عليها وقتل زعيمها.

372– نقصد بها الفترة الممتدة منذ دخول الموحدين مراكش عام 541هـ/1146م وإلى حدود وفاة الخليفة "محمد الناصر" في شعبان عام 610هـ/مارس 1213م. وقد تم تبني هذا المعيار اعتمادا على مدى حضور التواجد العسكري الموحدي في الأندلس، ذلك أن المصادر قد أشارت إلى أن عمليات الجهاد قد تقلصت بشكل كبير في شبه الجزيرة منذ وقعة العقاب عام 609هـ/1212م. ورغم أن هذا التحديد يبقى نسبيا إلا أنه أصبح متعارف عليه –إن لم نقل مُتّفق حوله– بين الباحثين المتخصصين في هذه الفترة من تاريخ المغرب الوسيط.

373– نقصد بذلك ابن صاحب الصلاة الذي كان معاصرا لهذه الأحداث، وكذا ابن عذاري الذي رغم أنه جاء في فترة لاحقة خلال العصر المريني إلا أنه اعتمد في نقل أخبار هذه الثورة على ما جاء به صاحب المن بالإمامة. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص. 231-245، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص. 95-97.

374– ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. 209. هذا في الوقت الذي لم يقم فيه بعد الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بتركيز نفوذه وسلطته، ذلك ما نستنتجه من خلال العملة الأولى التي أصدرها الخليفة المذكور باسمه والتي لا يظهر من خلال الكلمات المنقوشة عليها ما يفيد تركيز هذه السلطة حيث تم الاقتصار على ذكر: الأمير الأجل أبو يعقوب يوسف بن أمير المؤمنين، وقد تم العثور على نموذج لهذه العملة تم سكها بمدينة بجاية التي اعترفت بسلطته عام 559هـ/1163م.

LA VOIX (Henri), CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE NATIONALE, Paris, p. 300.

قيام ثورتها[375]، ولعل ذلك هو ما عبَّرت عنه الرواية المشرقية، خاصة منها ما جاء به صاحب الكامل، عندما ذكر أنه إثر تحقق الناس من موت عبد المؤمن ثارت قبائل غمارة[376]. ولعل ما شجعهم على تنفيذ خطتهم هو تأكدهم من انشغال الجيوش الموحدية بحرب ابن مردنيش، أو بالأحرى الإعداد لها بالأندلس[377]، كما أن تيقنهم من فقدان الأهمية الاستراتيجية لبعض الحصون والمراكز الحضرية المتاخمة للحدود الغمارية وإدراكهم لتراجع وظائفها العسكرية كان دافعا قويا لقبائل غمارة من أجل القيام بالثورة ضد النظام السياسي الموحدي.

لقد انتشرت هذه الثورة في جهات مختلفة وساهمت فيها تجمعات قبلية متباينة من غمارة وصنهاجة وأوربة[378]، وكانت هذه المجموعات القبلية تتحرك في مجال جغرافي واسع، كما أن هذا التعدد يجعلنا من الصعب القول بأن هناك قيادة ثورية موحدة، إلا أن المصادر لا تشير في مرحلة أولى إلا إلى وجود زعيم واحد

375- أمدّنا ابن صاحب الصلاة بنص في غاية الأهمية حول استعدادات الخليفة عبد المؤمن للقيام بحملة جهادية إلى الأندلس منذ سنة 557هـ/1161-1162م، فقد انبهر هذا المؤرخ بما توفر من أسلحة وخيول وملابس للجيوش الموحدية وغيرها من قبائل العرب وغيرهم، وكذا ما تمت صناعته من سفن أغلبها تم في مرسى المعمورة (المهدية الحالية بالقرب من القنيطرة) إضافة إلى ما تمّ جمعه من القمح للجيش، وكذا الشعير كعلف للدواب والماشية حيث توفرت كمية هامة من ذلك حتى قال عنها صاحب المن بالإمامة أنها كانت كأمثال الجبال. غير أن وفاة الخليفة عبد المؤمن حالت دون تنفيذ هذه الحملة الجهادية إلى الأندلس، بل إن ذلك لم يسمح باستغلال ما تم تجميعه من حبوب والتي أصابها التلف وفسدت لبقائها مدة طويلة امتدت منذ سنة 557هـ/1161-1162 وإلى حدود سنة 562هـ/1166-1167م.
ألا يمكن القول بأن قبائل غمارة قد ساهمت في الاستعدادات التي تحدث عنها هذا المصدر، خاصة فيما يتعلق بصناعة السفن، أو على مستوى المساهمة في تجميع تلك الكمية الهائلة من الحبوب؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يمكن اعتبار قيام غمارة بالثورة قد جاء كرد فعل عن هذا الاستغلال؟ أم أن الأمر لم يكن يتعلق سوى برغبة قبائل غمارة في الهجوم على محلات تخزين هذه الحبوب وغيرها من خيول وأمتعة والسطو عليها؟ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص. 147-148.

376- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص. 90.

377- ابن صاحب الصلاة، "المن بالإمامة"، ص. 198-200.

378- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. 209.

هو مرزدغ الغماري الذي نظم وأصحابه حملات عسكرية متعددة على مدينة "بني تاودا" حيث أثخن فيها قتلا وسبيا[379].

لقد تطلب الموقف من المسؤولين الموحدين ضرورة الإسراع بإجهاض محاولة الغماريين هذه وذلك من خلال اللجوء إلى عملية الاغتيال حيث بعث الخليفة يوسف جيشا من الموحدين تمكن من إعدام زعيم الثورة "مرزدغ" كما تم إرسال رأسه إلى مراكش[380].

---

[379]– ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. 210. في حين ذكر الناصري أن ذلك تم في مدينة تازا، ويبدو أن صاحب الاستقصا قد وقع له خلط في ذلك خصوصا وأن مصدرا جغرافيا قد سبق وأن ربط العلاقة بين مدينة بني تاودا وبلاد غمارة، الناصري، الإستقصا، ج2، ص. 147، مجهول، الاستبصار، ص. 190. وقد ذكر ابن أبي زرع بخصوص قيام "مرزدغ" "**أنه قتل الخلق الكثير في مدينة "بني تاودا"**"، إلا أننا لا يمكن الأخذ كليا بهذه الرواية خصوصا أن المدينة تم تدميرها بالكامل في فترات سابقة، كما أنها كانت أثناء اندلاع هذه الثورة لا تزال في المراحل الأولى من إعادة تعميرها.

[380]– روض القرطاس، ص. 210. غير أن البيذق يروي لنا قصة أخرى حيث يشير في هذا الصدد إلى أن: "**مزيزدغ الغماري القائم في واكرارن، خرج إليه يوسف بن سليمان وبدد شمله، ثم وحّد وأجيز إلى بر الأندلس إلى قرطبة**". البيذق، أخبار المهدي، ص. 86.

المبحث 32 :

أربع ثورات وانتفاضات بمنطقة تادلا سنة 559هـ/1163-1164م

ينفرد التادلي[381] بذكر أحداث عرفتها مدينة "داي"[382] عام 559هـ/ 1163-1164م، وهي نفس السنة التي كانت فيها السلطة المركزية الموحدية منشغلة بمواجهة ثورات في منطقة غمارة.

فقد جاء عند صاحب "أخبار أبي العباس السبتي" أنه "**طرأ على أهل داي ما طرأ من الجلاء عن بلدهم وافتراقهم في البلاد عام تسعة وخمسين وخمسمائة**"[383]، ورغم أن هذا النص لا يمكن أن يقدم لنا أي إشارة عن طبيعة هذا الطارئ إلا أنه في نظرنا قد يكون بسبب ظهور أحداث تشغيب، أو وقوع فتنة نتجت عنها مواجهات عسكرية انتهت بجلاء أهل داي عن بلدهم الواقعة في تادلا، والتي كان على ولايتها السيد "أبي الربيع سليمان" أخ الخليفة "أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن"[384].

وإذا كانت المصادر الأخرى لا تتحدث عن هذا التمرد، فإن البيذق يشير في كتابه "أخبار المهدي" إلى قيام مجموعة من الثورات حركتها قبائل صنهاجة بمنطقة تادلا، غير أنه لم يحدد لنا تاريخ وقوعها بشكل دقيق حيث اكتفى بذكر حدوث ذلك إبان خلافة أبي يعقوب يوسف[385].

381- التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، 1984، ص.466.

382- داي: "**بينها وبين أغمات أربعة أيام وبين داي وتادلا مرحلة، وداي في أسفل جبل خارج من جبل درن، وبها معدن النحاس الخالص الذي لا يعد له غيره من النحاس...**" عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، ص.231.

383- التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص.466.

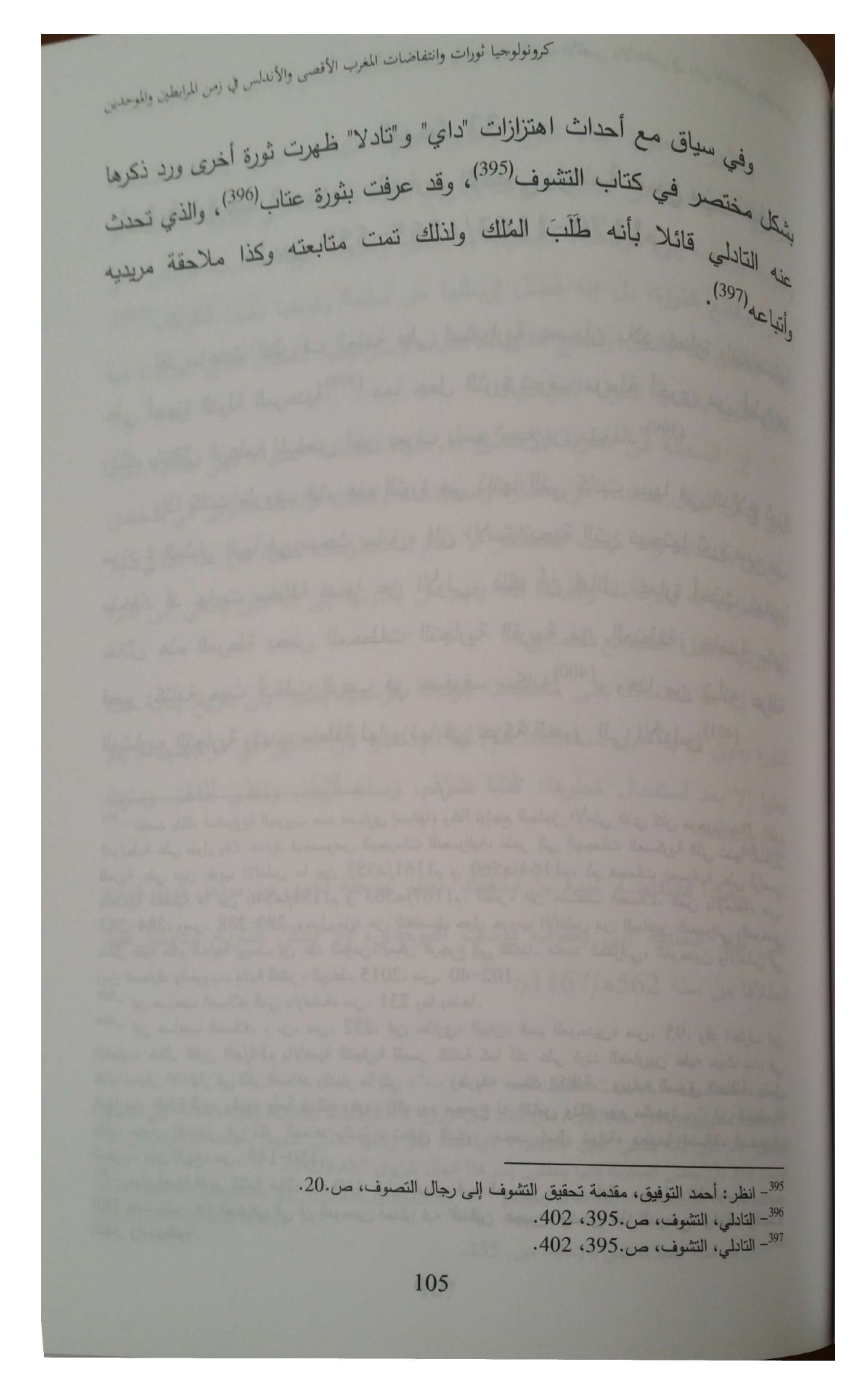
384- البيذق، أخبار المهدي، ص.77.

385- البيذق، أخبار المهدي، ص.85.

ويستفاد من رواية البيذق بأن المواجهات كانت عنيفة حقق من خلالها الصنهاجيون انتصارا على الجهاز العسكري الموحدي[386]، وهو ما دفع بالمصامدة إلى بناء حصن خاص بجيوشهم المرابطة بهذه الجهة[387]. ويتضح من هذه الرواية كذلك، أن انتفاضة تادلا قد قادها ثلاثة زعماء، وهم الإخوان "إدريس بن بطان الصنهاجي" و"عطية" ثم ثائر آخر يعرف باسم "بوغيول"[388]. فالثائران الأولان قاما بالهجوم على تادلا وهزما جيش الموحدين الذي كان يقوده يوسف بن سليمان[389]، فاضطر أحد القادة الموحدين إلى بناء حصن عسكري والذي تسميه النصوص المصدرية باسم "تاكرارت"[390] حيث استقر فيه بجيشه ثم اتجه بعد ذلك إلى "تاورطا" فهزماه، فمات في تلك الهزيمة[391]، ثم تلاه "محمد بن زكو" واستقر هو الآخر بهذا الحصن بمعية "جيش الروم"[392]، وبعدها نزلت صنهاجة بعدد عديد، وكان معهم خلال هذه الحملة الثائر المعروف بـ "بوغيول" والذي اتجه إلى "تاكرارت"، إلا أن الجيوش الموحدية بزعامة "محمد بن زكو" استطاعت أن تلحق بهم الهزيمة هذه المرة[393] فتم إعدام الثوار وقتلهم قتلا زائدا على حد تعبير البيذق[394].

---

[386]– البيذق، أخبار المهدي، ص.85.
[387]– البيذق، أخبار المهدي، ص.85.
[388]– البيذق، أخبار المهدي، ص.85.
[389]– البيذق، أخبار المهدي، ص.85.
[390]– ويقصد بذلك الحصن ذو الوظيفة العسكرية.
[391]– البيذق، أخبار المهدي، ص.85.
[392]– هناك احتمال أن يكون المقصود بالروم هم أصحاب القائد جيرالدو الجليقي والذي كان يسميه البيذق باسم "جرنده". وقد كان أحد القواد النصارى في جيش "ابن مردنيش" بوادي "آش"، وبعد ذلك أصبح قائدا لجيش "الفونسو هنريكيز" المعروف في المصادر العربية الوسيطية باسم "ابن الرنك" ملك البرتغال. واستسلم هذا القائد العسكري للموحدين في "اشبيلية" وتم نفيه إلى مراكش ثم إلى منطقة سوس. فإذا كان الأمر كذلك فيفترض أن تكون فترة وقوع هذه الأحداث قد تراوحت بين 559هـ/1163-1164م، وهو تاريخ الجلاء الذي حدث بـ "داي" والوارد عند صاحب التشوف، ثم 565هـ/1169-1170م، وهو تاريخ اغتيال ذلك القائد العسكري مع أصحابه النصارى الذين بلغ عددهم 350 شخصا. البيذق، أخبار المهدي، ص.89، وهامش. 203.
[393]– البيذق، أخبار المهدي، ص.85.
[394]– البيذق، أخبار المهدي، ص.85.



وفي سياق مع أحداث اهتزازات "داي" و"تادلا" ظهرت ثورة أخرى ورد ذكرها بشكل مختصر في كتاب التشوف[395]، وقد عرفت بثورة عتاب[396]، والذي تحدث عنه التادلي قائلا بأنه طَلَبَ المُلك ولذلك تمت متابعته وكذا ملاحقة مريديه وأتباعه[397].

395- انظر: أحمد التوفيق، مقدمة تحقيق التشوف إلى رجال التصوف، ص.20.

396- التادلي، التشوف، ص.395، 402.

397- التادلي، التشوف، ص.395، 402.

المبحث 33 :

ثورة غمارة ضد الموحدين بالمغرب الأقصى بزعامة "سبع بن منخفاد" ما بين 559-565هـ/1163-1170م

لقد ساعدت الظروف العامة على استمرارية عصيان بلاد غمارة وانتفاضتها على أجهزة الدولة الموحدية[398] مما جعل الثورة تعرف مرحلة أخرى من أطوارها وذلك بانتقال الزعامة لشخص آخر يعرف باسم "سبع بن منخفاد"[399].

وإذا كانت ظروف قيام هذه الثورة هي ذاتها التي كانت سببا في اندلاع ثورة مرزدغ المشار إليها في مبحث سابق، فإن الاستراتيجية التي نهجتها ثورة سبع بن منخفاد قد جاءت مختلفة نسبيا عن الأولى. ذلك أن قبائل غمارة أخذت تهاجم خلال هذه المرحلة بعض المحطات التجارية القريبة من المنطقة، خاصة منها قصر كتامة حيث أدخلت الرعب في صفوف سكانه[400]، وهذا من شأنه عرقلة المشاريع التجارية وتهديد منطقة لها وزنها في حركة العبور إلى الأندلس[401].

398– نقصد بذلك استمرارية الحروب ضد نصارى إسبانيا، وكذا تراجع الحاجز الأمني الذي كان موجودا خلال الفترة المرابطية على طول بلاد غمارة. فبخصوص الهجومات النصرانية، نشير إلى الهجمات العسكرية التي شنها نصارى قلمرية على مدن غرب الأندلس ما بين 557هـ/1161م و 560هـ/1164م، ثم هجمات نصرانية على أراضي إسلامية أندلسية ما بين 546هـ/1151م و 563هـ/1167م. انظر، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص. 283-284، وص. 288-289. وحول مزيد من التفاصيل حول حروب الأندلس من الجانبين النصراني والموحدي خلال فترة حكم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، يمكن الرجوع إلى كتابنا. محمد العمراني، الموحدون والأندلس في زمن المعارك والحروب، نادية للنشر، الرباط، 2015، ص. 40-102.

399– ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص. 231 وما بعدها.

400– ابن صاحب الصلاة، م س، ص. 232، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص. 95. وقد اعترف ابن الخطيب خلال القرن 8هـ/14م بالأهمية التجارية لقصر كتامة كما أكد على تردد الغماريين عليه حيث جاء في كتابه معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ما يلي : "... **وطريقه مسلك القافلة، وبابه السوق الحافلة، ينسل إليها من غمارة قرود وفهود وأمة صالح وهود، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود...**". ابن الخطيب، كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دون تاريخ، ص. 149-150.

401– حول أهمية قصر كتامة خلال هذه الفترة، انظر البيان، قسم الموحدين، ص. 44، مجهول، الاستبصار، ص. 189 حيث يشير هذا الجغرافي إلى أن الموحدين أحدثوا فيه "**فندقين عجيبين، وتمدن هذا الموضع، وشرف وقصده التجار واستوطنوه**".

وتظهر خطورة هذه الثورة ومدى أهمية القضاء عليها بالنسبة للسلطة المركزية الموحدية من خلال ظروف وتاريخ كتابة الرسالة التي وجهها الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى غرناطة، فالخليفة لم ينتظر وصوله إلى العاصمة مراكش لكي يخبر بوقائع الثورة، بل إنه فَضَّل إرسالها من ساحة وقوعها بجبل الكواكب[402]. وهذا يعكس لنا بشكل واضح مدى الأهمية الاستراتيجية للمجال الذي تحركت فيه وقائع الثورة بالنسبة للدولة الموحدية.

إن المسألة في نظرنا لا تتعلق بمواجهة انتفاضة عادية، فهي بمثابة تمرد قبلي شمل قبائل متعددة من غمارة وصنهاجة، وكانت الزعامة للأولى في شخص سبع بن منخفاد. وإذا كانت المصادر لا تقدم لنا معلومات كافية عن هذا الثائر، إلا أنها تعترف له بالزعامة والقيادة كما يفهم من إشارتها إلى أنه كان ينتمي إلى أسرة لها وزنها داخل المجتمع الغماري.

إذا ما اعتمدنا على معطيات الرسالة الرسمية يظهر بأن تاريخ بداية هذه الثورة يكون قد بدأ قبل سنة 562هـ/1167م، نظرا لأن التفكير في مواجهتها لم يتم فعليا إلا بعد استفحال خطرها: "**فَشَا ضَرُّهُم، وَسَاءَ أَثَرُهُمْ، وَتَعَدَّى أَذَاهُمْ، وَسَرَتْ عَدْوَاهُمْ**"[403].

وهكذا فانتفاضة "سبع بن منخفاد" تعتبر مرحلة أخرى من مراحل ثورة غمارة على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي، ولا يمكن التأريخ لبدايتها فقط انطلاقا من سنة 562هـ/1167م.

402– تحدث مولييراس عن هذا الجبل وذكره باسم جبل تزاران "Djebel TAZARAN"، وقال عنه بأنه "**جبل المنظر الجميل**" كما ذكر بأنه يُسمَّى "**جبل الكواكب**"، لأن قممه تبدو وكأنها تلامس النجوم، وأضاف مولييراس في هذا الصدد قائلا بأن بعض المغاربة كانوا ينطقون إسم هذا الجبل بتيزيران "TIZIRAN".
MOULIERAS (Auguste), LE MAROC INCONNU, 2ème partie, la librairie coloniale et Africaine, Joseph André, Paris, 1895, p. 347.

403– ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص. 235.

إن الرسالة الرسمية جاءت واضحة في هذا الصدد عندما أشارت إلى مساهمة قبائل غمارة وصنهاجة، إلا أن ما يلفت النظر في هذا الصدد هو أن الجهاز الإداري الموحدي كان يميز جيدا بين التواجد القبلي الصنهاجي والتواجد القبلي الغماري[404]. هذا على الرغم من كون المصادر التاريخية والجغرافية الوسيطية كانت تُقَدِّمُ لنا مجال تحركهم بشكل غامض. وقد كشفت رسالة الخليفة أبي يعقوب يوسف عن مدى خطورة قبائل غمارة مقارنة مع صنهاجة بحيث كانت الأولى على استعداد من أجل نشر ونقل الثورة على نطاق أوسع[405]، لذلك كان عزم الدولة الموحدية قويا وأعطت أهمية كبرى للقضاء على ثورة "سبع بن منخفاد"[406].

404- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص. 235.

405- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص. 235.

406- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص. 235.

المبحث 34 :

انتفاضة سكان جبل تاسررت سنة 563هـ/1167-1168م

يحدد صاحب "المن بالإمامة" تاريخ هذا العصيان في سنة 563هـ/1167-1168م(407) دون أن يعطينا معلومات حول قيام هذا الحادث، ولا أي إشارة حول متزعم هذه الانتفاضة، كما أنه لم يخبرنا بالمدة التي استغرقها هذا التمرد. هذا ولم يزودنا هذا المؤرخ كذلك بأي إشارة حول المنطقة التي يتواجد بها جبل "تاسررت". وإذا كان الدكتور عبد الهادي التازي يذكر بأنه لم يهتد لمعرفة موضع هذا الجبل، فأشار إلى أن هناك اسما يقرب لذلك ورد عند البيذق باسم "تاسريرت"(408)، غير أنه برجوعنا إلى البكري نجده يذكر جبلا باسم "تازرارت" على أنه يوجد به معدن فضة قديم غزير المادة وذلك في منطقة سوس(409)، فهل يمكن اعتبار جبل تاسررت هو فعلا ما قصده البكري في مسالكه؟

يبقى الاحتمال واردا إذا ما علمنا مدى أهمية هذا الجبل الاقتصادية والمتمثلة في استخراج معدن الفضة(410)، والذي يبدو أن الدولة كانت تستفيد منه سواء من حيث الاستغلال المباشر، أو من خلال فرض الضرائب على القبائل التي كانت تقوم باستخراجه واستغلاله(411).

407- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمانة، ص. 277.

408- نفس المصدر، هامش 1، ص.277.

409- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص.161.

410- البكري، نفس المصدر، ص.161.

411- ننطلق في هذا الحكم/الاحتمال من خلفية معرفية عن واقعة حدثت في مرحلة لاحقة يشير إليها ابن عذاري في بيانه وتتعلق بمحاولة احتكار إحدى القبائل لمعدن "جبل سوس" واستغلال موارده لصالحها، فتم إرسال حملة عسكرية ضدها على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي. كما يذكر صاحب المعجب أن مدينة صغيرة في بلاد سوس تدعى "زجندر" على معدن فضة يسكنها الذين يستخرجون ما في ذلك المعدن، فهل يمكن القول بأن ذلك يتعلق بأهل تاسررت؟ المراكشي، المعجب، ص.509، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.147. وحول الضرائب المفروضة على إنتاج المعادن انظر : الدكتور عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، م.س، ص.282.

وإذا كانت رواية ابن صاحب الصلاة لا تمدنا بإشارات عن أسباب تشغيب جبل تاسررت، فإن ما يمكن أن نستنتجه من خلال هذا المصدر هو أن هذا الحدث شكل خطورة على السلطة المركزية الموحدية، وذلك ما يتضح من خلال أسلوب العنف الذي نهجته الدولة في معاقبة المتمردين. فبالإضافة إلى الحملة التطهيرية التي قام بها السيد الأعلى أبو حفص[412]، والتي قدم لنا حولها صاحب المن بالإمامة وصفا رائعا من خلال توظيفه لتعبير تصويري يعكس الأسلوب القمعي الذي استعملته السلطة الموحدية لإرغام الثوار على الاستسلام[413]، هذا بالإضافة إلى أن الموحدين نهجوا أسلوب النفي بالإضافة إلى قيامهم بالسبي وذلك كإجراء لتأديب ومعاقبة ثوار جبل تاسررت[414].

412– ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.278.
413– ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.278.
414– ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.278.

المبحث 35 :

انتفاضة قبائل صنهاجة القِبْلَة ضد الموحدين بالمغرب الأقصى سنة 572هـ/1176-1177م

لا تسمح لنا رواية البيان بالحصول على معلومات عن أسباب هذا التمرد، ولم تعمل على إخبارنا بوقوعه، بل إن معرفتنا به تم استنتاجها من سياق رواية حول حملة وجهها الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى صنهاجة القبلة عام 572هـ/1177م[415]. ويظهر أن هذا الحدث كان بالخطورة بمكان لدرجة أنه أرغم السلطة المركزية الموحدية على إرسال أعداد من الجيوش، ليس على أساس القيام بحملات تأديبية فقط، وإنما من أجل الاستقرار الدائم بالمنطقة[416].

وتفيدنا رواية ابن عذاري أن المجال الهسكوري لم يكن يتوفر على محطات قارة للاستقرار العسكري، مما دفع الخليفة الموحدي أن يوجه أمره من أجل بناء مقرات لسكنى الجيش[417]، وتم بعد ذلك إرغام جبل صنهاجة على الخضوع والطاعة[418].

ويبدو أن الخضوع في عرف المؤرخين الوسيطيين يتمثل في تجديد البيعة من طرف شيوخ القبائل، والالتزام بأداء الضرائب، وكذا المساهمة في العمليات العسكرية التوسعية التي يقوم بها النظام السياسي الحاكم بالمغرب[419].

وإذا كنا لا نتوفر على معطيات حول أسباب قيام هذه الثورة، فلا شك أن الضائقة الاقتصادية التي عمت المغرب آنذاك، والتي سببت في انتشار وباء

415- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، م.س، ص.137.

416- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، م.س، ص.137.

417- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، م.س، ص.137.

418- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، م.س، ص.137.

419- ينظر في هذا الشأن رسائل البيعة، وخاصة منها نموذج تجديد بيعة الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في المن بالإمامة، ص.258-265.

الطاعون[420]، كانت على -ما يبدو- مسؤولة عن قيام هذا التمرد، ولا شك أن رفض هذه القبائل الالتزام بأداء الضرائب كان من بين دواعي تحرك الجيش الموحدي[421]، فقد حاولت قبائل هذه المنطقة استغلال الظروف التي كانت تجتازها العاصمة مراكش، وذلك على مستوى تزايد عدد القتلى بسبب استفحال خطر الوباء. فقد أصاب الطاعون كذلك بعض السادة من الأسرة الموحدية الحاكمة ومن بينهم السيد "أبو حفص"[422]، والذي لم تخْفِ المصادر إعجابها بمدى شجاعته في استئصال شأفة «**المنافقين والثوار الخارجين**»[423]، كما أن صدى مرض الخليفة الموحدي قد وصل إلى هذه القبائل مما عجّل بعصيانها وشجعها على القيام بالانتفاضة والثورة.

420- يشير صاحب البيان إلى أن هذا الوباء أو الطاعون قد حدث في بداية ذي القعدة سنة 571هـ/1176م واستمر مدى سنة كاملة. ابن عذاري، البيان، م.س، ص.136-137.

421- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، م.س، ص.137.

422- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، م.س، ص.136.

423- انظر في هذا الصدد ما ذكره عنه ابن صاحب الصلاة في المن بالإمامة، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص.278.

المبحث 36 :

ظهور حركة الثائر الجزيري بالمغرب الأقصى سنة 579هـ/1183-1184م

رغم أن المصادر لم تتحدث بما فيه الكفاية عن الأحداث المرتبطة بهذا الثائر[424]، إلا أن إشارتها مكنتنا من أخذ فكرة عن طبيعة نشاطه في المغرب، فهل يمكن أن نعتبر الفترة التي قضاها الجزيري في هذه البلاد كانت بمثابة محطة تمهيدية لإعلان ثورته بالأندلس؟ أم أن طموحه كان أبعد من ذلك، وهو الرغبة في السيطرة السياسية على بلاد المغرب وشبه الجزيرة؟

للإجابة عن السؤالين لابد من تجميع بعض المعلومات التي بإمكانها أن تفيدنا في التعرف على شخصية هذا الثائر، فالمصادر التي تم اعتمادها تؤكد على أن الجزيري كان ينتمي إلى فئة العلماء، فيذكر عنه صاحب "المغرب في حلى المغرب" أنه "**برع في العلم وجال**"[425]، فهو يدخل ضمن الخاصة من أهل الفكر، إلا أنه على ما يبدو من خلال بعض الإشارات المصدرية أنه فشل في الاحتفاظ بمرتبته ومكانه ضمن حلقة الفكر الرسمية التي كان يتم تنظيمها في المجالس السلطانية بالعاصمة مراكش[426]. فقد تم طرده من قبل الخليفة الموحدي[427]، وهذا

424- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجزيري، بينما ذكره صاحب البيان باسم علي بن محمد بن رزين والمعروف بالجزيري. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص.323، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين،ص.155.

425- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص.323.

426- هذا ما يفهم من كلام ابن عذاري عنه عندما أشار إلى كون "**هذا اللعين في أوليته يتعلق بأذيال الطلب وينهج منه بحفظ المتشابهات وما يؤول منه إلى الروايات فأمر الخليفة بطرده...**"، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.207.

427- لم نتمكن من تحديد المقصود بالخليفة، هل هو الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أم ابنه يعقوب المنصور. فرغم أن الخبر أورده في سياق الحديث عن فترة حكم الخليفة يعقوب المنصور، إلا أنه في موضع آخر أشار إلى هروب الثائر الجزيري من مراكش عام 579هـ/1183-1184م عندما شاع خبره وهو ما يوافق فترة نهاية حكم الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن. ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.155، وص.207.

ما فرض عليه مغادرة العاصمة يتغرب ويتجول في الأقطار على حد تعبير ابن عذاري[428]، فكيف يمكن تفسير الموقف الرسمي الموحدي من الثائر "الجزيري"؟

لا شك أن الاتجاه المذهبي لهذا الثائر كان يتعارض مع توجهات المسؤولين داخل الجهاز الرسمي الموحدي، وفي هذا الصدد يذكر لنا صاحب البيان النص التالي: "**وفيها (أي سنة 579هـ) هرب من مراكش علي بن محمد بن رزين المعروف بالجزيري، وكان على مذهب الخوارج الأزارقة في تكفير جميع المسلمين، واجتمع إليه قوم من البربر يقرؤون عليه مذهبه، فأغواهم، وشاع خبره ومذهبه وسأذكر مقتله في أيام المنصور إن شاء الله**"[429].

يفيدنا ابن عذاري بأن هذا الثائر قد تواجد بالعاصمة الموحدية منذ نهاية حكم الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[430]، أي قبل أن يتسلم الخليفة يعقوب المنصور سلطة الحكم بالمغرب والأندلس[431]. غير أن هذا لا يدل على بداية العمل السياسي للجزيري، فهو على ما يبدو قد كشف فقط عن مواقفه الفكرية، والتي كانت سببا في طرده، وملاحقته من طرف رجال السلطة الموحدية، ولعل ذلك هو ما يفسر اختياره

لأسلوب التستر والاختفاء[432]. إن اتجاهه المذهبي على غرار الخوارج الأزارقة[433] في تكفير كل من هو على غير مذهبهم لا يدل بالضرورة على أنه

428- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.155، 207.

429- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.155.

430- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.155.

431- بويع يعقوب المنصور بعد وفاة والده عام 580هـ/1184م، ويحدد صاحب البيان هذه البيعة في يوم الأحد التاسع عشر الربيع الثاني عام 580هـ/30 يوليوز 1184م، المراكشي، المعجب، ص.383، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.170.

432- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.207.

433- نسبة إلى أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق المتوفى في 60هـ/680م، والذين خرجوا مع "نافع" من "البصرة" إلى "الأهواز"، فغلبوا عليها وعلى كورها، وما وراءها من بلدان "فارس" و"كرمان" في أيام "عبد الله بن الزبير" وقتلوا عماله بهذه النواحي. حول هذه الفرقة من الخوارج يمكن الرجوع إلى: الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ، ص.118-122.

كان ينتمي إلى حركة الخوارج، دليلنا في ذلك أن الإشارة المصدرية تذكر بأن قوما من البربر أخذوا عنه مذهبه[434]، وهذا في حد ذاته يعتبر دليلا على أن له توجه مذهبي خاص به، وإلا لأخبرتنا الرواية التاريخية أن الجزيري أخذ يلقن مذهب "الخوارج الأزارقة".

وإذا كانت المصادر لا تبرز الفعل السياسي للجزيري في المغرب بشكل واضح إلا أن إشاراتها إلى كونه اتصل بقوم من البربر، وأخذ يلقنهم مذهبه يدل على أن الأمر لا يتعلق فقط بتدريسهم العلم من أجل تفقيههم، ولكن على ما يبدو أن المسألة لها أبعاد أخرى ذات طبيعة استراتيجية، وتتعلق بالتمهيد لزعزعة الوضع السياسي بالمغرب الموحدي[435].

فبخلاف أشكال الثورة والتمرد الأخرى التي شهدها العهد الموحدي، لم تخبرنا المصادر عن القبائل الأمازيغية التي اتصل بها الجزيري، فاكتفت بالقول إنهم "**جهال من العوام**"[436]. على أن هذه النصوص أكدت من جهة أخرى على أن الجزيري اتصل كذلك بأهل الحواضر وخصوصا مراكش وفاس[437]، غير أنها لم تذكر لنا الفئة التي ساندته، واكتفت بنعتها "بأوباش الناس"[438].

434- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.155.

435- أشار ابن عذاري إلى أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قام في صفر سنة 578هـ/1182م بحملة عسكرية إلى جبل السوس قرب بلاد هرغة فشيد حصنا على المعدن الموجود بالمنطقة فأقر فيه حامية عسكرية. وجاءت هذه الحملة الموحدية كرد فعل على استئثار سكان تلك المنطقة بما تم استخراجه من معدن إذ "**اغتصبوه لأنفسهم دون حق منه للخليفة**". ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.147. فهل يمكن القول بأن الجزيري قد استغل تذمر سكان هذه المنطقة واتصل بهم من أجل نشر مذهبه؟ إن ما دفع بنا إلى طرح هذا التساؤل هو أن قيام الجزيري جاء في السنة التي أعقبت الحملة الموحدية على "معدن جبل السوس"، إضافة إلى أن ابن عذاري لم يحدد لنا هذه المجموعة القبلية التي اتصل بها هذا الثائر. وإذا ما صح افتراضنا فإن الجزيري كان يهدف من وراء هذا التحرك بين مراكش وفاس وبلاد هرغة إلى محاولة استلهام السيرة التومرتية من خلال تكرار نموذج رحلة العودة لمحمد بن تومرت.

436- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.207.

437- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.207.

438- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.207-208.

لم تكمن خطورة الجزيري في اعتباره زعيما لحركة منظمة قادرة على إسقاط الدولة عسكريا فحسب، وإنما تجلت خطورته كذلك في ما قام بنشره من أفكار كان بإمكانها خلخلة البنية المذهبية للدولة، والمتمثلة في قضية المهدوية إحدى دعائم الدولة المصمودية، ذلك أنه بخلاف "ابن عذاري" يشير صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب إلى أن الجزيري: **"ثار في رأسه أن يحيى سنة مهدي الغرب، وزعم أن أصحابه غيروا أمره"**[439].

إن مضمون هذا النص يعتبر جديدا بالمقارنة مع ما جاء عند مؤلف البيان، فكيف يمكن تفسير هذا التحول المذهبي؟

تمكننا الإجابة عن هذا التساؤل كذلك من تفسير دوافع قيام الجزيري ضد الموحدين خلال الفترة الممتدة من 579هـ/1183-1184م إلى 586هـ/1190-1191م[440]، ففي سنة 579هـ/1183-1184م قام الخليفة أبو يعقوب يوسف بحملة تطهيرية ضد "المشرف" المكلف بالشؤون المالية والضريبية بمدينة فاس نظرا **"لخيانته وحمله على الرعية وإذايته"**[441]. فلا شك أن هذه السنة كانت مناسبة لظهور شخصية كالجزيري بالمغرب، وذلك حتى يستغل تذمر السكان من تظلم الجهاز الحاكم، ولعل ذلك هو ما يفسر اختياره لمدينة فاس وجهة لاستكمال نشاطه المذهبي والسياسي بعد طرده من عاصمة الدولة مراكش[442].

إن الجزيري كان يتخذ من الأسلوب السري وسيلة للقيام بنشاطه المذهبي[443]، وهذا يرجع إلى مدى وعيه بخطورة ما يقوم به من جهة، ثم إحساسه بتتبع الجهاز الأمني الموحدي لخطواته، غير أن الذي يجب التأكيد عليه، أن

---

439 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص.323.

440 – يرتبط هذا التحديد الزمني منذ شيوع ظهور خبر هذا الثائر بمراكش إلى مقتله بالأندلس على عهد المنصور الموحدي، ابن عذاري، م.س، ص.155-208.

441 – ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.155-208.

442 – ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.207.

443 – ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.207.

الجزيري البارع في العلم كان دون شك على دراية بأساليب العمل السياسي التي نهجتها حركات مذهبية في المشرق الإسلامي وغربه منذ القرون الأولى للهجرة[444]، لذلك فهو لم يعلن نشاطه إلا في الوقت المناسب، فهل كانت سنة 586هـ/1190م هي الفترة الملائمة لهذا التحرك؟

وهكذا جاءت مبادرة الجزيري التي يمكن اعتبارها -من وجهة نظر المصادر- أنها محاولة تصحيحية لمسار الحركة الموحدية، ومن هنا تأتي خطورة هذه الثورة بالمغرب خلال سنة 586هـ/1190م[445]. ذلك أنه إذا شاع الخبر بأن قادة البلاد قد قاموا بتغيير مبادئ الحركة التومرتية، فإنه يعتبر ضربا في مصداقية إحدى دعائم الدولة الموحدية وركائزها[446]، وبذلك كانت حركة الجزيري لها خطورتها على النظام الموحدي الذي يعتمد بشكل أساسي على أسلوب الدعاية في ضمان تبعية الرعية له بالمغرب والأندلس[447].

444- حول هذه الحركات المذهبية وأسلوبها في العمل السياسي يمكن الرجوع إلى: محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، 1973، ص.13-147.

445- ولعل ما يؤكد خطورة ثورة الجزيري أنها جاءت بعد سلسلة من المواجهات العسكرية التي خاضتها السلطة الموحدية خارج المغرب الأقصى. فبعد ثورة "علي بن الرند" في إفريقية على عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عام 574هـ/1178م هاجم "علي بن غانية" ميناء بجاية عام 581هـ/1185م واستولى على معظم بلاد المغرب الأوسط وكان ذلك في بداية فترة حكم الخليفة يعقوب المنصور. فخطورة هذه الأحداث لا تكمن في كونها أرغمت الخليفتين على قيادة جيوش الموحدين من أجل إخماد محاولات الثورة والتمرد بهذه المناطق، وإنما في الأسس المذهبية التي كانت تحرك مشعليها. وفي هذا الإطار ذكر الأستاذ عبد الله العروي "**لا يسع المرء إلا أن يتساءل عن وجود خطة سنية مالكية تهدف إلى زعزعة حكم الفرقة الخارجية المبدعة**"؟ هذا وقد أشار الأستاذ عبد الله العروي في موضع آخر أنه رغم تكرار الثورات المهدوية بالمغرب الأقصى فإنها لم تشكل خطرا كبيرا على الدولة، وإنما تمثّل الخطر في ثورة علي بن الرند -المذكورة أعلاه- والتي وجدت مساندة من قبل فقهاء المالكية. عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج2، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1994، ص.169-170.

446- نقصد بذلك على الخصوص مسألة المهدوية التومرتية.

447- حول أسلوب الدعاية عند الموحدين يمكن الرجوع إلى: محمد زنيبر، الحس الإعلامي عند الموحدين، ضمن كتابه المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1999، ص.175-194.

المبحث 37 :

تمرد في البيت الحاكم الموحدي بالأندلس عام 584هـ/1188-1189م

يمكن القول أن تجليات أخبار هذا التمرد تظهر من خلال المادة المصدرية التي تتحدث عن "الرشيد" أخو الخليفة يعقوب المنصور عندما كان واليا على مدينة مرسية وقام خلال سنتي 583 و584هـ/1187-1189م بالاستيلاء على أموال تجار المدينة المذكورة[448].

ولا تخبرنا المصادر بشكل صريح عن أسباب اتخاذ "الرشيد" هذا الإجراء، غير أن الرغبة في الحصول على دعم مالي كبير كان دون شك وراء قيامه بالسيطرة على أموال تجار "مرسية" بطرق غير مشروعة. وقد لمَّحت رواية البيان إلى أطماع "الرشيد" في الخروج عن طاعة الخليفة "المنصور"[449]، وفي نفس هذا السياق يذكر عبد الواحد المراكشي قائلا : «**فقد بدأ من ذلك بتنقيص أمير المؤمنين "أبي يوسف" على رؤوس الأشهاد تعريضا مرة وتصريحا تارة، وإلقاء ذلك إلى خواصه ليلقوه إلى وجوه الأندلس...**»[450]. لقد كان والي "مرسية" على ما يبدو من تأويل الرواية التاريخية يهيئ الأسس المادية لمشروعه، وهذا ما أرغمه على الاتصال بـ "ألفونسو" والتحالف معه لكي يساعده على التمرد والاستقلال عن سلطة الخليفة يعقوب المنصور الموحدي[451].

448- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.199.

449- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.199.

450- عبد الواحد المراكشي، م.س، ص.398.

451- عبد الواحد المراكشي، البيان، م.س، ص.190، انظر تقديم أحمد عزاوي، للرسالة رقم 37 من المجموعة الجديدة، ج1، م.س، ص.178.

وقد كانت نهاية هذا الثائر على البيت الحاكم هي إشخاصه بالقوة إلى المغرب الأقصى حيث تم اعتقاله في قصبة رباط الفتح وتم قتله بعدما أصدر الخليفة يعقوب المنصور قرار تنفيذ حكم الإعدام فيه كما جاء عند ابن عذاري في كتابه "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"[452].

[452]- عبد الواحد المراكشي، البيان، م.س، ص.199-200.

المبحث 38 :

تمرد في البيت الحاكم الموحدي بمنطقة تادلا بالمغرب الأقصى سنة 584هـ/1188-1189م

يحدثنا ابن عذاري في بيانه عن هذا التمرد الذي قاده عم الخليفة يعقوب المنصور السيد أبو الربيع سليمان والذي كان واليا على منطقة تادلا في النص التالي قائلا : «وتقرر أيضا عن ابن أبي الربيع صاحب تادلا عم المنصور ما كان تسبب فيه من كشف رأسه في النفاق وخلعه للطاعة ومجاهرته بالشقاق، وارتهانه في مخاطباته لمن جاوره من القبائل على إجابته والارتباط معه على ذلك الاتفاق، فسوفوه تسويف المستهزئين ورأوا أنه من الضالين الهالكين، ثم مشى السيد أبو زكرياء في سرية وافرة فأحاط بجهاته، وأخذ بمخنقه على المألوف من عزماته.

ولما لم يجد سليمان المذكور (أي السيد أبي الربيع) إلى متنفس سبيلا، ولم ير من الإعانة كثيرا ولا قليلا، ألقى بيد الاستسلام، وهدم ما بنى عليه من أضغات تلك الأحلام، وبقي غريقا في ورطته، نادما على ما فرط من فعلته الذميمة وغلطته، فأذكيت عليه عيون الرقباء وأكد عليه في القدوم واللقاء، فسار يقدم رجلا ويؤخر أخرى حتى لحق بالمحلة المنصورة حاصلا في قبضة ما جناه من النوائب المحذورة. ولما وصل الرشيد أيضا من مرسية أمر بنزوله منفردا في نفر من خاصته وخدمته ثم قبض عليه وعلى أبي الربيع المذكور وتحملتهما الثقات إلى رباط الفتح خيلا ورجلا وصارا تحت الثقاف والإشراف حتى أتاهما اليقين. ولما وصل المنصور حضرة مراكش وتمهد نزوله، وقفل كل من كان ينتظر قفوله وتفرغ من سلام القاطنين، ومن تصنيف الواردين، اجتمع بالسيد أبي الحسن المستخلف بمراكش ومن كان معه من الموحدين، فباحثهم عن أحوال أولئك المنافقين، فقرر لديه من خبيث أقوالهم وكيفية أفعالهم ما أوجب عنده شرعا سفك دمائهم، بنفاقهم

واعتدائهم، فلما أوضح ذلك عند المنصور خاطب عثمان بن عبد العزيز الكومي صاحب قصبة رباط الفتح أن يعفي آثارهن ويصيرهم في الهالكين فقدمهما فضرب رقابهما عفا الله عنهما، وقتل في نكبتهما من تحقق اشتراكه في المعصية معهما...»[453].

وهكذا يتضح من خلال هذا النص أن تمرد عم المنصور قد تزامن مع محاولة تمردية أخرى في البيت الحاكم، قادها السيد الرشيد أخ المنصور، وكانت نهاية السيد أبي الربيع سليمان هي الإعدام بعدما تمت استشارة العارفين بالقوانين الشرعية في دولة الموحدين، والتي أصدرت حكم الإعدام فيمن خان النظام فتم الاتصال بالمسؤول الموحدي في قصبة رباط الفتح التي كان فيها الثائر أبي الربيع سليمان رهن الاعتقال، فتم بعد ذلك تنفيذ حكم الإعدام عندما تم التوصل بقرار الإعدام من خلال رسالة الخليفة يعقوب المنصور.

453– ابن عذاري، البيان، ص.199-200.

المبحث 39 :

ثورة الجزيري بالأندلس سنة 586هـ/1190-1191م

إن ما يثير الانتباه بخصوص هذا الثائر هو استمرارية نشاط حركته منذ سنة 579 إلى سنة 586هـ/1183-1191م[454]، فهي مرحلة طويلة نسبيا بالمقارنة مع حركات التمرد الأخرى التي شهدتها الدولة الموحدية بالمغرب والأندلس. ويمكن تفسير طول هذه الفترة بتواطئ حركة الجزيري وتنسيقها مع المجموعات البشرية التي بث فيها دعوته في مختلف المناطق التي تردد عليها[455]. ورغم أن المصادر قامت بتشويه صورة أتباع هذا الثائر ونعتتهم بالعامة، والجهال، وسفلة الأسواق[456]، فإن السلطة المركزية الموحدية كان لها رأي آخر عندما أولته اهتماما خاصة مع سنة 586هـ/1190-1191م عندما شاع الخبر بظهور خطر هذا الثائر بالمغرب[457].

إن خطورة هذا الشخص تتمثل في كونه استند في ثورته على الموحدين على مشروعية نظرية مذهبهم، ما دام يهدف إلى إحياء ما جاء به "محمد بن تومرت"[458]. فهي تدخل في سياق حركة تصحيحية لمسار الدولة المؤمنية، ما دام

454- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.155، 207.

455- يشير في هذا الصدد كل من حميد التريكي وحليمة فرحات:

« Cette révolte longue, difficile à réprimer, s'explique par la large complicité que al-Djaziri semble avoir rencontrée auprès des masses et dans les différentes régions ». Halima FERHAT et Hamid TRIKI, « FAUX PROPHETES ET MAHDIS DANS LE MAROC MEDIEVAL ». Hespéris Tamuda, Vol. XX VLL, 1988-1989, p.16.

456- ابن عذاري، البيان، ص.207-208.

457- ابن عذاري، البيان، ص.207-208. وحول قيام هذه الثورة وأحداثها بالمغرب الأقصى انظر ما أشرنا إليه سابقا ضمن هذا الفصل وكذا ما تطرقنا إليه بتفصيل ضمن كتابنا. الثورات والتمردات بالمغرب الأقصى...، م.س، ص.106-112. محمد المغراوي، العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب. م.س، ص.262-265.

458- حول ابن تومرت وحركته يراجع: البيذق، أخبار المهدي، ص.11-43، كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص.12-13، وص.25-32، ابن القطان، نظم الجمان، صفحات 61-62، و72-73، 78، 87-100، 123-128، الدكتور محمد المغراوي، العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين، ص.40-85.

أن السند الشرعي للموحدين، والذي وظفوه كسلاح إديولوجي للقضاء على كل محاولة تمردية ممكنة، قد استخدمه الجزيري لكسب الأتباع بالمغرب[459] والأندلس.

وإذا ما أخذنا برواية البيان كمنطق لتحليلنا للوقائع المرتبطة بهذا الثائر، فإن التساؤل الذي يكمن طرحه في هذا الصدد، هو المتعلق بالأماكن والمدن التي تحرك فيها الجزيري. فالرواية تذكر بأنه منذ 579هـ/1183-1184م، أي في نهاية عهد الخليفة "يوسف بن عبد المؤمن"، اضطر هذا الثائر إلى الخروج من مراكش[460]، مما يوحي بأن نزاعا قام بينه وبين مسؤولين فرض عليه الهروب. ثم العودة ثانية إلى العاصمة الموحدية ليتم بعد ذلك طرده منها من طرف "**السلطة المركزية الموحدية**"[461]، ليظهر مرة ثانية بنفس المدينة إبان إقامة الخليفة يعقوب المنصور بالأندلس[462].

إن ما يثير تساؤلنا كذلك، هو أن مدة سبع سنوات وأكثر عن انطلاق حركته بالمغرب الأقصى، لم تستطع أن تشكل زعزعة حقيقة للنظام إذا ما قورنت بالمدة القصيرة التي قضاها الجزيري في الأندلس، وهي التي أعطت لحركته بعدا خطيرا على الأقل من خلال حضور أحداثها في المصادر التي تعرضت لأخبار الجزيري[463]، فقد تحدث عنه صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب قائلا بكونه "**برع في العلم وجال**"[464]، وهذا ما دفع بنا إلى الافتراض بكون أتباعه قد تشكلوا من النخبة المثقفة، وهذا لا ينفي في الوقت نفسه أنه اتصل ببقية شرائح المجتمع قصد الاستناد عليها في نشر مبادئ حركته الثورية.

---

[459] - محمد العمراني، الثورات والتمردات بالمغرب الأقصى...، م.س، ص.106-112.

[460] - ابن عذاري، م.س، ص.155.

[461] - ابن عذاري، م.س، ص.207.

[462] - ابن عذاري، م.س، ص.207.

[463] - ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص.323-324، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.155 و207-208. المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ج4، دار صادر بيروت، لبنان، 1988، ص.65-66.

[464] - ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص.323.

على أن ما نستنتجه من خلال هذه المصادر، أن أتباعه قد ظلوا معدودين لدرجة أنه تم التمكن من القبض عليهم بسهولة حيث تم اعتقالهم وتنفيذ حكم الإعدام فيهم بعد ذلك[465].

فهل كان هذا الثائر يتوفر على شبكة من المريدين سهّلت له الطريق لانتشار دعوته وساعدته على العبور إلى الأندلس؟

إن الأمر وارد، خصوصا وأن الرواية التاريخية تشير إلى ظهور أحد إخوة هذا الثائر ضمن الذين تمّ إلقاء القبض عليهم في "مالقا"[466]، كما أن صدق هذا الاحتمال يتجلى في الأموال التي منحها أتباعه إلى القاضي كرشوة مقابل إطلاق سراح الثائر الجزيري[467].

فلا يمكن أن يتم ذلك، في نظرنا، إلا عندما يكون هناك اقتناع بهذا الثائر والإيمان بأفكاره، أو قد يكون الدافع إلى ذلك هو الرغبة في إيجاد بديل عن السلطة القائمة والتحرر من هيمنتها.

لقد تم القضاء على هذا الثائر، وإعدامه بنفس السرعة التي شاع بها خبر ظهوره بالأندلس[468]، ويتضح كذلك من خلال انتقال الثائر الجزيري بين "مالقة" و"مرسية" حيث ألقي القبض عليه، أنه حاول ما أمكن الابتعاد عن مناطق تواجد جيوش الخليفة يعقوب المنصور الموحدي المتمركزة بإشبيلية وغرب الأندلس[469].

لقد تبين لنا من خلال وقائع هذه الثورة مدى أهمية الأندلس ضمن المشروع الاستراتيجي للدولة الموحدية، فرغم أنه تم الاشتباه في أمر "الجزيري" منذ 579هـ/

465- ابن عذاري، م.س، ص.207-208.

466- ابن عذاري، م.س، ص. 208.

467- ابن عذاري، م.س، ص. 208.

468- ابن عذاري، م.س، ص. 208.

469- بتتبع عمليات الجهاد الموحدية بالأندلس خلال فترة حكم الخلفاء الأربعة الأوائل، نجدها قد ركزت على منطقة غرب الأندلس بشكل أساسي، مما تطلب استقرارا للجيش الموحدي بهذه الجهة في فترات عبور الخليفة إلى شبه الجزيرة. حول هذه العمليات العسكرية بالأندلس الموحدية. يمكن الرجوع إلى كتابنا: محمد العمراني، الموحدون والأندلس في زمن المعارك والحروب، نادية للنشر، الرباط، 2015.

1183~1184م، إلا أنه لم تتم ملاحقته بشكل فعلي وجدي، في حين أنه عندما انتشر خبر وجوده بشبه الجزيرة، تكثفت الجهود وتم البحث عن خطة إجرائية لاستئصال حركته والقضاء على أتباعه وإحباط مخططاتهم لزعزعة أمن الدولة الموحدية[470].

فالقيام بإعدام أصحاب الجزيري وبشكل جماعي، كان بمثابة إنذار موجه لكل من سولت له نفسه معاودة الكرة، وتأكيدا في نفس الوقت على أن مسألة الخضوع للسلطة الموحدية أمر لا يناقش، وضرورة تفرضها متطلبات الدفاع عن الأندلس ضد الحملات العسكرية النصرانية. وبذلك يمكن القول بأن حرص الموحدين على استمرارية وحدة الأندلس المذهبية في ظل الدولة الموحدية على مستوى الالتزام بتعاليم محمد بن تومرت كان دافعا قويا وراء ملاحقة الجزيري والقضاء على مشروعه الثوري بهذه المنطقة من الغرب الإسلامي.

470- غير أن هذه الحملة الموجهة ضد الجزيري وأتباعه قد مكنت بعض أجهزة الدولة الموحدية من الاغتناء غير المشروع مثل اللجوء إلى الارتشاء كما حدث مع القاضي المعروف بـ "الواني"، الذي حصل على الدنانير مقابل إطلاق سراح الثائر الجزيري. ولا يستبعد أن تكون عناصر أخرى قد استغلت مكانتها في جهاز الدولة للحصول على المال مقابل عدم إلصاق التهم بالأندلسيين. ولعل ذلك ما تم التلميح له من طرف صاحب البيان عندما ذكر أنه "**قتل بسبب هذا اللعين خلق كثير من الناس**..."، فقد يستنتج من ذلك براءة هؤلاء الأشخاص من التهم المنسوبة إليهم.

المبحث 40 : ثورة علودان الغماري بجبال غمارة ضد الموحدين بالمغرب الأقصى بعد سنة 595هـ/1198م

تخبرنا رواية متأخرة عن أحداث هذه الانتفاضة، أوردها ابن القاضي في جذوة الاقتباس، (960هـ-1025هـ)، أشارت من خلالها إلى أن ثورة حدثت مع بداية حكم الخليفة محمد الناصر ابن الخليفة يعقوب المنصور الموحدي، لم يتم ذكرها في سياق أخبار حركات الثورة والتمرد بمنطقة غمارة في المصادر الوسيطية، كما قد اعتمد الناصري في سرد أخبار هذه الثورة على ما جاء به ابن القاضي في جذوة الاقتباس، ثم نقل عنه كذلك مؤرخ آخر خلال القرن العشرين، وهو أبو عبد الله محمد البزيوي، والذي حيث جاء في كتابه "تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى" ما يلي : "**...ولما توفي يعقوب بن يوسف بويع بالخلافة على المغرب وإفريقية والأندلس ابنه محمد بن يعقوب، ولقب الناصر لدين الله، وثار عليه لأول ولايته "علو دان الغماري" بجبال غمارة، فسار أمير المؤمنين محمد بن يعقوب إليه وفتح جبال غمارة وأخذها من يد هذا المغتصب ثم رجع إلى مراكش**".

فحسب هذه الرواية لم تتم الإشارة إلى مقتل هذا الثائر، وإنما اكتفت بذكر القضاء على الثورة من خلال استرجاع الخليفة لسلطته على هذه الجبال. فإذا ما جاز لنا الأخذ بمعطيات هذا النص يبدو أن الثورة لم تكن لها خطورة كبيرة رغم أن الخليفة الناصر هو الذي تولى إجهاضها بنفسه. ويبدو في اعتقادنا أن الأمر لا يعدو أن يكون سوى محاولة من هذا الثائر وأتباعه للتملص من أداء الضرائب، فكان قيام انتفاضة "علودان" وسيلة لتحقيق هذه الرغبة. ولعل ما يمكن الاستدلال به من خلال هذا النص هو توظيف مصطلح "فتح"، مما يؤكد على أن المنطقة قد هيمنت عليها سلطة الدولة من جديد، وأن أداء الضرائب يُعتبر مظهرا من مظاهر هذه الهيمنة والخضوع، كما أن ورود مصطلح "المغتصب" كإشارة للثائر تدل على الرغبة في الاستئثار بمداخيل هذه المنطقة من طرف هذا الثائر وجماعته من قبائل غمارة[471].

---

[471]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم الأول، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، 1973، الناصري، الاستقصا، ج2، ص. 214، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله البزيوي، تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم 413، ص. 60.

المبحث 41 :

قيام ثورة عبد الرحمان الجزولي ضد الموحدين بمنطقة سوس بالمغرب الأقصى سنة 597هـ/1200-1201م

أعطى عبد الواحد المراكشي أهمية لسرد الوقائع المرتبطة بقيام ثورة عبد الرحمان الجزولي في سنة 597هـ/1200-1201م[472]، في حين أهملت المصادر الأخرى ذكر أحداثها[473]، وتميزت إشارات باقي المؤرخين إما بالاختصار الشديد، كما هو الشأن بخصوص رواية صاحب العبر[474]، أو أن ذكرها جاء عرضا، كما هو الأمر بخصوص ابن عذاري، الذي لم يتحدث عن هذه الثورة في سياقها الكرونولوجي في إحدى فقرات كتابه[475]، ومع ذلك تبقى لهذه الرواية الأخيرة دلالات متعددة، إذ أنها مكنتنا من الوقوف على بعض المؤشرات، والتي لم نجدها في باقي المصادر الأخرى التي تعرضت لهذا التمرد.

وإذا كانت المصادر قد اتفقت على أن بلاد سوس كانت مسرحا لهذه الانتفاضة[476]، فإن ابن عذاري كان أكثر دقة في تحديده لموضع قيامها، وذلك بإشارته إلى "حصن تيونيوين"[477]، الذي قال إنه «**على قديم الزمان مجبول من فيه من أهله على الشقاق والارتداد**»[478]. على أن قيام هذه الثورة، حسب رأي صاحب البيان، تعتبر مسألة عادية في هذه المنطقة التي عرفت بعصيانها

472- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص.449-451.

473- كما هو الشأن مثلا بخصوص ابن أبي زرع الذي لم يخبرنا بوقوعها ضمن مؤلفه الأنيس المطرب.

474- ابن خلدون، العبر، ج6، ص.292.

475- ذلك أن صاحب "البيان المغرب" تحدث عن هذه الثورة مرتين في كتابه، فقد أدرجها في البداية ضمن أحداث سنة 598هـ/1201-1202م، وفي المرة الثانية في معرض حديثه عن إحدى حصون بلاد السوس. هذا دون أن يقوم بالتنبيه على أنه ذكر هذه الوقائع من قبل. ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.239، 348.

476- المراكشي، المعجب، ص.449، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.292.

477- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.347-348.

478- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص. 348.

وطغيانها منذ عهد أول خليفة موحدي عبد المؤمن بن علي الكومي[479]. ولهذه الأسباب لم يكلف هذا المؤرخ نفسه عناء البحث عن دوافع قيام الجزولي الذي اشتهر باسم "أبي قصبة"[480]. غير أن ما يمكن استخلاصه من المتون المصدرية هو أن الموحدين أعطوا أهمية كبيرة لهذه الثورة تم التعبير عنها من خلال قيامهم بإرسال الحملات العسكرية المتكررة من أجل استئصالها والقضاء على زعيمها.

وتشير المصادر بشكل صريح إلى أن الموحدين اشتد خوفهم من الثائر الجزولي، وذلك راجع على ما يظهر من خلال النصوص المعتمدة، لتكرار هزائمهم أمامه[481]. فهذا ما يفسر بأن الثائر الجزولي قد نظم أتباعه في حركة استطاعت الوقوف في وجه جهاز عسكري للدولة الموحدية، غير أنه إذا جاز لنا الأخذ بمعطيات النصوص التاريخية، هل يمكن الحديث فعلا عن جهاز عسكري قوي جهزته الدولة في كل المواجهات، أم أن الأمر لم يقتصر خلال الحملات الأولى سوى على فرق لجباية الضرائب؟

لا تخبرنا مؤلفات الإخباريين بحقيقة ذلك، غير أن ما ذكرته هو أن الحملة الأخيرة، التي انتهت بمقتل الثائر، قد عرفت مشاركة لكل فصائل الجهاز العسكري الموحدي[482]. فهذا يكشف من جهة عن مدى قوة هذا التمرد، كما يوضح لنا من جهة أخرى عن مدى عزم السلطة المركزية الموحدية في استئصال خطر هذه الثورة.

---

[479]– ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص. 348.

[480]– ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص. 348.

[481]– ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.348. عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص.449.

[482]– فيذكر ابن خلدون أن الخليفة الموحدي الناصر قد "**سرح إليه عساكر الموحدين**"، ويشير ابن عذاري إلى أن الناصر "**تحرك إلى رجراجة ونظر في أمر الجزولي وأنفذ عسكرا برسمه**" في حين يذكر في موضع آخر من كتابه أنه "**لم يبق من الموحدين أحد في حال ثورته إلا استقر بهذه البلاد في قتاله**". ويستنتج من معجب المراكشي أن السلطة المركزية قد بعثت بعوثا من الموحدين الغز وأصناف الجند إضافة إلى المصامدة. عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص.449، ابن عذاري، البيان، قسيم الموحدين، ص.239، 348، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.292.

إن الأهمية الاقتصادية لبلاد سوس [483]، ومكانتها في النظام الضريبي الموحدي [484]، هي ما جعلت من ثورة الجزولي تشكل خطورة على الدولة الموحدية، ولعل ما زاد من خطورتها هو قيامها بعد سنتين من وصول الخليفة أبي عبد الله محمد الناصر إلى سدّة الحكم [485]. فالسلطة المركزية، على ما يبدو، كانت في حاجة ماسة إلى مداخيل لخزينتها خصوصا وأن المصادر قد تحدثت لنا عن المبالغ المالية التي ضاعت إبّان إحدى الحملات العسكرية على إفريقية عام 596هـ/1199-1200م [486]، هذا في وقت لم تكن فيه لخزينة الدولة التي ورثها الناصر أهمية تذكر بسبب ما قام يه الخليفة يعقوب المنصور من قبل من خلال صرفه لأموال طائلة على شكل إغداقات وهبات في أواخر أيامه [487].

ويضاف إلى ذلك ما عرفته الأندلس من خسائر مادية وبشرية بسبب فيضان وادي مدينة إشبيلية عام 597هـ/1200م-1201م، والذي كانت نتيجته فقدان أعداد بشرية هامة [488]، كما تعرضت الدور والمنازل للخراب حيث تم حصر عدد المنازل التي تعرضت للهدم بسبب هذا الفيضان في ستة آلاف دار [489].

483- يراجع في هذا الصدد الكتابات الجغرافية الوسيطية التالية: الزهري، كتاب الجعرافية، بالعين المهملة، م.س، ص.117-118، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص.227-229، ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص.123-124، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، م.س، ص.329-330.

484- لا نعرف أي شيء تقريبا عن مكانة سوس داخل النظام الضريبي الموحدي، ويبدو أنها كانت تدخل ضمن مراكش وناحيتها، ويقول عنها صاحب المعجب بأنها "**في نهاية السعة، لأن بالقرب منها قبائل ضخمة وبلادا كثيرة...**". عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص.371.

485- بويع الناصر خليفة بعد وفاة أبيه بيوم، في حين ذكر ابن عذاري أن البيعة العامة تمت بعد أسبوع من وفاة أبيه وذلك في ربيع الأول عام 595هـ/يناير 1199م. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.231، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.236.

486- فقد ذكر صاحب البيان في هذا الصدد : "**...وانجرت الهزيمة على الموحدين أميالا وفقدوا فيها رجالا وأموالا...**". ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.238.

487- زيادة على أعمال التشييد التي قام بها هذا الخليفة في الأندلس فإنه أضاف مشاريع معمارية أخرى بمدينة مراكش، ولا شك أن ذلك قد كلف خزينة الدولة أموالا طائلة، ويضاف إلى ذلك كله ما تم توظيفه من أموال قصد بناء رباط الفتح، ونشير في هذا السياق -كذلك إلى الأعمال الخيرية والاجتماعية التي قام بها لفائدة بعض شرائح المجتمع كما هو الشأن عند قيامه بإعذار الأطفال بمراكش حيث منح لكل واحد منهم دينارا من الذهب ودرهما من الفضة، فكان يذهب في ذلك كله فوق الألف ألف على حد تعبير مؤلف البيان، المراكشي، المعجب، ص.418-419، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.228، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.230.

488- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.239.

489- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.239.

فهذا الوضع قد فرض -دون شك- على المسؤولين الموحدين ضرورة مضاعفة مداخيل الدولة الجبائية، خصوصا وأن الجهاز الرسمي الموحدي قد عوّد الأندلسيين على الوقوف بجانبهم والتضامن معهم أثناء وقوع المحن والكوارث الطبيعية أو غيرها من المآسي والفواجع[490].

وهكذا جاء قيام الثائر الجزولي متزامنا مع الحملات الموحدية لجباية الضرائب ببلاد سوس، مما دفع القبائل إلى التفكير في الخروج عن السلطة الموحدية[491].

ولم تحدثنا المصادر بشكل صريح عن الفئة التي ناصرت الجزولي، فابن عذاري يشير بشكل خجول إلى أهل حصن "تيوينوين"[492]، بينما اكتفى صاحب المعجب فقط بذكر أن خلقا كثيرا قد اجتمع حوله، دون أن يعطينا أي معلومات أخرى عن أصولهم القبلية[493]، كما أنه لا يوجد أي مؤشر يدل على أن من ساندوه كانوا ينتمون إلى قبائل من جزولة[494].

490- حول المزيد من التفاصيل عن الإنجازات الإيجابية للموحدين في الأندلس يمكن الرجوع كتابنا: محمد العمراني، المجتمع والنخبة وتدبير السلطة بالأندلس، العصر الموحدي 541-609هـ/1147-1212م، نادية للنشر، الرباط، 2015، ص.31-40.

491- إن ما دفعنا لطرح هذا الاحتمال هو أن الحملات العسكرية قد تعددت دون أن يتم حسم الموقف لصالح الموحدين، مما يفسر أنها لم تكن غايتها تنحصر فقط في إخضاع المنطقة، ولكن الدافع إلى ذلك كان كذلك هو الرغبة في الاستفادة -على ما يبدو- من المداخيل الضريبية. ولا يمكن تفسير خطاب العنف الذي استعملته السلطة الموحدية تجاه القبائل المجاورة للثائر سوى بالتخوف من حرمانها من عائدات هذه المنطقة: "...**إنما يقوى هذا الرجل بتغافلكم عنه، ومسامحتكم إياه، ولو شئتم لم يبق بالبلاد يوما واحدا**...". المراكشي المعجب، ص.449. وهذا التهديد يفسر لنا كذلك ما جاء به ابن خلدون حول التضامن داخل القبيلة، إذ تكون كلها مسؤولة عن كل عمل عدواني يقوم به أحد أفرادها حتى ولو لم تكن موافقة عليه ولا مشجعة له. انظر في هذا الصدد: محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، م.س، ص.266-267.

492- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.348.

493- المراكشي، المعجب، ص.449.

494- هذا ما يمكن أن نستخلصه من رواية النويري عندما ذكر بأنه في سنة 597هـ/1200-1201م "**قدم بالسوس رجل جزولي، يعرف بأبي قصبة، ودعا لنفسه واجتمع عليه خلق كثير**..." فزيادة على ما يشير إليه بخصوص مجيء هذا الشخص، فالدعوة هنا لا علاقة لها بمسألة العصبية. النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق الدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص.445.

وإذا كانت المصادر في حديثها عن الثورات الأخرى التي شهدها المغرب الموحدي قبل ثورة الجزولي، قد أعطت أهمية كبيرة للبنية المجتمعية القبلية التي قامت بالثورة، فإنها على العكس من ذلك عند سردها لوقائع ثورة الجوزلي هذا الملقب بأبي قصبة نجدها قد همشتها ولم تخبرنا بأي معطيات عن الجماعة المؤيدة لهذا الثائر.

ولعل ما يفسر هذا الاختيار، الذي يكاد يكون قاسما مشتركا بين هذه النصوص المصدرية، هو الثقل الذي فرضه عبد الرحمان الجزولي -كشخصية جذابة- على كتابات المؤرخين، وهذا ما يلاحظ عندما تتحدث هذه الكتابات التاريخية عن هذه الثورة إلا وتوردها مقرونة باسم زعيمها، وليس في علاقتها بالمجموعة التي كانت تحارب من أجلها[495]. غير أن المؤرخين لا يقدمون لنا إشارات بخصوص الوضعية الاجتماعية للثائر، ولا يشيرون إلى بعض سلوكاته، باستثناء ابن عذاري الذي تحدث عن ولع الجزولي بالسحر[496]، وكذا ما جاء عند صاحب "المعجب" بأن الثائر كان يعرف عند سكان البلاد التي قام بها "**بما معناه بلسانهم ابن الجزارة**"[497].

وإذا كان الاشتغال بالسحر هو ما كان يميز هذا الثائر داخل مجموعة بشرية أرادت الدفاع عن مواردها الاقتصادية[498]، فإن ما كان ينتظرونه منه هو إظهار مدى حدود قدراته في تخليصهم من الضغط الجبائي الموحدي. غير أن ما تبين لأتباعه بعد المواجهات العسكرية المتكررة، أن الثائر الجزولي لم يعمل في الواقع إلا على تأزيم الوضع الاقتصادي للمنطقة، خصوصا بعدما لجأ الموحدون إلى

495- المراكشي، المعجب، ص.449، النويري، نهاية الأرب، م.س، ص.445، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.348،239، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.292.

496- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.348.

497- المراكشي، المعجب، ص.449.

498- حول هذه الموارد راجع بداية تحليل هذه الثورة في هذا المبحث.

استعمال أسلوب الحصار الاقتصادي لإرغام الثوار على الاستسلام، وهذا ما أكدته رسالة معاصرة للحدث، وهي من شاهد عيان، إذا جاز لنا الأخذ بصحة رواية المعجب[499].

ولعل ذلك هو ما أدى إلى التخلي عن هذا الثائر فيما بعد، إذ ذكرت معظم المصادر على أن "جموعه سلمته للموحدين"[500]، إلا أن هذا لم يمنع من وجود جماعة من المخلصين قررت الدفاع عن الثائر واختارت أن تحارب في صفوفه ومواجهة جيوش الدولة الموحدية[501]. ولعل ذلك ما نستنتجه من سياق الرسالة المذكورة أعلاه والتي جاء فيها عن أصحاب الثائر أنهم "**...طاحوا مجدلين بالحضيض، وملأ جثمانهم الفضاء العريض...**"[502].

فكان بذلك مصير هذه الثورة هو القضاء عليها وتصفية زعيمها وإعدامه حيث تم حمل رأسه إلى عاصمة الدولة الموحدية مراكش، وتم بعد ذلك تعليقه على إحدى أبواب المدينة المسمى بباب الشريعة[503].

---

[499]– المراكشي، المعجب، ص.450.
[500]– المراكشي، المعجب، ص.449. النويري، نهاية الأرب، ص.445.
[501]– المراكشي، المعجب، ص.450.
[502]– المراكشي، المعجب، ص.450.
[503]– ابن عذاري، البيان، المغرب، قسم الموحدين، ص.348.

المبحث 42 :

ثورة ابن الفرس ببلاد سوس ضد الموحدين بالمغرب الأقصى سنة 600هـ/1203-1204م

اهتمت كتب التراجم الأندلسية بأحداث هذه الثورة وذلك راجع لارتباطها بأحد علماء شبه الجزيرة، وهو "عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي"، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الفرس ويلقب بالمهر[504]. ولذلك طغى على سرد وقائع الثورة جانب التعريف بشخصية الثائر أكثر من الاهتمام بكيفية قيامه بهذا التمرد. فلم تحدثنا المصادر عن الأسلوب الذي نهجه ابن الفرس في كسب الأتباع، ولا المدة التي استغرقها في نشر دعوته.

أما بخصوص مؤرخي الوقائع فلم يتم الاهتمام في مؤلفاتهم بأحداث ثورة ابن الفرس باستثناء ما جاء عند ابن خلدون في عبره، وابن عذاري في بيانه[505]. وقد جاءت كتاباتهم شبيهة –منهجيا- بمؤلفات كتب التراجم حيث تم إعطاء الأولوية في نصوصهما للتعريف بابن الفرس أكثر من الاهتمام بوقائع الثورة.

إن ذلك على ما يبدو هو ما جعل المصادر المذكورة أعلاه يشوبها الغموض في تحديد منطقة تحرك هذه الثورة بشكل دقيق كما هو مبين في الجدول التالي :

504- يذكره صاحب الحلة السيراء باسم عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد الخزرجي الغرناطي، أما صاحب "المغرب في حلى المغرب"، فاكتفى بذكر اسمه مختصرا: "عبد الرحيم بن الفرس" وأنه يعرف بالمُهر. ويشير صاحب "صلة الصلة" إلى اسمه كما يلي "عبد الرحيم بن إبراهيم الخزرجي" وأنه يكنى أبا القاسم ويعرف بابن الفرس ويلقب بالمهر ويؤكد على أنه من أهل غرناطة. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية، 1985، ص.270، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، المجلد 2، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1980، ص.111، ابن الزبير، صلة الصلة، القسم الثالث، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، 1993، مطبعة فضالة، المحمدية، ص.228، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مجلد 3، تحقيق محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى، 1975، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ص.473-476.

505- ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، م.س، ص.348، ابن خلدون، العبر، مجلد6، م.س، ص.296.

المنطقة التي شهدت قيام ثورة ابن الفرس	المصدر
لمطة في قبلة مراكش	ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص.111.
ناحية مراكش	ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.270.
جهة درعة من بلاد السوس	ابن الزبير، صلة الصلة، القسم 3، ص.228. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص.475.
بلاد سوس في حصن "تيوينوين"	ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.348.
بلاد كزولة	ابن خلدون، العبر، ج6، ص.296.

وتم تحديد تاريخ القضاء على هذه الثورة من قبل بعض المصادر في حوالي 600هـ/1203-1204م[506] أو بعدها بقليل[507]. وبذلك لا نعرف من خلال المصادر الفترة الزمنية بالتحديد التي قام فيها تمرد ابن الفرس، ولا متى وقع فيها الاتصال بين هذا الزعيم وبين أتباعه ببلاد المغرب، ولعل ذلك هو ما أدى إلى اختلاف النصوص فيما بينها على مستوى ظهور فكرة الانتفاضة.

فابن الخطيب يشير إلى أن مشروع الثورة كان واردا عند ابن الفرس منذ تواجده بالأندلس، وبذلك يتحدث عن هذا الفقيه قائلا بأنه قد "**علت همته إلى طلب الرياسة والملك، فارتحل إلى بلاد العدوة ودعا إلى نفسه فأجابه إلى ذلك الخلق الكثير، والجم الغفير، ودعوه باسم الخليفة، وحيوه بتحية الملك...**"[508]. وبذلك لم يكن انتقال هذا العالم الأندلسي إلى المغرب الأقصى، حسب ما جاء في الإحاطة، بريئا أو بمحض الصدفة وإنما كان هذا العبور بهدف نشر دعوته وفي نفس الوقت

506– ابن الأبار، كتاب الحلة السيراء، ج2، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985، ص.270.

507– ابن الزبير، كتاب صلة الصلة، القسم الثالث، تحقيق الدكتور عبد السلام الهراس والشيخ سعيد أعراب، نشر وزارة الأوقاف المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1993، ص.228.

508– ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص.473-474.

تحقق رغبته في الوصول إلى السلطة. بينما رأى البعض الآخر أن هاجس الثورة لم يتحول إلى مشروع سياسي عند ابن الفرس إلا بعد دخوله مراكش، ففي رواية لأحد شيوخ صاحب "صلة الصلة" ممن صحب ابن الفرس قال فيها ما يلي: "**خرجنا يوما معه على باب من أبواب مراكش برسم الفرجة، فلما كان عند الرجوع نظرنا إلى رؤوس معلقة، فتعوذنا بالله من الشر وأهله، وسألناه سبحانه العافية؛ قال: فأخذ يتعجب منا وقال : هذا خور طريف، وخساسة همة، والله ما الشرف والهمة إلا في تلك الموتة – يشير إلى طلب الملك- وإن أدى الاجتهاد في ذلك إلى القطع دونه. والموت على تلك الصفة أو نحو هذا من الكلام؛ قال : فما برحت الأيام والليالي حتى شرع في ذلك ورام الثورة، فاستجاب له عالم كثير...**"[509]. غير أن ابن عذاري ينفرد برواية أخرى حول مجيء ابن الفرس إلى مراكش حيث يستنتج منها أن دخوله إليها تم بصفته العالم والفقيه[510]، فكان بذلك -على ما يفهم من سياق النص- يشتغل بالتدريس، فقد ذكر صاحب البيان أنه بعد دخول ابن الفرس مراكش "**جرى عليه القدر الذي لا يرد وترك الناس حينئذ الرواية والأخذ عنه، فكان يمر على رأس أبي قصبة وهو معلق فيندبه ويتحسر عليه، ثم حملته الأقدار إلى هذه البلاد السوسية فثار في هذا الحصن واجتمع إليه الناس وامتنع به وأعانه أهله بأموالهم...**"[511].

فهل يمكن القول –انطلاقا من نص ابن عذاري هذا بأن ابن الفرس أراد استغلال فشل ثورة "عبد الرحمان الجزولي"[512] ليخلفه في قيادة تلك القبائل التي ثارت معه من قبل ؟

509– ابن الزبير، كتاب صلة الصلة، القسم الثالث، ص.228.

510– ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، م.س، ص.348.

511– ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، م.س، ص.348.

512– انظر حول هذه الثورة مبحث سابق من هذا الفصل، وكذا دراستنا: محمد العمراني، الثورات والتمردات بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي، م.س، ص.113-119.

ما بين أيدينا من نصوص لا يُسمح لنا بالقول بأن "ابن الفرس" قد اعتمد على نفس المجموعة القبلية التي ثارت مع الجزولي، دليلنا في ذلك أن عمليات التطهير الجسدي التي شملت سكان هذه المنطقة[513]، وفي مدة ليست بالبعيدة، يجعل من الصعب على هذه القبائل أن تتحالف من جديد مع ابن الفرس ضد السلطة المركزية.

وقد أوردت معظم المصادر أربع أبيات من قصيدة لابن الفرس قالها في إطار ثورته[514]، فجاءت معلومات هذه النصوص حول حقيقة هذه الثورة مبنية أساسا على تحليل مضمون هذا النص الشعري. فذكر "صاحب المغرب" عن هذا الثائر بأنه "**سمت نفسه لطلب الهداية فأظهر أنه القحطاني الذي ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه لا تقوم الساعة حتى يقود الناس طوع عصاه...**"[515].

إن خطورة ثورة ابن الفرس لا تكمن فيما أثارته من انتفاضة قبلية في بلاد سوس[516]، وإنما تتجلى هذه الخطورة على مستوى ما روجته من أفكار من شأنها زعزعة البناء الإديولوجي والمذهبي للدولة الموحدية، والذي تعتبر المهدوية إحدى ركائزه الهامة[517]. ذلك أن ظروف قيام ثورة ابن الفرس كانت مواتية للترويج لمثل

513– عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص.450.

514– لقد وردت هذه الأبيات في معظم المصادر المذكورة أعلاه مع بعض الاختلافات الطفيفة في البيت الثاني والثالث على الخصوص وسنعتمد على رواية ابن الأبار باعتباره أقدم نص –فيما نعتقد– تناول هذا الحدث.

قولوا لأبناء عبد المؤمن بن علي **** تأهبوا لوقوع الحادث الجلــــل
أتاكم خير قحطان وعالمهــــــا **** وصاحب الوقت والغلاب للدول
والناس طوع عصاه وهو قائدهم **** بالأمر والنهي نحو العلم والعمل
فبادروا أمره، فالله ناصــــــره **** والله خادل أهل الزيغ والزلـــــل

ابن الأبار ، الحلة السيراء، ج2، ص.270-271.

515– ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص.111.

516– ابن عذاري، البيان، قسم الموحدي، ص.348.

517– حول مهدوية محمد بن تومرت في علاقتها مع الحركة الموحدية يمكن الرجوع إلى :

URVOY (D): La pensée d'ibn tumart, bulletin d'études orientales, Tome. XXVII, Damas, 1975, pp.19-44.

LAROUI (A): Sur le mahdisme d'ibn toumart, in Mahdisme: crise et changement dans l'histoire du Maroc; Publications de la Faculté des lettres et sciences humaines, Rabat, 1994, pp.9-13.

ZNIBER (M): L'itineraire psycho-intellectuel d'ibn tumart in Mahdisme crise et changement dans l'histoire du Maroc; op.cit, pp.15-29.

هاشم العلوي القاسمي، "حركة المهدوية في الغرب الإسلامي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، العدد، 10، 1989، ص.178-184.

بهذه الأفكار المرتبطة بالمهدوية. إن محاولة الفقيه والعالم الأندلسي جاءت بعد مرحلة حكم يعقوب المنصور الذي كان لا يتحمس لعقيدة المهدي[518]، وكذا بعد ظهور ثورة الجزيري الذي أراد إحياء سنة مهدي الموحدين[519]، فكان إعلان ابن الفرس الهداية، بعد القضاء على ثورة "أبي قصبة"[520]، واندلاع ثورة أخرى في جبال ورغة ادعى صاحبها أنه من سلالة "العبيديين"[521]، يعتبر أمرا خطيرا على مصير الدولة المؤمنية. وهذا ما فرض على الخليفة محمد الناصر -على ما يبدو- الاستقرار في مراكش من أجل "تفقد بلاده والإشراف على جزئيات مملكته"[522] وكذا القيام في الوقت نفسه بمحاولة توجيه أنظار رعيته للاستعداد من أجل الذهاب إلى الجهاد بالأندلس[523].

518- يمكن أن نستنتج ذلك من محاول اهتمام المنصور الموحدي بالأخذ بالكتاب والسنة، وكذا من خلال ما ذكره في هذا الصدد عبد الواحد المرانكشي حول هذا الخليفة و"عقيدة العامة في ابن تومرت". عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 400-402، وص. 416-418، محمد المغراوي، العلماء والصلحاء والسلطة....، م.س، ص.175-178.

519- انظر أحداث ثورة الجزيري في مبحث سابق من هذا الفصل.

520- حول ثورة أبي قصبة أو عبد الرحمان الجزولي يمكن الرجوع إلى تحليل لها في المبحث السابق من هذا الفصل.

521- وبخصوص تحليل مفصل عن هذه الثورة وغيرها من ثورات غمارة يمكن الرجوع إلى مقالنا: محمد العمراني، ثورات بلاد غمارة خلال الفترتين المرابطية والموحدية، مجلة أمل، العدد 17، السنة السادسة، الدار البيضاء، 1999، ص.102-135.

522- ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.242.

523- نفس المصدر والصفحة، وحو لمزيد من التفاصيل عن العمليات العسكرية الموحدية بالأندلس على عهد محمد الناصر، انظر كتابنا: محمد العمراني، الموحدون والأندلس في زمن المعارك والحروب، م.س، ص.133-155.

جدول مؤشرات حول شخصية الثائر ابن فرس

	جوانب من شخصية ابن الفرس	المصدر
الوضعية الاجتماعية	– وطئ من درجات العز والمجد أعلاه. – فرع من الأصالة منتهاها. – جاريا على أخلاق الملوك في مركبه وملبسه وزيه. – كان من طبقة العلماء بالأندلس.	– ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص.473. – ابن خلدون، العبر، ج6، ص.296.
تكوينه المعرفي	– رايق الشعر وبديع التوشيح. – كان شاعرا مطبوعا. – وصف بالذكاء المفرط. – التفنن والتقدم في الفلسفة. – فقيه عالم. – أحد نبهاء وقته. – رفيع الذكر. – عارفا بالنحو واللغة والأدب. – سريع البديهة. – مال إلى العلوم القديمة. – برع في العقليات وغيرها وفاق نظراءه.	– ابن الأبار، الحلو السيراء، ج2، ص.270. – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص.11. – ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.348. – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص.473-474. – ابن الزبير، صلة الصلة، القسم 3، ص.228.
أهدافه وطموحاته	– طلب الهداية. – أظهر أنه القحطاني. – طلب الرياسة والملك.	– ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص.111. – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص.474.

وإذا كانت المصادر المعتمدة قد أمدتنا بمؤشرات هامة حول هذا الثائر، فإنها بالمقابل لم تقدم لنا معلومات عن الوضعية الاجتماعية لأنصاره. إلا أنه قد يستخلص من إحدى الإشارات أنها فئة ميسورة نظرا لأنها منحت الدعم المالي لابن الفرس كما أشار إلى ذلك مؤلف البيان[524]. ومع ذلك فإن الثورة باءت بالفشل بعد

[524]– ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.348.

تدخل جيش الموحدين[525]. غير أن ما يلاحظ في هذا الصدد، هو تأكيد معظم المصادر على هزيمة الثائر بشكل خاص وقتله دون أن تركز إلى هزيمة جيشه باستثناء صاحب "الإحاطة"[526]، وهذا ما يدفعنا بنا إلى التساؤل حول درجة الرغبة في الخروج عن سلطة المصامدة، هل هي رغبة مزدوجة بين القبائل وابن الفرس؟ أم أن الثورة هي بفعل التأثير القوي الذي مارسته دعوة العالم الفقيه الأندلسي؟

رغم أننا نفتقر إلى نصوص حاسمة في هذا الصدد، فإن ما يمكن الخروج به من خلال تحليل معطيات هذه الثورة، أن القبائل شاركت فعليا في هذا التمرد، إلا أن صورة العنف التي جسدها وكرسها النظام الموحدي في الذاكرة المغربية منذ ظهور الحركة التومرتية بجبال "درن"[527]، كانت مسؤولة عن استسلام القبائل. وقد حاولت بعض النصوص الأندلسية أن تقدم لنا هذا الاستسلام في صورة خيانة لزعيم الثورة كما ذهب إلى ذلك ابن الأبار في "الحلة السيراء"[528].

وإذا كانت الثورة قد انتهت بقطع رأس الثائر، وتعليقه في باب الشريعة بمراكش[529]، حتى يكون عبرة تفرض على العباد التعوذ بالله من الفتنة وسوء الامتحان بمنه على حد قول ابن الزبير في صلته[530]، فإن هذه الأحداث استطاعت أن تجسد لنا كذلك درجة الشعور الأندلسي والمغربي على السواء بالانتماء إلى مجال خاضع لسلطة سياسية واحدة ممثلة في الخلافة الموحدية.

525– ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص.348. ابن الزبير، صلة الصلة، القسم الثالث، ص.228، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.270، ابن خلدون، العبر، ج6، ص.296. وقد نقل الناصري حرفيا رواية ابن خلدون مضيفا في آخرها "وسكنت الفتنة". الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص.218.

526– ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص.474.

527– انظر في هذا الصدد ما ذكره البيذق حول عنف هذه الحركة على عهد محمد بن تومرت وعبد المؤمن قبل وبعد فتح مراكش. البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، م.س، ص.35-52، وص.63-72.

528– فقد ذكر في هذا الشأن "...**واشتملت عليه طوائف من البربر، ثم غدر به بعضهم**". ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص.270.

529– ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص.111، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص.348.

530– ابن الزبير، صلة الصلة، القسم الثالث، ص.228.

المبحث 43 :

ثورة العبيدي وولده ببلاد غمارة ضد الموحدين بالمغرب الأقصى سنتي 600 و 610هـ/1203 و 1213م

عرفت بلاد غمارة ظهور ثورتين، الأولى منهما كانت سنة 600هـ/1203م والثانية حدثت عام 610هـ/1213م، ولا نجد أثرا للثورتين معا سوى في الكتابات المرينية خاصة منها روض القرطاس والذخيرة السنية وجنى زهرة الآس.

فصاحب القرطاس لا يخبرنا بأسباب قيام العبيدي عام 600هـ/1203م بجبال ورغة، ذلك أن ابن أبي زرع جاء بهذا الخبر في سياق حديثه عن اكتمال بناء سور مدينة فاس على عهد الخليفة الموحدي محمد الناصر[531]، في حين أن رواية الذخيرة حاولت تسليط الأضواء على البُعد المذهبي والإيديولوجي في هذه الثورة أكثر من الحديث عن قضايا أخرى، وفي هذا السياق ذكرت أن هذا الثائر ادعى بأنه الفاطمي الذي ينصر الإسلام ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا[532].

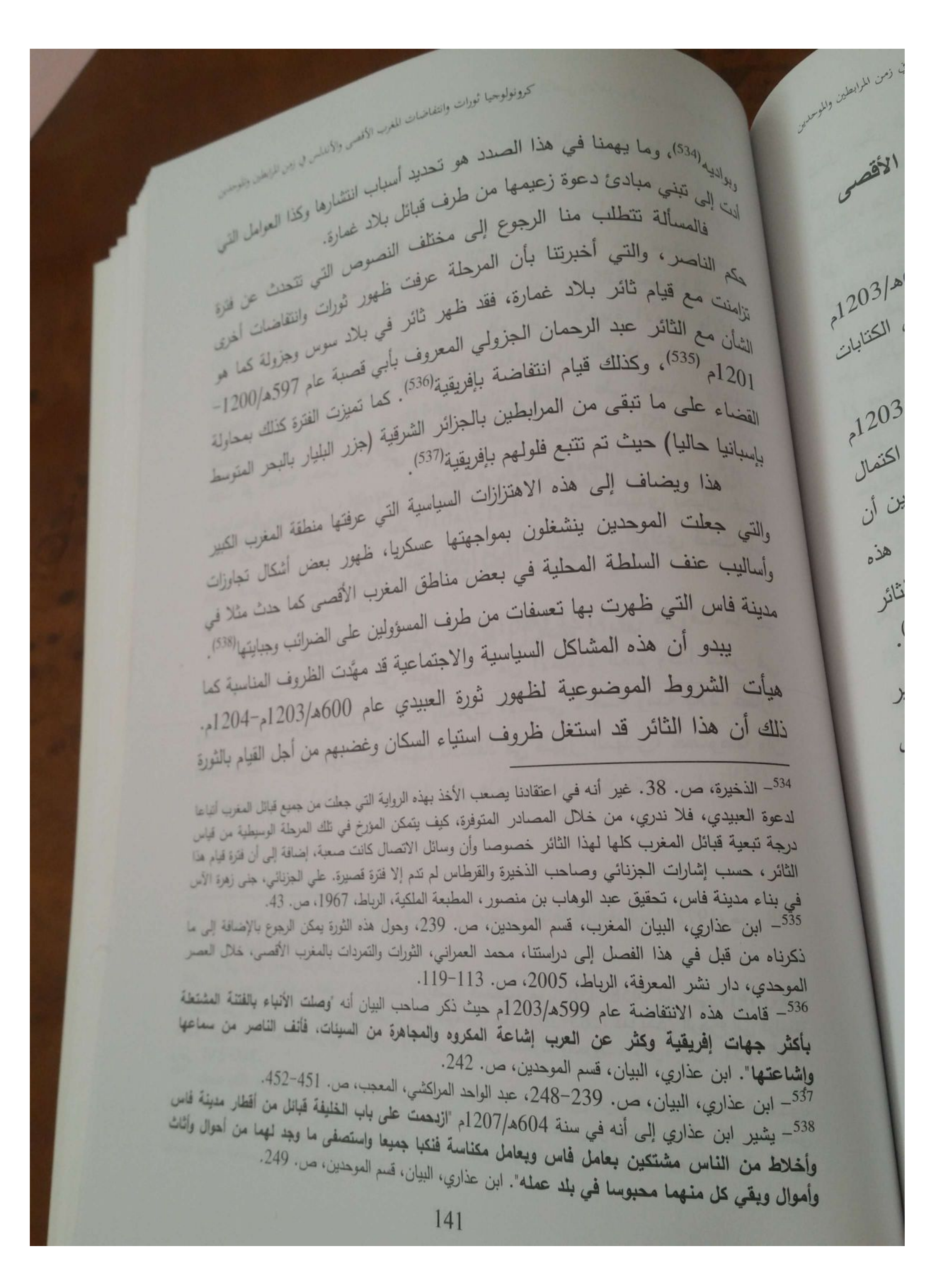
فالدعوة في أساسها لشخص كان يعتقد أنه يملك من القوة ما يُمَكِّنُه من تغيير واقع يسود فيه الجور والفساد، مما يفسر لنا بأنه كانت هناك رغبة عند الناس في تجاوز هذا الوضع، ولعل ذلك هو ما يوضح سبب تبعية قبائل جبال غمارة ومساندتها لهذا الثائر[533].

وحسب رواية الذخيرة أن هذا القائم لم تنحصر دعوته في هذه المناطق فحسب، بل إنها انتشرت في جميع الجهات حيث سانده كثير من قبائل المغرب

531– ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. 271.

532– ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص.38.

533– ابن أبي زرع، الذخيرة، م.س، ص. 38.



وبواديه(534)، وما يهمنا في هذا الصدد هو تحديد أسباب انتشارها وكذا العوامل التي
أدت إلى تبني مبادئ دعوة زعيمها من طرف قبائل بلاد غمارة.
فالمسألة تتطلب منا الرجوع إلى مختلف النصوص التي تتحدث عن فترة
حكم الناصر، والتي أخبرتنا بأن المرحلة عرفت ظهور ثورات وانتفاضات أخرى
تزامنت مع قيام ثائر بلاد غمارة، فقد ظهر ثائر في بلاد سوس وجزولة كما هو
الشأن مع الثائر عبد الرحمان الجزولي المعروف بأبي قصبة عام 597هـ/1200-
1201م (535)، وكذلك قيام انتفاضة بإفريقية(536). كما تميزت الفترة كذلك بمحاولة
القضاء على ما تبقى من المرابطين بالجزائر الشرقية (جزر البليار بالبحر المتوسط
بإسبانيا حاليا) حيث تم تتبع فلولهم بإفريقية(537).

هذا ويضاف إلى هذه الاهتزازات السياسية التي عرفتها منطقة المغرب الكبير
والتي جعلت الموحدين ينشغلون بمواجهتها عسكريا، ظهور بعض أشكال تجاوزات
وأساليب عنف السلطة المحلية في بعض مناطق المغرب الأقصى كما حدث مثلا في
مدينة فاس التي ظهرت بها تعسفات من طرف المسؤولين على الضرائب وجبايتها(538).
يبدو أن هذه المشاكل السياسية والاجتماعية قد مهَّدت الظروف المناسبة كما
هيأت الشروط الموضوعية لظهور ثورة العبيدي عام 600هـ/1203م-1204م.
ذلك أن هذا الثائر قد استغل ظروف استياء السكان وغضبهم من أجل القيام بالثورة

534- الذخيرة، ص. 38. غير أنه في اعتقادنا يصعب الأخذ بهذه الرواية التي جعلت من جميع قبائل المغرب أتباعا لدعوة العبيدي، فلا ندري، من خلال المصادر المتوفرة، كيف يتمكن المؤرخ في تلك المرحلة الوسيطية من قياس درجة تبعية قبائل المغرب كلها لهذا الثائر خصوصا وأن وسائل الاتصال كانت صعبة، إضافة إلى أن فترة قيام هذا الثائر، حسب إشارات الجزنائي وصاحب الذخيرة والقرطاس لم تدم إلا فترة قصيرة. علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1967، ص. 43.

535- ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص. 239، وحول هذه الثورة يمكن الرجوع بالإضافة إلى ما ذكرناه من قبل في هذا الفصل إلى دراستنا، محمد العمراني، الثورات والتمردات بالمغرب الأقصى، خلال العصر الموحدي، دار نشر المعرفة، الرباط، 2005، ص. 113-119.

536- قامت هذه الانتفاضة عام 599هـ/1203م حيث ذكر صاحب البيان أنه "وصلت الأنباء بالفتنة المشتعلة **بأكثر جهات إفريقية وكثر عن العرب إشاعة المكروه والمجاهرة من السيئات، فأنف الناصر من سماعها واشاعتها**". ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص. 242.

537- ابن عذاري، البيان، ص. 239-248، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 451-452.

538- يشير ابن عذاري إلى أنه في سنة 604هـ/1207م "**ازدحمت على باب الخليفة قبائل من أقطار مدينة فاس وأخلاط من الناس مشتكين بعامل فاس وبعامل مكناسة فنكبا جميعا واستصفى ما وجد لهما من أحوال وأثاث وأموال وبقي كل منهما محبوسا في بلد عمله**". ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص. 249.

في جبال ورغة. ولعل ما شجع قبائل غمارة على اتباع العبيدي هو ما كانت تتميز به شخصيته من حسن الأخلاق والاستقامة حيث ذكرته الرواية التاريخية بأنه كان رجلا صالحا، متخشعا، كثير الورع والعبادة على حد تعبير صاحب الذخيرة[539].

فكانت بذلك للشخصية "الكاريزماتية" للثائر العبيدي أثرا على مستوى ضمان تعلُّقِ قبائل بلاد غمارة وتشبثها به خصوصا إذا ما علمنا بالمكانة المتميزة التي كان يحتلها الزهاد والمتصوفة عند هذه القبائل. فلم تكن الأجهزة الأمنية والإدارية الموحدية غافلة عما كان يجري في هذه المنطقة، ولعل ذلك هو ما يفسر قرار السلطة المركزية المتمثل في إصدار الأمر بإلقاء القبض على العبيدي واعتقاله حيث تم إعدامه وحمل رأسه إلى الخليفة الناصر بالعاصمة مراكش حيث أمر بإرجاعه إلى مدينة فاس، ليتم بعد ذلك تعليقه في إحدى أبوابها[540].

كما ذكرت المصادر أنه عام 610هـ/1213م قام ولد العبيدي بجبال غمارة حيث ادعى أنه الفاطمي، فبايعه خلق كثير من أهل الجبال والبوادي فبعث إليه الناصر الموحدي جيشا فتم قتله[541].

لقد جاءت انتفاضة ولد العبيدي عام 610هـ/1213م في ظروف ما بعد "معركة العقاب"[542] ليكشف عن ظهور حالة من الاستياء العام وكذا تذمر في وسط السكان بالغرب الإسلامي ككل، والمغرب الأقصى خاصة ومنه بلاد غمارة، فكانت بذلك الشروط الموضوعية ممهدة للاعتقاد في ظهور المهدي، خصوصا وأن هذه المنطقة قد سبق لها أن عرفت انتشار مثل هذه المعتقدات منذ فترات سابقة[543].

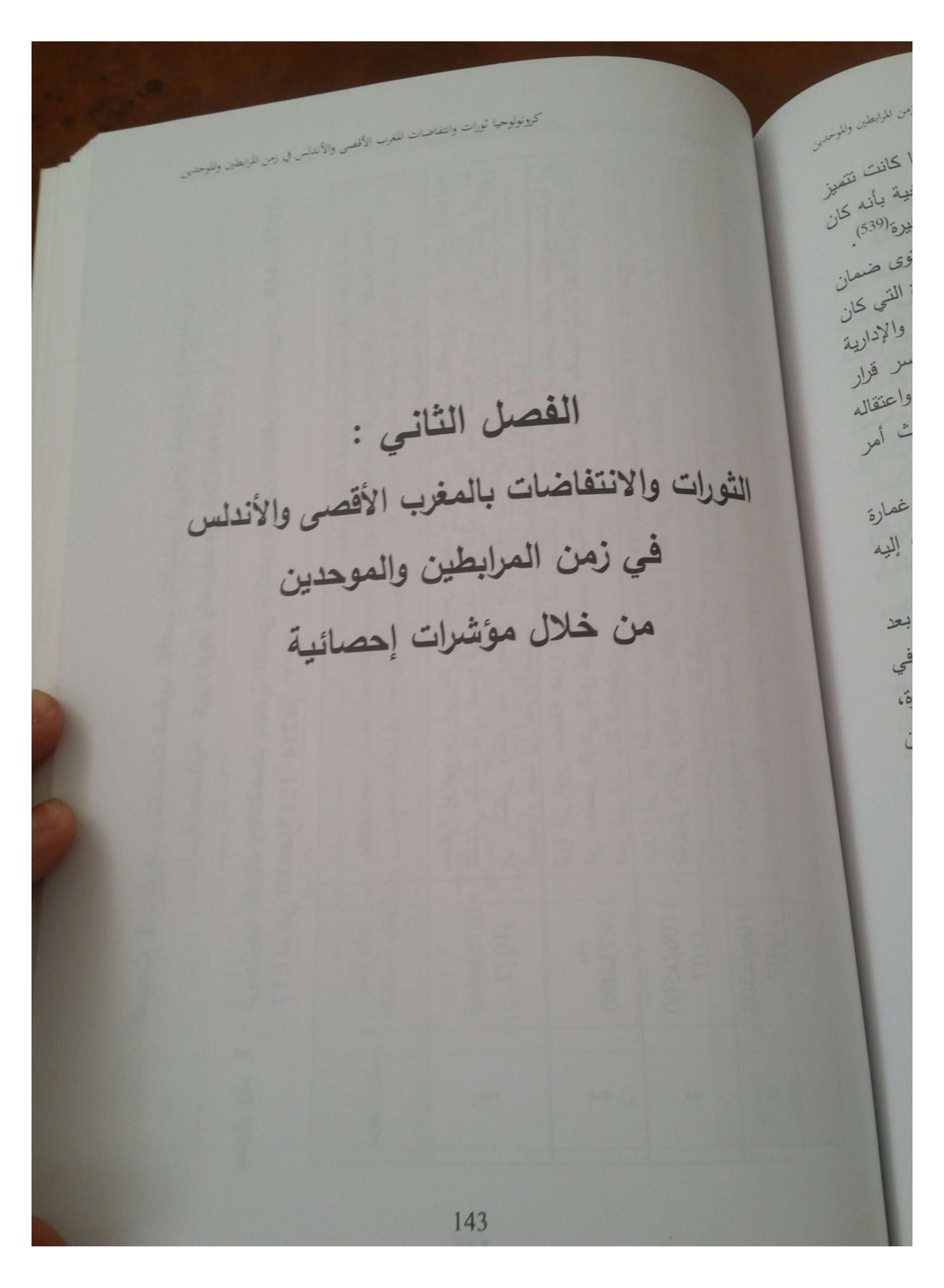
539– ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 38.

540– ابن أبي زرع، الذخيرة، ص. 38.

541– ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. 272.

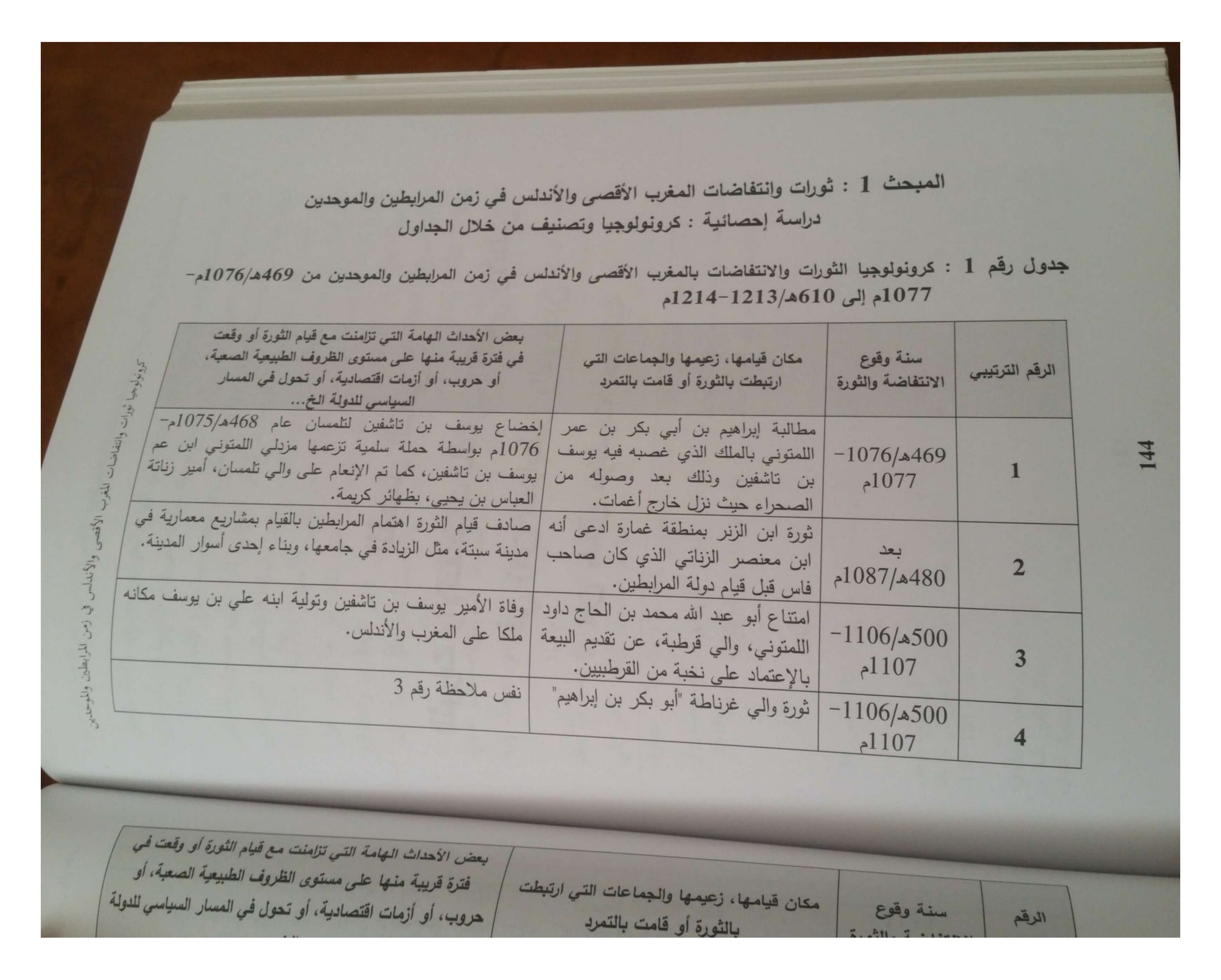
542– وحول معركة العقاب، انظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 456-458، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. 238-241، ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص. 263-265، كما يمكن الرجوع إلى دراستنا المشار إليها سابقا. محمد العمراني، الموحدون والأندلس في زمن المعارك والحروب، م.س، ص. 151-155. وص. 238-346.

543– نقصد بذلك مرحلة الصراع الأموي الفاطمي بالمغرب الأقصى خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، يمكن الرجوع في هذا الصدد إلى دراستنا الفتن والتمردات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكدال، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1996، ص.163-168.



الفصل الثاني :

الثورات والانتفاضات بالمغرب الأقصى والأندلس في زمن المرابطين والموحدين من خلال مؤشرات إحصائية



المبحث 1 : ثورات وانتفاضات المغرب الأقصى والأندلس في زمن المرابطين والموحدين

دراسة إحصائية : كرونولوجيا وتصنيف من خلال الجداول

جدول رقم 1 : كرونولوجيا الثورات والانتفاضات بالمغرب الأقصى والأندلس في زمن المرابطين والموحدين من 469هـ/1076م-1077م إلى 610هـ/1213-1214م

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
1	469هـ/1076-1077م	مطالبة إبراهيم بن أبي بكر بن عمر اللمتوني بالملك الذي غصبه فيه يوسف بن تاشفين وذلك بعد وصوله من الصحراء حيث نزل خارج أغمات.	إخضاع يوسف بن تاشفين لتلمسان عام 468هـ/1075م-1076م بواسطة حملة سلمية تزعمها مزدلي اللمتوني ابن عم يوسف بن تاشفين، كما تم الإنعام على والي تلمسان، أمير زناتة العباس بن يحيى، بظهائر كريمة.
2	بعد 480هـ/1087م	ثورة ابن الزنر بمنطقة غمارة ادعى أنه ابن معنصر الزناتي الذي كان صاحب فاس قبل قيام دولة المرابطين.	صادف قيام الثورة اهتمام المرابطين بالقيام بمشاريع معمارية في مدينة سبتة، مثل الزيادة في جامعها، وبناء إحدى أسوار المدينة.
3	500هـ/1106-1107م	امتناع أبو عبد الله محمد بن الحاج داود اللمتوني، والي قرطبة، عن تقديم البيعة بالإعتماد على نخبة من القرطبيين.	وفاة الأمير يوسف بن تاشفين وتولية ابنه علي بن يوسف مكانه ملكا على المغرب والأندلس.
4	500هـ/1106-1107م	ثورة والي غرناطة "أبو بكر بن إبراهيم"	نفس ملاحظة رقم 3

| الرقم | سنة وقوع | مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد | بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة |

...	... بن إبراهيم"	نفس ملاحظة رقم 3

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
5	بعد 508هـ/ بعد 1114م	ثورة سكان ميورقة على الوالي المرابطي بها.	جاءت الثورة بعد الهجوم النصراني على هذه الجزيرة حيث أخذوا جميع ما فيها بعد حصار شديد حسب إشارة ابن القطان. إرغام والي ميورقة السكان على بناء مدينة جديدة بعيدة عن البحر.
6	512-514هـ/ 1118-1121م	وجود أقوام من غمارة مخالفون على والي المرابطين، "أبو عمر ينالو" الذي سماه البيذق سلطان الغرب (يقصد المغرب الأقصى).	وجود محمد بن تومرت بمدينة فاس وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما جاءت هذه الوقائع بعد الحملة الثالثة أو الجواز الثالث لعلي بن يوسف إلى الأندلس عام 511هـ/1117-1118م.
7	514هـ/1120-1121م	ثورة عامة قرطبة، وبتأييد من بعض خاصتها من الفقهاء، على الوالي المرابطي، ووقوفهم في وجه حصار جيش علي بن يوسف بمدينتهم.	فقدان سرقسطة عام 512هـ/1117م، وإعادة النظر في ممتلكات الدولة في الأندلس.
8	519هـ/1125-1126م	استعانة المعاهدين النصارى بغرناطة بابن ردمير (الفونسو الأول ملك أرغون) للخروج عن سلطة المرابطين.	استفحال الحركة التومرتية بالمغرب الأقصى.
9	520هـ/1126-1127م	ظهور شخص بريف سبتة ادعى أنه الخضر.	نفس الملاحظة برقم 8 إضافة إلى ما قام به المعاهدون النصارى بغرناطة عام 519هـ/1125-1126م.

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
10	520هـ/1126-1127م	ظهور شخص يعرف بالحاجب في مدينة سبتة كان يتمذهب بمذهب الشيعة	نفس ملاحظة رقم 9.
11	بعد 520هـ/1126م	اعتقال فقهاء وعلماء من جيان، ناحية غرناطة، من طرف "أبي عمر ينالة" والي مدينة غرناطة.	نفس الملاحظة السابقة
12	525هـ/1130-1131م	قيام القرطبيين ضد القاضي ابن المناصف الذي تم رجمه.	قام القاضي المذكور بفرض المعونة على سكان قرطبة، وتزامن هذا التمرد مع الحريق الذي اندلع بإحدى أسواق بيع الثياب بالمدينة.
13	526هـ/1131-1132م	ظهور فوضى جعلت الوالي المرابطي "ابن قنونة" بقرطبة اللجوء إلى استعمال أسلوب الإغتيال.	اشتداد المجاعة عام 526هـ، وانتشار الوباء وتزايد عدد الوفيات، وارتفاع الأسعار، وتسلط الجراد على الأراضي المجاورة لمدينة قرطبة.
14	529هـ/1134-1135م	اغتيال قاضي الجماعة بقرطبة في صلاة الجمعة وهو "أحمد بن خلف التجيبي".	نفس ملاحظة رقم 13.
15	529هـ/1134-1135م	ثورة العامة على اليهود بقرطبة من خلال نهب أموالهم وقتل بعضهم.	نفس الملاحظة السابقة، مع زيادة الضغط النصراني على الأندلس عامة وقرطبة خاصة.

بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي
مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت
سنة وقوع

...السابقة، مع زيادة الضغط النصراني على الأندلس عامة وقرطبة خاصة.

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
16	529هـ/1134-1135م	ثورة عامة إشبيلية ضد قاضيها "أبي بكر بن العربي" حيث قام السكان بنهب أمواله.	ازدياد الحملات النصرانية منذ 526هـ حيث كثرت الغارات على قرى إشبيلية، ثم هجوم الفونسو السابع ملك قشتالة مع ابن هود. كما كان على المرابطين أداء 12 ألف دينار سنويا لحاكم برشلونة صلحا عن ثغر افراغه، وتمت كذلك مطالبة السكان بالمساهمة في بناء جانب من سور المدينة.
17	535هـ/1140-1141م	قيام العامة بقرطبة بحركة احتجاجية ضد القاضي "أحمد بن رشد".	عزل ابن حمدين عن قضاء قرطبة، وتعيين أحمد بن رشد مكانه. مغادرة تاشفين بن علي الأندلسي، مع بداية العقد الرابع من القرن 6هـ، وبداية الصراع العسكري العنيف بين المرابطين والموحدين بالمغرب الأقصى.
18	539هـ/1144م	ثورة ابن قسي بغرب الأندلس.	تمكن الموحدون من السيطرة على أجزاء كبيرة من بلاد المغرب الأقصى، ومحاصرة المرابطين بزعامة تاشفين بن علي في تلمسان من قبل الموحدين، ثم وفاة علي بن يوسف عام 537هـ.
19	541هـ/1147-1148م	ثورة محمد بن عبد الله بن هود، المعروف بالماسي، وذلك في رباط ماسة ببلاد سوس.	قيام الدولة الموحدية رسميا بسيطرة المصامدة على مراكش في سنة 541هـ.

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
20	من 541 إلى 543هـ/1147 إلى 1149م	ثورة برغواطة بمنطقة تامسنا دون زعامة محددة.	نفس الملاحظة في رقم *19*، مع انشغال الموحدين بمحاربة الماسي.
21	من 541هـ إلى 543هـ/من 1147 إلى 1149م	ظهور ثورة بتامسنا بزعامة بومزكيدة.	نفس الملاحظة في رقم *20*.
22	من 541-544هـ/1147-1150م	مبايعة دكالة للصحراوي، وقيامها ضد الموحدين	نفسها.
23	من 541 إلى 544هـ/من 1147-1150م	مبايعة رگراگة للصحراوي وانتفاضتها ضد الموحدين.	نفسها.
24	من 541 إلى 544هـ/من 1147-1150م	مبايعة حاحا للصحراوي وثورتها على الموحدين.	نفسها.
25	من 541 إلى 543هـ/من 1147-1149م	انتفاضة سكان سلا على الموحدين، وقتل عاملهم بها.	نفس الملاحظة السابقة.

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
26	من 542 إلى 543هـ/ من 1147 إلى 1149م	انتفاضة أهل سبتة ضد الموحدين وإحراقهم، وقتل ابن مخلوف التنملي والي الموحدين بالمدينة.	نفس الملاحظة السابقة.
27	من 542 إلى 544هـ/من 1147 إلى 1150م	ثورة البطروجي صاحب لبلة حيث ثار بها وأخرج الموحدين منها، كما سيطر على طلياطة وحصن القصر وأعلن بنفاقة على حد تعبير ابن عذاري.	إضافة إلى الملاحظة السابقة (من رقم 20 إلى رقم 26)، هناك دخول عيسى وعبد العزيز أخوا المهدي بن تومرت وابن عمهما يصلاتن إلى إشبيلية، وقيامهم بالسطو على أموال الناس بها، إضافة إلى تزايد أعداد الجيوش الموحدية بالمدينة.
28	من 542 إلى 546هـ/من 1147 إلى 1152م	خالف ابن قسي في مدينة شلب غرب الأندلس بعدما كان مبايعا للموحدين الذين أقروه حاكما عليها.	نفس الملاحظة في رقم 27.
29	من 546 إلى 563هـ/1151 إلى 1168م	استقلال "علي الوهيبي" بمدينة طبيرة غرب الأندلس عن الموحدين بعدما كانت خاضعة لهم.	جاءت هذه الأحداث بعد استقرار الوضع السياسي من خلال القضاء على مختلف الثورات بالمغرب الأقصى والأندلس، وتقديم البيعة للموحدين مرة أخرى بسلا عام 546هـ، وتفكير مسؤولي الموحدين في فتح بجاية.

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
30	547-548هـ -1152-1154م	ثورة قبيلة هرغة وأهل تنملل بزعامة عيسى وعبد العزيز وابن عمهما يصلاتن وهم من أسرة محمد بن تومرت مهدي الموحدين.	فتح بجاية وقتل يصلاتن ابن عم عيسى وعبد العزيز أخوا المهدي بن تومرت.
31	548هـ/1153-1154م	ثورة هرغة بزعامة أخوي المهدي بن تومرت عيسى وعبد العزيز، ودارت وقائعها أساسا في مراكش العاصمة، وذلك ومع امتداد لها بقبيلة هرغة وأهل تنملل.	تقديم الخليفة عبد المؤمن الموحدي لابنه محمد وليا للعهد، ثم تزايد أهمية الأعراب وقبيلة كومية في المشروع السياسي للدولة المؤمنية.
32	ما بعد 548 إلى 552هـ/ما بعد 1153 إلى 1158م	ثورة جزولة بزعامة الثائر أبي بكر بن عمر الجزولي.	نفس الملاحظة في رقم 31، مع توزيع الولايات بالمغرب والأندلس على أبناء الخليفة عبد المؤمن.
33	ما بعد 548هـ/ ما بعد 1153م	ثورة لمطة التي ظهر بها ثائر يعرف بمحمد أمركال.	نفس الملاحظة السابقة
34	ما بعد 548هـ/ ما بعد 1153م	ثورة آيت ييغز حيث قاموا بتدمير حصن "تازاكورت"، وقتلوا "أومازير" بن حواء الهنتاتي أحد رموز السلطة الموحدية بتلك المنطقة.	نفس الملاحظة
35	ما بعد 548هـ/ ما بعد 1153م	خروج "آيت للكست" على الموحدين وذلك بزعامة الصحراوي.	نفس الملاحظة

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
36	ما بعد 548 إلى 552هـ/ما بعد 1153 إلى 1158م	تمرد هسكورة بزعامة ابن تندوت.	نفسها.
37	551هـ/1156-1157م	قيام أهل غرناطة بنكث بيعة الموحدين وقتل عاملهم.	وقع ذلك بعد دخول غرناطة في طاعة الموحدين، وتقديم البيعة للخليفة عبد المؤمن عام 551هـ.
38	554هـ/1159-1160م	قيام والي الموحدين على حيان ناحية غرناطة بنكث البيعة تحت الضغط العسكري لابن مردنيش.	التوسع العسكري لابن مردنيش، وخضوع إفريقية للموحدين، بسيطرتهم على المهدية وطرد نصارى صقلية منها، ووصل صدى ذلك إلى الأندلس من خلال رسالة رسمية تم توجيهها إلى والي إشبيلية.
39	557هـ/1161-1162م	قيام اليهود الإسلاميين على الموحدين من خلال تسهيل السبيل لابن همشك قصد الدخول إلى غرناطة.	تزامن ذلك مع إجراء الدولة الموحدية لإرغام أهل الذمة على اعتناق الإسلام في أواخر حكم الخليفة عبد المؤمن.
40	559هـ/1163-1164م	ثورة غمارة بزعامة مرزدغ الغماري والذي قام بسك عملة باسمه.	جاءت بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن عام 558هـ وتولى الحكم بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن.
41	559هـ/1163-1164م	وقع جلاء أهل داي، بتاذلا عن بلادهم، وتشتتوا في بلاد المغرب.	نفس الملاحظة برقم (40).

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
42	من 559 إلى 565هـ/1163 إلى 1170م	انتفاضة قبائل صنهاجة بمنطقة تادلة بالمغرب الأقصى ترأسها زعيمان، فتم الهجوم على تادلا، وانهزم الجيش الموحدي في الكثير من المواجهات.	نفس الملاحظة السابقة.
43	من 559 إلى 565هـ/1163-1170م	قادت قبائل صنهاجة بتادلا الثورة على الموحدين من خلال هجومها على الحصن العسكري (تاكرارت) حيث يتواجد الجيش الموحدي، وكان ذلك بزعامة الثائر المعروف بـ "بوغبول".	نفسها
44	559 هـ وبعدها 1163م	"ثورة عتاب" بمنطقة تادلا حيث طلب الملك فتمت متابعته وملاحقة مريديه وأتباعه.	نفسها
45	562هـ/1166-1167م	ثورة غمارة بالمغرب الأقصى بزعامة "سبع بن منخفاد" والتي انتشر صداها بين قبائل صنهاجة المجاورة لها.	جاءت بعد القضاء على ثورة غمارة بزعامة "مرزدغ".
46	563هـ/1167-1168م	انتفاضة سكان جبل تاسررت بالمغرب الأقصى.	جاءت الثورة بعد القضاء على ثورات غمارة وإعلان الخليفة "أبو يعقوب يوسف" رسميا نفسه أميرا للمؤمنين، فقامت احتفالات تم خلالها تقديم الأعطيات و"البركات" وهي مبالغ مالية بمثابة أجور للموحدين والعرب والأجناد الأندلسيين.

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
47	572هـ/1176-1147م	توجيه حملة عسكرية إلى "صنهاجة القِبْلة" بالمغرب الأقصى من طرف الخليفة أبي يعقوب يوسف مما يفيد أن هناك أحداث تشغيب.	صادف هذا الحادث وجود أزمة اقتصادية، وانتشار الوباء والطاعون بالمغرب في ذي القعدة سنة 571هـ/1175-1176م.
48	579هـ/1183-1184م	ظهور الثائر الجريري بالمغرب الأقصى، وهو أحد علماء الأندلس، بعاصمة الدولة الموحدية مراكش فكان على مذهب الخوارج الأزارقة في تكفير جميع المسلمين.	قيام الخليفة عبد المؤمن بحملة تطهيرية ضد عمال مدينة فاس وأنظارها والذين كانوا مكلفين بشؤون المال والجباية. قيام ثورة علي ابن الرند بإفريقية (تونس الحالية) عام 574هـ/1178م. قيام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بحملة إلى جبل بسوس بالمغرب الأقصى لضمان حصول الدولة على جزء مما يستخرج منه.
49	579هـ/1183-1184م	اتصال الجزيري بقبائل أمازيغية بالمغرب الأقصى حيث قام بنشر مذهبه فيهم، وذلك دون أن تذكر لنا المصادر مجال تواجد هذه القبائل.	نفس الملاحظة في رقم 48.

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
50	579هـ/ 1183-1184م	وجود الجزيري بفاس وإن كانت الرواية لم تشر إلى ذلك بشكل صريح، فإن ذكرها في موضع آخر أن والي فاس قد عثر على جماعة من أصحاب الجزيري سنة 586هـ هو ما دفعنا إلى القول إن هذا الإتصال تم بعد مغادرته مراكش سنة 579هـ.	قام الخليفة أبو يعقوب يوسف خلال هذه السنة بحملة تطهيرية ضد عمال مدينة فاس وأنظارها المكلفين بالشؤون المالية والضريبية، كما هو الشأن بالنسبة لعبد الرحمان بن يحيى المشرف بفاس نظرا لخيانته وحمله على الرعية واذايته لها.
51	584هـ/ 1188-1189م	كانت بين الرشيد، أخ المنصور وهو والي مرسية بالأندلس، والفونسو مخاطبات ومكاتبات على التعاضد في النفاق على حد قول ابن عذاري.	صادفت هذه المحاولة انشغال المنصور بحروب إفريقية، ووفاة الخليفة أبي يعقوب يوسف عام 580هـ/1184-1185م.
52	584هـ/ 1188-1189م	تمرد السيد أبي الربيع سليمان عم الخليفة يعقوب المنصور، والذي كان واليا على منطقة تادلا بالمغرب الأقصى حيث كشف رأسه في النفاق وخلعه للطاعة ومجاهرته بالشقاق على حد تعبير ابن عذاري.	نفس الملاحظة في رقم 51.
53	586هـ/ 1190-1191م	ظهور الثائر الجزيري مرة أخرى بمدينة مراكش بالمغرب الأقصى حيث شنعت عنه الأحاديث، فتم البحث عنه إلا أنه اختفى وخرج فارا بنفسه.	نفس الملاحظة، بالإضافة إلى وجود محاولة تمردية داخل الأسرة الحاكمة. أنظر رقم 51 و 52.

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
54	586هـ/1190-1191م	ظهور الثائر الجزيري بمدينة فاس وامتزج بأوباش من الناس حسب تعبير صاحب البيان، فتم القبض على من عثر منهم من طرف والي الموحدين بها، فاستأصلهم قتلا ونفيا.	نفس الملاحظة برقم 53.
55	586هـ/1190-1191م	ظهور الجزيري بمدينة مالقة بالأندلس حيث تم العثور عليه هناك مع أوباش من سفلة الأسواق فملئت منهم السجون على حد تعبير ابن عذاري في بيانه.	نفس الملاحظة برقم 53، بالإضافة إلى ارتفاع الأسعار بالأندلس وتذمر سكان بعض المدن المجاورة لمدينة طريف من تظلم وجور حكامها.
56	586هـ/1190-1191م	ظهور الثائر الجزيري بمدينة مرسية بالأندلس حيث ألقي إلقاء القبض عليه بناحيتها وترحيله إلى مدينة إشبيلية فتم إعدامه.	نفس الملاحظة برقم 53، مع إضافة حادث خضوع مرسية للموحدين.
57	بعد 595هـ/1198م	ثورة علودان الغماري بجبال غمارة حيث حاول الاستقلال بالمنطقة.	وفاة الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي وتولية ابنه أبو عبد الله محمد الناصر السلطة عام 595هـ.
58	597هـ/1200-1201م	قيام ثورة عبد الرحمان الجزولي في حصن "تيوينوين" ببلاد سوس بالمغرب الأقصى حيث كان هذا الثائر مولعا بالسحر حسب المصادر.	قامت هذه الثورة بعد سنتين من تسلم الخليفة الناصر الموحدي السلطة. بالإضافة إلى حملة هذا الخليفة على إفريقية والتي فقد فيها الموحدون الأموال والرجال. إضافة إلى حدوث فيضان وادي مدينة إشبيلية عام 597هـ وما ترتب عنه من خسائر مادية وبشرية.

الرقم الترتيبي	سنة وقوع الانتفاضة والثورة	مكان قيامها، زعيمها والجماعات التي ارتبطت بالثورة أو قامت بالتمرد	بعض الأحداث الهامة التي تزامنت مع قيام الثورة أو وقعت في فترة قريبة منها على مستوى الظروف الطبيعية الصعبة، أو حروب، أو أزمات اقتصادية، أو تحول في المسار السياسي للدولة الخ...
59	600هـ/1203-1204م	ثورة عالم أندلسي يعرف بابن الفرس ببلاد سوس في حصن "تيونيوين" بالمغرب الأقصى لقد أظهر أنه القحطاني فطلب الهداية. كما طلب الرياسة والملك حسب رواية الإحاطة لابن الخطيب.	سطوة الناصر الموحدي بعرب المغرب فاستأصلهم وقتلهم وغرّب بعض أشياخهم إلى الأندلس عام 600هـ كما ذكر صاحب البيان.
60	600هـ/1203-1204م	ثورة العبيدي بجبال ورغة بالمغرب الأقصى حيث انتشرت ثورته ببلاد غمارة بل إن دعوته انتشرت في كثير من قبائل المغرب وبواديه.	فبالإضافة إلى الثورة السابقة (رقم 59) عرفت إفريقية ظهور انتفاضات ساهم في إحداثها بعض القبائل العربية، كما تم القضاء على المرابطين بالجزائر الشرقية (جزر البليار بالبحر المتوسط)، وتزامنت هذه الثورة كذلك مع مجهودات الناصر في القيام بمشاريع معمارية بمدينة فاس.
61	610هـ/1213-1214م	قيام ولد العبيدي بجبال غمارة بالمغرب الأقصى، وادعى أنه الفاطمي حيث بايعه عدد كبير من أهل الجبال والبوادي.	بعد معركة العقاب عام 609هـ/1212م والتي انهزم فيها الجيش الموحدي بالأندلس.

جدول رقم 2 : التوزيع الجغرافي للثورات والتمردات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال كل عشر سنوات

من 469هـ/1076م إلى 610هـ/1212-1213م

يشير الرقم الموجود بين قوسين () إلى عدد الثورات والتمردات التي حدثت بتلك المنطقة أو المدينة.

طبيعة مجال وقوع التمرد والثورة / السنـــة	الحواضر	مناطق استقرار مجموعات قبلية	حواضر، وقرى، وبوادي، وحصون	مجالات قبلية وحواضر وحصون	الرباطات	مجالات غير محددة	المجموع
469-478هـ/1076-1086م						(1) مطالبة إبراهيم بن أبي بكر بالملك	1
479-488هـ/1086-1095م		غمارة (1)					1
489-498هـ/1095-1105م							0
499-508هـ/1105-1115م	قرطبة (1) غرناطة(1)						2
509-518هـ/1115-1125م	ميورقة(1) قرطبة (1)	غمارة (1)					3
519-528هـ/1125-1134م	غرناطة(1) سبتة (1) جيان (1) قرطبة (2)	غمارة (1)					6
529-538هـ/1134-1144م	قرطبة (3) إشبيلية (1)						4

طبيعة مجال وقوع التمرد والثورة / السنة	الحواضر	مناطق استقرار مجموعات قبلية	حواضر، وقرى، وبوادي، وحصون	مجالات قبلية وحواضر وحصون	الرباطات	مجالات غير محددة	المجموع
539-548هـ/1144-1154م	سلا (1) سبتة (1) طبيرة (1) "بغرب الأندلس"	تامسنا (2) دكالة (1) ركراكة (1) حاحا (1)	غرب الأندلس(3)	هرغة وتنملل (1) هرغة مراكش(1)	رباط ماسة (1)		14
549-558هـ/1154-1163م	غرناطة (1) جيان (2)	جزولة(1) لمطة (1) آيت بيغز(1) آيت للكست(1) هسكورة(1)					8
559-568هـ/1163-1173م	دادي "بتادلا" (1)	غمارة (2) جبل تاسررت (1)		قبائل صنهاجة بتادلا (2)		ثورة عتاب (1)	7
569-578هـ/1173-1183م		صنهاجة القِبْلة (1)					1
579-588هـ-1183-1193م	مراكش (2) فاس (2) مالقا (1) مرسية (2)	ثورة الجزيري في اتصالها بقبائل أمازيغية (1)		تمرد الوالي تادلا (1)			9
589-598هـ/1193-1202م		غمارة (1)		حصن "تيوينوين" ببلاد سوس (1)			2
599-608هـ/1202-1212م		جبال ورغة وبلاد غمارة(1)		حصن "تيوينوين" ببلاد سوس (1)			2
609-610هـ/1212-1213م		غمارة (1)					1
المجموع	27	21	3	7	1	2	61

جدول رقم 3 : أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن 6هـ/12م.

أ- أشكال الثورات ذات الأهداف الاستقلالية عن السلطة المركزية أو الوصول إلى الحكم بالاعتماد على عصبية قبلية، وكذا الانتفاضات المرتبطة بنهج أسلوب العنف تجاه رموز السلطة :

أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة / السنة	اللجوء إلى استعمال الوسائل العسكرية في مواجهة السلطة القائمة بالاعتماد على زعامة محلية أو منتمية للنظام السابق أو دون وجود زعامة محددة.	القيام بمحاولة لقلب النظام بالاعتماد على عصبية محددة وعناصر أخرى عبر مخطط تم تنفيذه أو محاولة تنفيذه بالعاصمة مراكش.	الاستقلال بمدينة أو منطقة من طرف زعامة دون القيام بنشر مذهب أو بث دعوة أو سك عملة.	قيام زعامة بالاستقلال بمنطقة أو مدن معينة بعد شعورها بتهديد نفوذها من طرف السلطة أو بعض رموزها.	رفض القبائل أو سكان منطقة معينة مشاركة الدولة لهم في استغلال خيرات بلادهم أو مداخيل منطقتهم فقاموا بمواجهتها عسكريا.	مواجهة الولاة، أو عمال المناطق والمدن بالهجوم على قصورهم وديارهم ونهب أموالهم، أو القيام بمحاربتهم وقتلهم أو حرقهم أو القيام بطرد العمال والولاة.	التمرد على القضاة إما برجمهم، أو نهب ديارهم أو اللجوء إلى قتلهم أو إرغامهم على مغادرة وظيفتهم ومدينتهم.	محاولة يستفاذ من خلالها أن جماعة من السكان، أو مدينة معينة كان لها موقف معارض للسلطة المحلية أو المركزية أو أنها ترغب في التمرد أو أنها انتفضت دون أن تفصح الرواية عن ذلك بشكل صريح.	ذكر أن قوما خالفوا أو تمردوا دون تحديد شكل ذلك الخلاف والتمرد.	المجموع
بعد 508هـ/بعد 1114م						1				1
ما بين 512-514هـ/1118-1121م									1	1
514هـ/1120-1121م						1				1

أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة / السنة	اللجوء إلى استعمال الوسائل العسكرية في مواجهة السلطة القائمة بالاعتماد على زعامة محلية أو منتمية للنظام السابق أو دون وجود زعامة محددة.	القيام بمحاولة لقلب النظام بالاعتماد على عصبية محددة وعناصر أخرى عبر مخطط تم تنفيذه أو محاولة تنفيذه بالعاصمة مراكش.	الاستقلال بمدينة أو منطقة من طرف زعامة دون القيام بنشر مذهب أو بث دعوة أو سك عملة.	قيام زعامة بالاستقلال بمنطقة أو مدن معينة بعد شعورها بتهديد نفوذها من طرف السلطة أو بعض رموزها.	رفض القبائل أو سكان منطقة معينة مشاركة الدولة لهم في استغلال خيرات بلادهم أو مداخيل منطقتهم فقاموا بمواجهتها عسكريا.	مواجهة الولاة، أو عمال المناطق والمدن بالهجوم على قصورهم وديارهم ونهب أموالهم، أو القيام بمحاربتهم وقتلهم أو حرقهم أو القيام بطرد العمال والولاة.	التمرد على القضاة إما برجمهم، أو نهب ديارهم أو اللجوء إلى قتلهم أو إرغامهم على مغادرة وظيفتهم ومدينتهم.	محاولة يستفاذ من خلالها أن جماعة من السكان، أو مدينة معينة كان لها موقف معارض للسلطة المحلية أو المركزية أو أنها ترغب في التمرد أو أنها انتفضت دون أن تفصح الرواية عن ذلك بشكل صريح.	ذكر أن قوما خالفوا أو تمردوا دون تحديد شكل ذلك الخلاف والتمرد.	المجموع
بعد 520هـ/بعد 1126م								1		1
525هـ/1130-1131م							1			1
526هـ/1131-1132م								1		1
529هـ/1134-1135م							2			2
535هـ/1140-1141م							2			2
541هـ/1147-1148م					1	1			1	3

أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة / السنة	اللجوء إلى استعمال الوسائل العسكرية في مواجهة السلطة القائمة بالاعتماد على زعامة محلية أو منتمية للنظام السابق أو دون وجود زعامة محددة.	القيام بمحاولة لقلب النظام بالاعتماد على عصبية محددة وعناصر أخرى عبر مخطط تم تنفيذه أو محاولة تنفيذه بالعاصمة مراكش.	الاستقلال بمدينة أو منطقة من طرف زعامة دون القيام بنشر مذهب أو بث دعوة أو سك عملة.	قيام زعامة بالاستقلال بمنطقة أو مدن معينة بعد شعورها بتهديد نفوذها من طرف السلطة أو بعض رموزها.	رفض القبائل أو سكان منطقة معينة مشاركة الدولة لهم في استغلال خيرات بلادهم أو مداخيل منطقتهم فقاموا بمواجهتها عسكريا.	مواجهة الولاة، أو عمال المناطق والمدن بالهجوم على قصورهم وديارهم ونهب أموالهم، أو القيام بمحاربتهم وقتلهم أو حرقهم أو القيام بطرد العمال والولاة.	التمرد على القضاة إما برجمهم، أو نهب ديارهم أو اللجوء إلى قتلهم أو إرغامهم على مغادرة وظيفتهم ومدينتهم.	محاولة يستفاد من خلالها أن جماعة من السكان، أو مدينة معينة كان لها موقف معارض للسلطة المحلية أو المركزية أو أنها ترغب في التمرد أو أنها انتفضت دون أن تفصح الرواية عن ذلك بشكل صريح.	ذكر أن قوما خالفوا أو تمردوا دون تحديد شكل ذلك الخلاف والتمرد.	المجموع
542هـ/1147-1148م				1		1				2
546هـ/1151-1152م			1							1
547هـ/1152-1153م		1								1
548هـ/1153-1154م		1								1
ما بعد 548هـ/ ما بعد 1153م	5									5
559هـ/1163-1164م	2							1		3

أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة / السنة	اللجوء إلى استعمال الوسائل العسكرية في مواجهة السلطة القائمة بالاعتماد على زعامة محلية أو منتمية للنظام السابق أو دون وجود زعامة محددة.	القيام بمحاولة لقلب النظام بالاعتماد على عصبية محددة وعناصر أخرى عبر مخطط تم تنفيذه أو محاولة تنفيذه بالعاصمة مراكش.	الاستقلال بمدينة أو منطقة من طرف زعامة دون القيام بنشر مذهب أو بث دعوة أو سك عملة.	قيام زعامة بالاستقلال بمنطقة أو مدن معينة بعد شعورها بتهديد نفوذها من طرف السلطة أو بعض رموزها.	رفض القبائل أو سكان منطقة معينة مشاركة الدولة لهم في استغلال خيرات بلادهم أو مداخيل منطقتهم فقاموا بمواجهتها عسكريا.	مواجهة الولاة، أو عمال المناطق والمدن بالهجوم على قصورهم وديارهم ونهب أموالهم، أو القيام بمحاربتهم وقتلهم أو حرقهم أو القيام بطرد العمال والولاة.	التمرد على القضاة إما برجمهم، أو نهب ديارهم أو اللجوء إلى قتلهم أو إرغامهم على مغادرة وظيفتهم ومدينتهم.	محاولة يستفاذ من خلالها أن جماعة من السكان، أو مدينة معينة كان لها موقف معارض للسلطة المحلية أو المركزية أو أنها ترغب في التمرد أو أنها انتفضت دون أن تفصح الرواية عن ذلك بشكل صريح.	ذكر أن قوما خالفوا أو تمردوا دون تحديد شكل ذلك الخلاف والتمرد.	المجموع
563هـ/1167-1168م									1	1
572هـ/1176-1177م									1	1
595هـ/1183-1184م									1	1
المجموع	7	2	1	1	1	4	4	3	5	28

جدول رقم 3 : أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن 6هـ/12م

ب- مختلف أشكال الثورات المرتبطة بفسخ البيعة، أو بهدف الوصول إلى الملك :

أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة / السنة	نكث البيعة	فسخ البيعة تحت ضغط زعامة مستقلة عن المجال الخاضع للسلطة القائمة	عدم تقديم البيعة أو رفض تقديمها.	المطالبة بالأحقية في الملك، واتهام السلطان القائم باغتصاب السلطة.	الدعوة لنفسه بأخذ البيعة له.	المطالبة بالملك اعتمادا على أتباع ومريدين وبنشر أفكار مذهبية دون استعمال العنف.	إعلان التمرد بتقديم البيعة لشخص ينتمي إلى النظام السابق.	الإستعانة بقوى نصرانية أو زعامة أندلسية خارج الحدود السياسية للسلطة القائمة وذلك بهدف الخروج عن السلطة المركزية.	الاستقلال بمنطقة معينة من خلال بث دعوة، أو سك عملة أو محاربة جيوش رسمية.	المجموع
469هـ/1076-1077م				1						1
بعد 480هـ/بعد 1087م							1			1
500هـ/1106-1107م			2							2
519هـ/1125-1126م								1		1
539هـ/1144-1145م									1	1

أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة / السنة	نكث البيعة	فسخ البيعة تحت ضغط زعامة مستقلة عن المجال الخاضع للسلطة القائمة	عدم تقديم البيعة أو رفض تقديمها.	المطالبة بالأحقية في الملك، واتهام السلطان القائم باغتصاب السلطة.	الدعوة لنفسه بأخذ البيعة له.	المطالبة بالملك اعتمادا على أتباع ومريدين وينشر أفكار مذهبية دون استعمال العنف.	إعلان التمرد بتقديم البيعة لشخص ينتمي إلى النظام السابق.	الاستعانة بقوى نصرانية أو زعامة أندلسية خارج الحدود السياسية للسلطة القائمة وذلك بهدف الخروج عن السلطة المركزية.	الاستقلال بمنطقة معينة من خلال بث دعوة، أو سك عملة أو محاربة جيوش رسمية.	المجموع
541هـ/1147-1148م							3		1	4
542هـ/1147-1149م									1	1
551هـ/1156-1157م	1									1
554هـ/1159-1160م		1								1
557هـ/1161-1162م								1		1
559هـ/1163-1164م						1			1	2

أشكال التعبير عن الثورة والتمرد / السنة	نكث البيعة	فسخ البيعة تحت ضغط زعامة مستقلة عن المجال الخاضع للسلطة القائمة	عدم تقديم البيعة أو رفض تقديمها.	المطالبة بالأحقية في الملك، واتهام السلطان القائم باغتصاب السلطة.	الدعوة لنفسه بأخذ البيعة له.	المطالبة بالملك اعتمادا على أتباع ومريدين وبنشر أفكار مذهبية دون استعمال العنف.	إعلان التمرد بتقديم البيعة لشخص ينتمي إلى النظام السابق.	الاستعانة بقوى نصرانية أو زعامة أندلسية خارج الحدود السياسية للسلطة القائمة وذلك بهدف الخروج عن السلطة المركزية.	الاستقلال بمنطقة معينة من خلال بث دعوة، أو سك عملة أو محاربة جيوش رسمية.	المجموع
562هـ/1166-1167م										1
584هـ/1188-1189م					2					2
597هـ/1200-1201م										1
600هـ/1203-1204م										1
610هـ/1213-1214م										1
المجموع	1	1	2	1	2	1	4	2	8	22

جدول رقم 3 : أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن 6هـ/12م

ج- الثورات ذات البعد المذهبي، وأخرى مرتبطة بتحرك العامة ضد فئة من المجتمع :

أشكال التعبير عن الثورة والتمرد والانتفاضة / السنة	قيام السكان بنهب أموال أهل الذمة، وقتلهم ونهب ديارهم.	مدن ومناطق عرفت بعض الأحداث المرتبطة بنشر أفكار، أو مذهب معين، فتشكلت بها فئة من أتباع زعيم معين له رغبة في إصلاح وتصحيح الاتجاه المذهبي للدولة القائمة.	إتباع شخص له اتجاه مذهبي، أوله جاذبية معينة، دون القيام بمحارية السلطة القائمة، أو مواجهتها عسكريا، وبدون رغبة في نشر أفكاره أو مذهبه بين الناس.	المجموع
520هـ/1126-1127م			2	2
529هـ/1134-1135م	1			1
579هـ/1183-1184م		3		3
586هـ/1190-1191م		4		4
600هـ-1203-1204م			1	1
المجموع	1	7	3	11

جدول رقم 4 : طبيعة القيادات التي تزعمت الثورات والتمردات والانتفاضات بالمغرب الأقصى والأندلس

خلال كل عشر سنوات من 469هـ/1076م إلى 610هـ/1213م

طبيعة الزعامات والقيادات / تاريخ قيامها حسب كل عشر سنوات	زعامة مذهبية، صوفية، ذات شخصية جذابة، من أهل العالم والفقه.	زعامة تنتمي إلى الأسرة الحاكمة، أو لها علاقة قرابة مع الزعيم المذهبي للدولة، أو تنتمي لجهازها الإداري.	قيادة قبلية.	قيادة طائفية أو من أهل الذمة.	زعامة من الأسرة الحاكمة السابقة، أو شغلت وظائف في الجهاز السلطوي السابق.	زعامة غير محددة.	المجموع
469-478هـ/ 1076-1086م		1					1
479-488هـ/1086-1095م					1		1
489-498هـ/ 1095-1105م							0
499-508هـ/ 1105-1115م		2					2
509-518هـ/ 1115-1125م			1				1

طبيعة الزعامات والقيادات / تاريخ قيامها حسب كل عشر سنوات	زعامة مذهبية، صوفية، ذات شخصية جذابة، من أهل العالم والفقه.	زعامة تنتمي إلى الأسرة الحاكمة، أو لها علاقة قرابة مع الزعيم المذهبي للدولة، أو تنتمي لجهازها الإداري.	قيادة قبلية.	قيادة طائفية أو من أهل الذمة.	زعامة من الأسرة الحاكمة السابقة، أو شغلت وظائف في الجهاز السلطوي السابق.	زعامة غير محددة.	المجموع
519-528هـ/1125-1134م	2			1			3
529-538هـ/1134-1144م							0
539-548هـ/1144-1154م	3	4			3	2	12
549-558هـ/1154-1163م		1	3	1	1		6
559-568هـ/1163-1173م	2		3				5
569-578هـ/1173-1183م							0

طبيعة الزعامات والقيادات / تاريخ قيامها حسب كل عشر سنوات	زعامة مذهبية، صوفية، ذات شخصية جذابة، من أهل العالم والفقه.	زعامة تنتمي إلى الأسرة الحاكمة، أو لها علاقة قرابة مع الزعيم المذهبي للدولة، أو تنتمي لجهازها الإداري.	قيادة قبلية.	قيادة طائفية أو من أهل الذمة.	زعامة من الأسرة الحاكمة السابقة، أو شغلت وظائف في الجهاز السلطوي السابق.	زعامة غير محددة.	المجموع
579-588هـ/ 1183-1193م	7	2					9
589-598هـ /1193-1202م	1		1				2
599-608هـ/ 1202-1212م	2						2
609-610هـ/ 1212-1213م	1						1
المجموع	18	10	8	2	5	2	45

المبحث 2 :

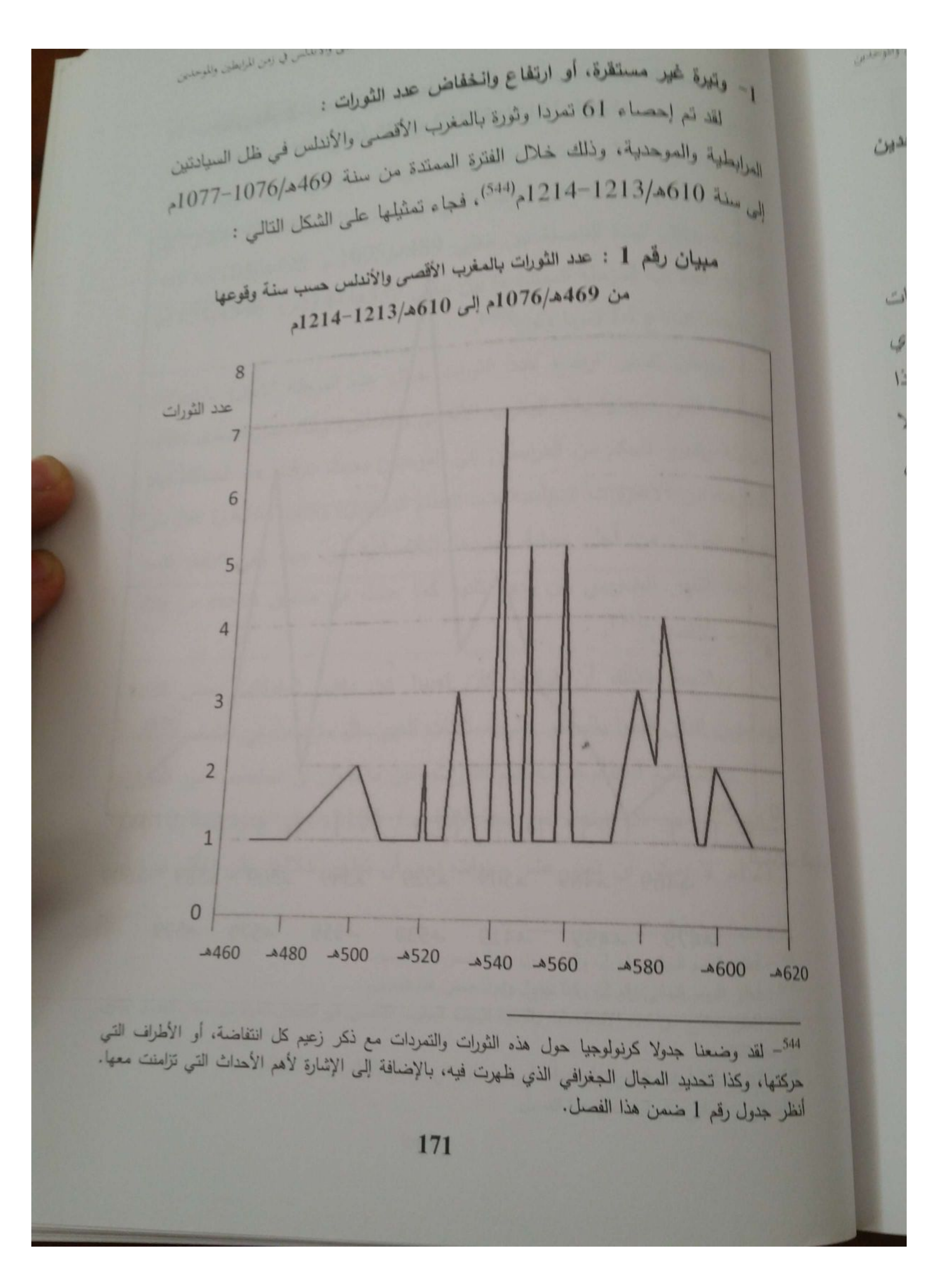
ثورات وانتفاضات المغرب الأقصى والأندلس في زمن المرابطين والموحدين

دراسة تحليلية لبعض المعطيات الإحصائية

إذا كانت الضرورة المنهجية قد فرضت علينا دراسة الثورات والانتفاضات بالمغرب الأقصى والأندلس، خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في إطار مباحث مستقلة، وفي سياق زمني متسلسل في الفصل الأول من هذا الكتاب، فإن تكوين صورة عامة عن مختلف هذه الثورات لا يمكن أن يتأتى إلا عبر إنجاز رسوم بيانية، وكذا وضع جداول، لرصد تطور هذه الانتفاضات في الزمان والمكان.

فمن خلال هذه الأدوات الإحصائية يمكن القيام بمقارنة على مستويات متعددة تساعدنا على تصنيف الثورات لتحديد نوعيتها قيادية كانت أو غير قيادية، وكذا تحديد خريطة توزيعها الجغرافي بين البوادي والحواضر، وكذا معرفة أنماط زعمائها من فقهاء وعلماء ومتصوفة وزعامات قبلية، كما أنها ستساعدنا على التمييز بين ثورات المغرب الأقصى والأندلس في ظل السيادة المرابطية، وبين مثيلاتها في فترة حكم الدولة الموحدية. فهذا الفصل يعتبر بمثابة تقييم شامل لكل الثورات والاهتزازات السياسية التي عرفتها بلاد المغرب الأقصى والأندلس في زمن المرابطين والموحدين في القرن السادس الهجري/ 12م لذلك جاءت على شكل ملاحظات واستنتاجات يمكن صياغتها في بعض العناوين كما سنوضحه.

Scanned by CamScanner



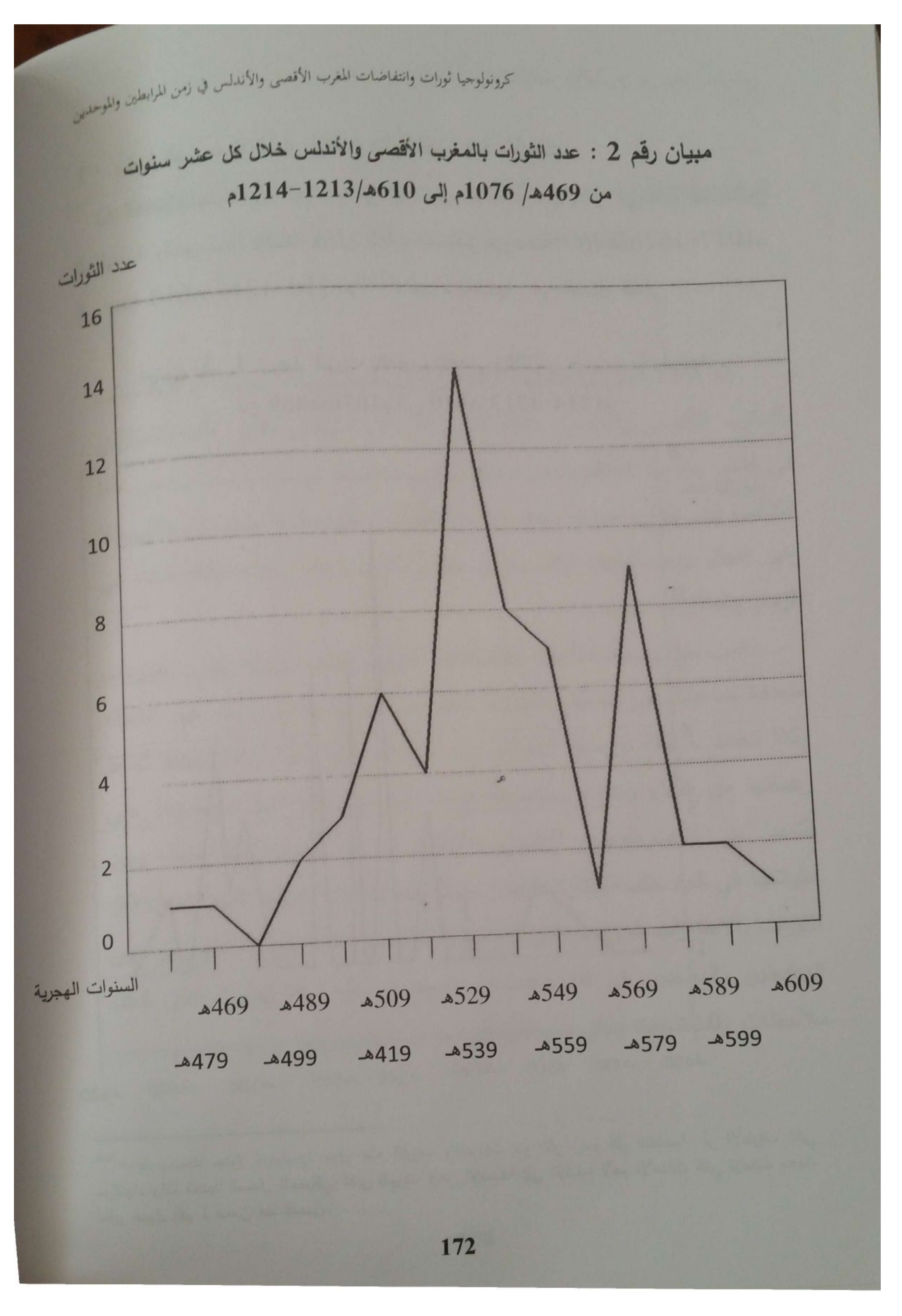
1- وتيرة غير مستقرة، أو ارتفاع وانخفاض عدد الثورات :

لقد تم إحصاء 61 تمردا وثورة بالمغرب الأقصى والأندلس في ظل السيادتين المرابطية والموحدية، وذلك خلال الفترة الممتدة من سنة 469هـ/1076-1077م إلى سنة 610هـ/1213-1214م[544]، فجاء تمثيلها على الشكل التالي :

مبيان رقم 1 : عدد الثورات بالمغرب الأقصى والأندلس حسب سنة وقوعها من 469هـ/1076م إلى 610هـ/1213-1214م

544- لقد وضعنا جدولا كرنولوجيا حول هذه الثورات والتمردات مع ذكر زعيم كل انتفاضة، أو الأطراف التي حركتها، وكذا تحديد المجال الجغرافي الذي ظهرت فيه، بالإضافة إلى الإشارة لأهم الأحداث التي تزامنت معها. أنظر جدول رقم 1 ضمن هذا الفصل.

مبيان رقم 2 : عدد الثورات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال كل عشر سنوات من 469هـ/ 1076م إلى 610هـ/1213-1214م



ومن أجل إبراز مدى أهمية تطور هذه الانتفاضات والثورات في الزمن، تم اختيار فاصل زمني يقدر بعشر سنوات[545]، واستنتجنا من ذلك أن الانتفاضات لم تلتزم بوتيرة واحدة على مستوى الفترة الزمنية التي تقوم فيها، ولا على مستوى عددها خلال كل عشر سنوات. ففي الوقت الذي لم تسجل لنا فيه المصادر ظهور أي انتفاضة خلال المدة الفاصلة بين سنتي 489هـ/1095 و 498هـ/1105م، فإنه بالمقابل نجد فيه المرحلة الممتدة ما بين سنتي 539هـ/1144م و 548هـ/1154م قد شهدت اندلاع 14 تمردا وثورة[546].

ويمكن تفسير ارتفاع عدد الثورات خلال هذه المرحلة الأخيرة بالتحولات السياسية التي شهدتها بلاد المغرب الأقصى والأندلس، وذلك على مستوى انتقال السلطة وتدبير الحكم من المرابطين إلى الموحدين بحيث عرفت هذه المنطقة قيام مجموعة من الاهتزازات السياسية ضد النظام الموحدي، وكانت بمثابة رد فعل من طرف القبائل من أجل حماية مواردها الاقتصادية من جهة وفي الوقت نفسه مواجهة القهر الضريبي من جهة ثانية كما حدث في مناطق متعددة من بلاد المغرب الأقصى[547].

ويلاحظ كذلك أن قيامها كان تعبيرا عن رفض لسلوكات بعض القادة الموحدين الذين قاموا بالسطو على ممتلكات الغير مثل ما حدث في الأندلس[548].

ورغم عدم انتظام فترات قيام الثورات، فإن ما يمكن أن نستخلصه من المبيان السابق[549] هو أنه ابتداء من سنة 499هـ / 1105م وإلى حدود سنة 610هـ/ 1213م لا يمكن أن تمر عشر سنوات دون أن تظهر خلالها على الأقل ثورة أو

545- أنظر الرسم البياني رقم 2، وكذا جدول رقم2 ضمن هذا الفصل.

546- أنظر الرسم البياني رقم 2، وكذا جدول رقم2 ضمن هذا الفصل.

547- انظر نماذج من هذه الانتفاضات بالنسبة لثورات المغرب الأقصى في العصر الموحدي ضمن الفصل الأول من هذا الكتاب.

548- أنظر مثلا ثورات المدن الأندلسية على الموحدين في الفصل الأول من هذا الكتاب.

549- الرسم البياني رقم 2 ضمن هذا الفصل.

انتفاضة واحدة[550]، ولعل السبب في ذلك راجع إلى تزايد أهمية حضور السلطة المركزية بالمغرب الأقصى والأندلس، ذلك أنه كلما ترسَّخ نفوذها كلما اشتدت مراقبتها على الموارد الاقتصادية وينتج عن ذلك محاولة الدولة لاحتكار خيرات المناطق[551]، أو ضبط المداخيل الضريبية[552]، وأحيانا أخرى يتم الرفع من قيمتها أو فرض ضرائب جديدة[553]. فهذه الإجراءات المرتبطة بالنظام الضريبي، والتي لها علاقة كذلك بمدى تمكن الدولة من الحفاظ على وحدة مجالها السياسي، قد تعارضت في كثير من الأحيان مع أهداف المحكومين، والمتمثلة في الاستفادة أكثر ما يمكن من الثروات والمداخيل المالية التي كان يوفرها لهم مجالهم. فهذا التعارض كان في كثير من الأحيان سببا في قيام مجموعة من ثورات المغرب الأقصى والأندلس خلال القرن السادس الهجري/12م. ولذلك لا يمكن أن نعتبر ظهور هذه الثورات والتمردات خللا في نظام الدولة المغربية خلال هذه المرحلة، وإنما هي ظاهرة عادية، ولذلك نلاحظ كلما تقدمت السنوات إلا وارتفع معها عدد هذه الانتفاضات[554].

وفي هذا السياق يمكن التمييز في هذا الصدد بين ثورات تتوفر على زعامة وأخرى دون زعامة، وللوقوف على بعض الخصائص التي ميزت كل صنف من هذه الثورات يقتضي منا الأمر تحليل معطيات مجموعة من الرسوم البيانية كما سنوضحه.

550– انظر الرسم البياني رقم 2، وكذا جدول رقم 2 ضمن هذا الفصل.

551– كما هو الشأن مثلا بالنسبة لمنطقة غمارة، أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

552– نفسه.

553– مثل ما عرفته بعض المدن الأندلسية في ظل السلطة المرابطية كضريبة التعتيب، أو تغريم السكان في حالة حدوث حريق في بعض أسواق المدن، مثل ما وقع في قرطبة عام 525هـ/1130-1131م. أنظر الفصل الأول من هذا البحث.

554– أنظر مبيان رقم 1 ضمن ملاحق الفصل السادس، وقد تم إنجازه اعتمادا على معطيات جدول رقم 1 ضمن ملاحق الفصل السادس حيث انتهى الحاسوب إلى نتيجة مفادها، أن الخط الذي تسير فيه هذه الانتفاضات والتمردات عبر الزمن يسير في اتجاه تصاعدي. فرغم أن المعلومات التي قدمناها للحاسوب تتوقف عند سنة 610هـ/1213م، فإن المنحى استمر إلى سنة 650هـ/1252م. على أن الذي يجب التأكيد عليه هنا هو، أن هذا التزايد اقتصر بشكل أساسي على المغرب الأقصى دون الأندلس.

2- ثورات قيادية أكثر عددا من ثورات دون قيادة :

إن معظم الثورات قد عرفت وجود زعامة معينة باستثناء البعض منها، ذلك أنه من بين 61 انتفاضة وثورة تم إحصاء 45 تمردا قياديا و 16 دون قيادة[555]. إلا أن هذا لا يدل بأي حال من الأحوال على أن معظم الثورات القيادية كان يطبعها التنظيم، أو إنها كانت مؤطرة من طرف قياداتها على أساس قلب النظام القائم، وكان الهدف منها هو تحسين الوضع الاجتماعي للقائمين بالثورة، كما أن تعدد الثورات غير القيادية لم يكن يدل على أنها كانت عفوية، ومن أجل الوقوف على هذه المعطيات التاريخية سنعمل على تحليل كل نموذج على حدة.

ثورات دون قيادة :

عرفت المرحلة التي امتدت من سنة 516هـ/1125-1126م إلى 538هـ/1143-114م ظهور عدد هام من الثورات غير القيادية بالمغرب الأقصى والأندلس. فقد بلغت نسبتها 44% من مجموع التمردات غير القيادية بهذه المنطقة خلال القرن السادس الهجري/12م[556].

وقامت كل هذه الثورات بحواضر ومدن شبه الجزيرة، وانحصرت في معظمها بمدينة قرطبة. فمن سبع تمردات عرفت هذه المدينة خمسة منها، وتمردا واحدا بإشبيلية، وآخر بمدينة جيان[557]. وباستثناء هذه الأخيرة، التي يظهر أن المحاولة التمردية بها قد تم إجهاضها في مهدها، والتي شكل بها العلماء والفقهاء طرفا أساسيا في الصراع بين السلطة المحلية المرابطية والرعية[558]، فإن باقي الانتفاضات كان قيامها من طرف العامة[559].

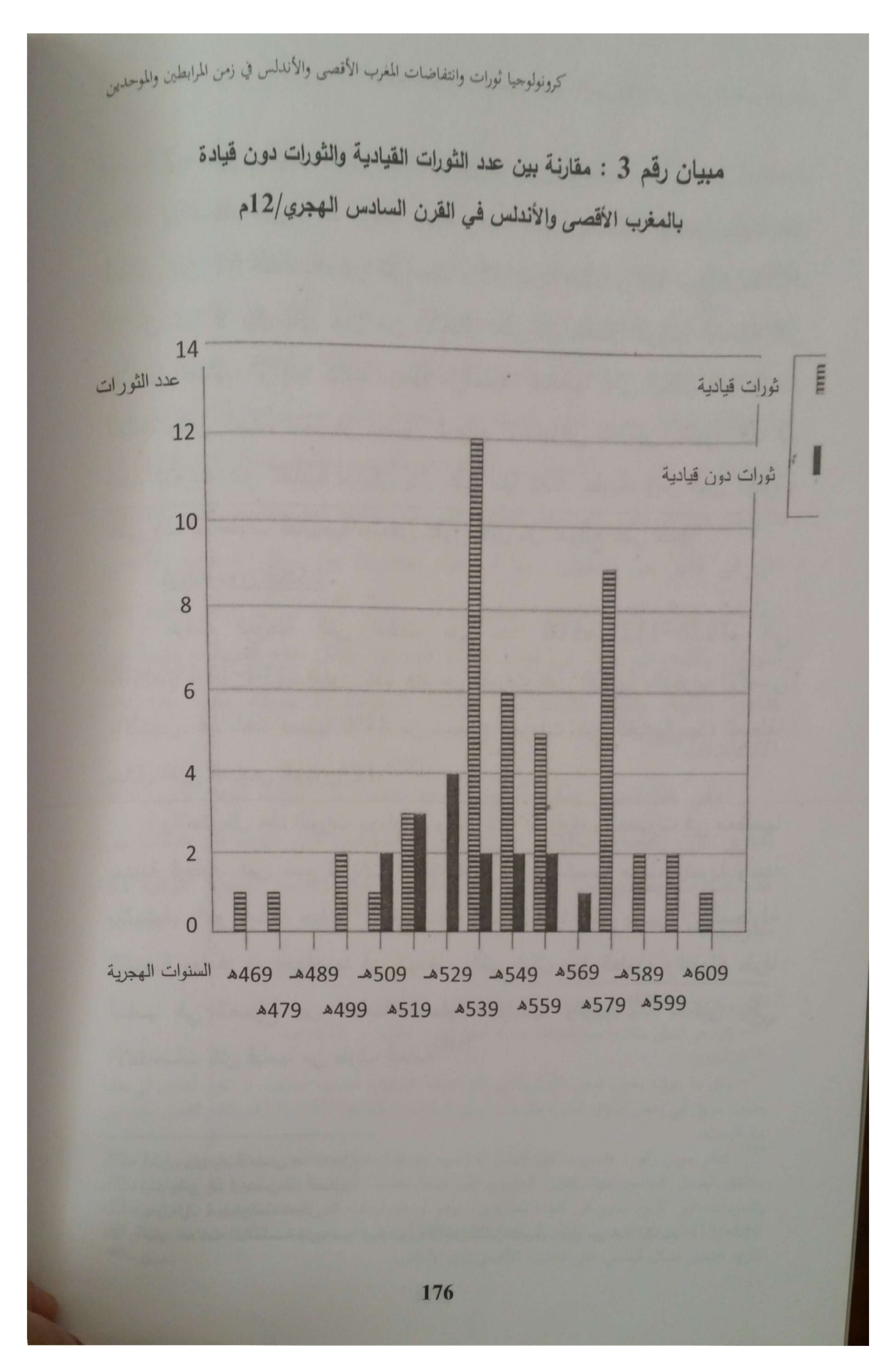
555- أنظر مبيان رقم 3 ضمن هذا الفصل.

556- رسم بياني رقم 4 ضمن هذا الفصل.

557- جدول رقم 1 ضمن هذا الفصل.

558- أنظر المباحث المخصصة للثورة ضد المرابطين بالأندلس ضمن الفصل الأول من هذا الكتاب.

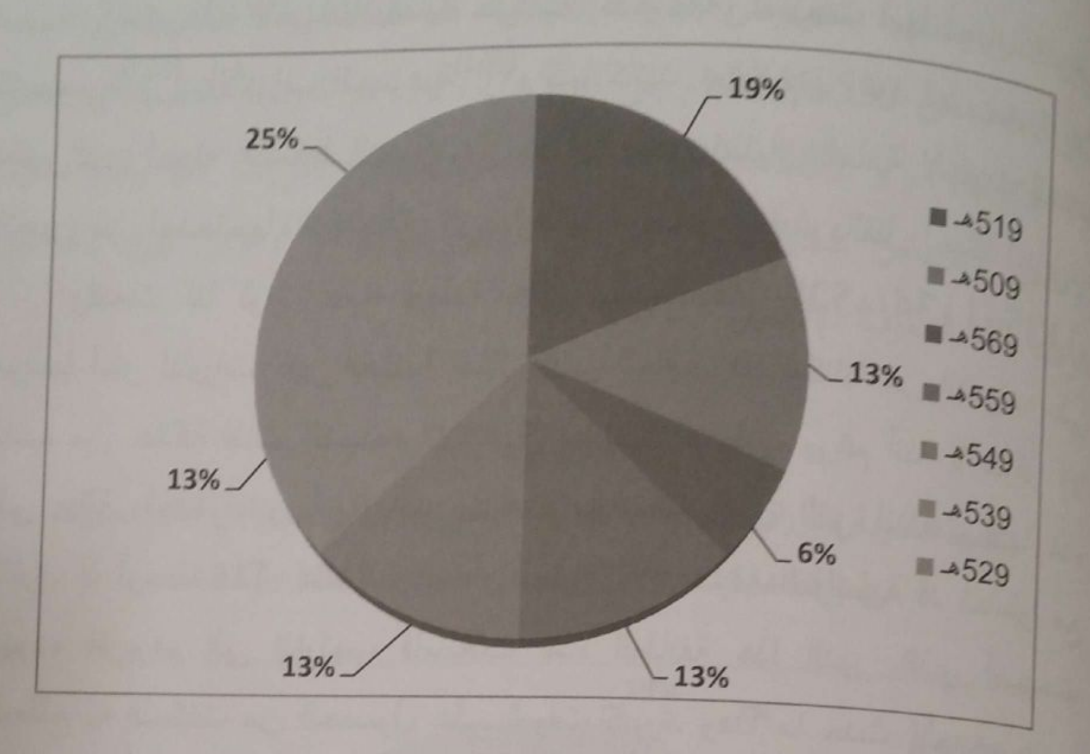
559- نفسه.



مبيان رقم 3 : مقارنة بين عدد الثورات القيادية والثورات دون قيادة بالمغرب الأقصى والأندلس في القرن السادس الهجري/12م

مبيان رقم 4 :

النسبة المئوية للثورات غير القيادية بالمغرب الأقصى والأندلس في القرن السادس الهجري/12م



ولم يكن قيام هذه الانتفاضات بدافع سياسي أو مذهبي، كما أنها لم تكن موجهة في أساسها ضد السلطة المركزية المرابطية بقدر ما كانت إحتجاجا ضد سلوك رموز السلطة بالمدينة مثل ثورة أهل قرطبة ضد القاضي ابن المناصف سنة 525هـ/1130م، وكذا انتفاضتهم ضد قاضي الجماعة بالمدينة واغتياله سنة 529هـ/1134م ثم انتفاضة ساكنة إشبيلية ضد قاضيها ابن العربي في السنة ذاتها[560]، وأحيانا ضد فئة من المجتمع الأندلسي، كما هو الشأن بخصوص انتفاضة العامة بقرطبة ضد يهود المدينة عام 529هـ/1134-1135م[561]. فالقهر الجبائي من جهة وارتفاع الأسعار من جهة أخرى، إضافة إلى تسلط الجراد، وانتشار

560- انظر مباحث الفصل الأول من هذا الكتاب.
561- أنظر مباحث الفصل الأول من هذا الكتاب.

الجفاف، أمام تزايد الضغط النصراني، كلها كانت دوافع لتحرك السكان بالحواضر الأندلسية دون الاعتماد بالضرورة على وجود زعامة أو قيادة ثورية معينة[562].

وكانت هذه التمردات بمثابة حركات إحتجاجية، امتزجت فيها أحيانا الدوافع الشخصية[563] بالأهداف الجماعية[564]، كما كانت عبارة عن ردود فعل معبرة عن القلق الذي أحدثه الضغط النصراني. وهذا ما يفسر اختيار العامة لأسلوب العنف للتعبير عن احتجاجها، من خلال الرجم والنهب أحيانا، والقيام بالقتل أحيانا أخرى.

وقدمت لنا ثورة عامة قرطبة على يهودها عام 529هـ/1134-1135م نموذجا آخر للثورات غير القيادية خلال نفس الحقبة. فقد مكنتنا من التعرف على جانب من علاقة فئات المجتمع الأندلسي بعضها البعض. ورغم أننا لا نتوفر إلا على حالة واحدة، غير أنها ذات دلالة هامة بحكم الفترة التي اندلعت فيها هذه الثائرة. إذ لوحظ خلال هذه المرحلة أن بعض ولاة الدولة المرابطية قد تعاملوا مع اليهود، فقربوهم إلى إدارتهم، فاستغلت هذه الطائفة هذا الدور الذي أصبحت تضطلع به فتمكنت من الحصول على ثروات كبيرة. وهذا ما حدث لأحدهم عندما كان يساعد والي غرناطة "أبو عمر يناله"، فبعد إلقاء القبض على هذا الأخير من طرف السلطة المركزية، تمت في نفس الوقت مصادرة أموال صاحبه اليهودي[565]. فكان لتزايد نفوذ هذه الفئة من أهل الذمة بموازاة مع تنامي ثروتها[566] سببا من بين أسباب قيام سكان الحواضر الأندلسية ضدها، وخاصة إذا تزامنت مع وجود أزمة اقتصادية كتلك التي شهدتها قرطبة في سنة 529هـ/1134م.

562- أنظر على الخصوص ثورات قرطبة عام 526هـ/1131-1132م وسنة 529هـ/ 1134-1135م وقيام العامة ضد قاضي إشبيلية عام 529هـ/1134-1135م. وحول مزيد من التفاصيل يراجع مباحث الفصل الأول من هذا الكتاب.

563- مثل الثورة على القاضي ابن الحاج وقتله في قرطبة عام 529هـ/1134-1135م. أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

564- وتتمثل في إزالة الظلم الضريبي، ونقدم نموذجين في هذا الصدد، يتعلق الأول بثورة أهل قرطبة على القاضي ابن المناصف عام 525هـ/1130-1131م، أما النموذج الثاني فيخص ثورة عامة إشبيلية على القاضي أبي بكر بن العربي. أنظر مباحث الفصل الأول من هذا المؤلف.

565- أنظر الفصل الأول من هذا المؤلف.

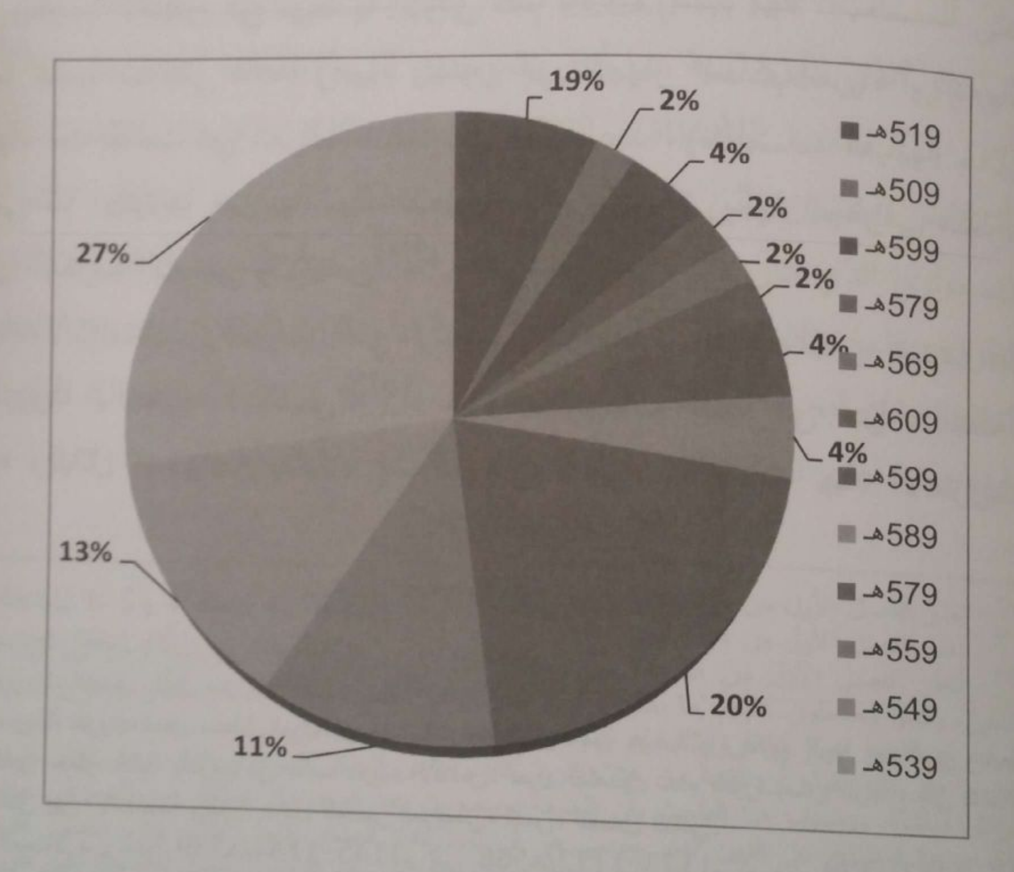
566- لقد أشارت المصادر إلى ثراء اليهود بالغرب الإسلامي، ونسوق في هذا الصدد شهادة لمؤلف مجهول عاش خلال القرن السادس الهجري/12م حيث ذكر "...وأما الآن فهم (يقصد اليهود) تجار أهل هذه البلاد كلها وأغنياؤها وخاصة بمدينة فاس فإني عاينت منهم من يقال إن عنده المال الممدود رجالا كثيرين...". مجهول، الاستبصار، م.س، ص. 202.

ثورات قيادية :

إذا كانت الأندلس قد احتكرت النماذج المتعلقة بالانتفاضات غير القيادية. فإن الأمر يختلف بخصوص الثورات القيادية، فقد شكّلت هذه الأخيرة في الحقبة التي امتدت من 539هـ/1144م إلى 568هـ/1172م ثم المرحلة الفاصلة بين سني 579هـ/1183م و 588هـ/1192م 71% من مجموع الثورات القيادية بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن السادس الهجري/12م[567]، ومن بين 32 ثورة عرفت بلاد المغرب الأقصى 23 منها[568].

مبيان رقم 5 :

النسب المئوية للثورات القيادية بالمغرب الأقصى والأندلس خلال كل عشر سنوات من 469هـ/1076-1077م إلى 610هـ/1213-1214م



567- الرسم البياني رقم 5 ضمن هذا الفصل.

568- أنظر الرسم البياني رقم 3 وجدول رقم 1 ضمن هذا الفصل.

ويلاحظ بأن الانتفاضات التي ارتبطت بزعامات مذهبية، صوفية، أو ذات شخصية جذابة، أو تنتمي لأهل العلم والفقه، قد احتلت مكانة هامة من بين مجموع هذه الثورات، وأغلبها وقع بالمغرب الأقصى. فمن بين 12 انتفاضة تم إحصاء 9 منها بالمنطقة الأخيرة[569]. غير أن هذا الرقم لا يعبر في حقيقة الأمر عن تعدد للقيادات الكارزماتية وإنما يعبر فقط عن تعدد للتمردات. ذلك أن 5 انتفاضات ارتبطت بالفقيه والعالم الأندلسي المعروف بالثائر الجزيري خلال الإتصال الذي وقع بينه وبين فئة من الأتباع بمدينتي مراكش وفاس خلال سنتي 579هـ/1183م و 586هـ/1190م، إضافة إلى ارتباط حركته الثورية بمجال تواجد جماعة من البربر دون أن تحدد لنا المصادر أصولها القبلية[570]. ونفس الملاحظة تنطبق على الثورات الثلاث بالأندلس حيث ارتبط إثنان منها بالثائر الجزيري أثناء تواجده ناحية مرسية ومالقا عام 586هـ/1190م[571]، في حين ارتبط التمرد الثالث بثورة ابن قسي بغرب الأندلس في مرحلتها الأولى عام 539هـ/1144م[572].

أما التمردات التي قادها زعماء ينتمون إلى الجهاز الحاكم أسريا، أو إداريا، أو مذهبيا، فقد جاءت في المرتبة الثانية من حيث عدد الإنتفاضات القيادية خلال الفترة التي تم اختيارها نموذجا لهذا التحليل[573]، وجاء توزيعها الجغرافي متقاربا نسبيا بين المغرب الأقصى والأندلس[574].

أما الانتفاضات والثورات التي ارتبطت بالزعامات القبلية فكان عددها 6، وكان ظهورها بالمغرب الأقصى[575]. فبرزت زعامات قبلية في جزلة، لمطة، وهسكورة، وقبائل صنهاجة بتادلا، إضافة إلى غمارة. والتصقت هذه الاهتزازات

569- أنظر الجداول 1، 2 و 4 ضمن هذا الفصل.

570- أنظر مباحث الفصل الأول من هذا الكتاب.

571- أنظر مباحث الفصل الأول من هذا الكتاب.

572- وهي مرحلة خروجه عن سلطة المرابطين، أما المرحلة الثانية من هذه الثورة فكان إثرها ابن قسي مبايعا للموحدين، الذين جعلوه قائما بأمرهم في سلب غرب الأندلس. حول تفاصيل هذه الثورة يمكن الرجوع إلى كتابنا: حواضر الأندلس بين الانتفاضة والثورة خلال العصر المرابطي، م.س، الفصل الثاني.

573- وهي الممتدة من سنة 539هـ/1144-1145م إلى 568هـ/1172-1173م ثم من 579هـ/1183م إلى 588هـ/1192-1193م.

574- أنظر الجدول رقم 2 ضمن هذا الفصل.

575- وذلك حسب الحقبة التي اخترناها نموذجا في هذا التحليل. أنظر جدول رقم 1 ضمن هذا الفصل.

السياسية بهؤلاء الأشخاص باعتبارهم زعماء داخل المجتمع القبلي، كما ظهرت قيادات تميزت بطرحها المذهبي والفكري أكثر من انتمائها إلى القبيلة، كما هو الشأن بالنسبة لمرزدغ بمنطقة غمارة، والذي عمل على سك عملة يحمل مضمون كتابتها البعد الديني والمذهبي لهذه الثورة[576].

ولم يكن وجود هذه الزعامات يعبر دائما عن تطلعات القبيلة في الإستقلال، أو الرغبة في التمرد، بقدر ما كان يعبر - أحيانا- عن موقف شخصي، أو طموح ذاتي قصد الوصول إلى السلطة واحتكارها في مجال محدد، كما هو الشأن بخصوص ابن توندوت زعيم قبيلة هسكورة[577].

وساهمت بعض القيادات في تأطير التمردات القبلية بدليل استطاعتها الوقوف في وجه جيوش الدولة الموحدية وإلحاق الهزيمة بها، وهذا ما حدث مع ثورة القبائل الصنهاجية بتادلا ما بين 559 و 565هـ/1163-1170م فقد قام زعيمان بالهجوم على المصامدة، مما فرض عليهم بناء "تاكرارت" من أجل مرابطة واستقرار الجيش الموحدي الذي انهزم ثانية مما أدى بالموحدين إلى الاستعانة "بجيش الروم"[578].

إلى جانب الأصناف الثلاثة السابقة الذكر، قامت انتفاضات مرتبطة بأشخاص ينتمون إلى الجهاز الإداري للنظام السابق، ويتعلق الأمر بالثائر الصحراوي الذي كان واليا على مدينة فاس قبل دخول الموحدين إليها، فاضطر إلى الخروج عنها والتوجه إلى الأندلس. وبعد قيام ثورة الماسي وخروج مجموعة من المناطق من قبضة السلطة الموحدية، عاد من جديد إلى المغرب، إذ ارتبط رجوعه بثورة سبتة على النظام السياسي الموحدي[579].

576- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

577- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

578- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب. ويمكن القول أن المرابطين قد استخدموا الروم منذ أيام يوسف بن تاشفين، وكانوا يحصلون عليهم إما بالشراء أو بالأسر. وإلى جانب دورهم العسكري كانوا يقومون بجباية الضرائب. ويرجع عز الدين عمر موسى أن يكون الموحدون قد احتفظوا بالجند الرومي بعد سقوط الدولة المرابطية، ويستدل الدارس على ذلك بقوله أن كتيبة من هؤلاء الروم كانت ضمن الجيش الموحدي الذي أرسل لقتال الماسي بعد فتح مراكش مباشرة. ويضيف هذا الباحث بأن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قد استكثر من الروم في جيشه. ولعل ما يؤكد صحة استنتاج عز الدين عمر موسى هو أن ثورة تادلا المشار إليها أعلاه، والتي قضى عليها الموحدون بمساعدة جيش الروم قد حدثت خلال فترة حكم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن. وحول تفاصيل أكثر عن مكانة الروم في النظام العسكري الموحدي أنظر: الدكتور عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1991، ص. 226-229.

579- أنظر الفصل الأول من هذا المؤلف.

وخلال الفترة الممتدة من 541هـ/1147م إلى 544هـ/1150م بايعت قبائل دكالة، ركراكة، وحاحا الثائر الصحراوي، غير أن هذا لا يدل على أن هذه القبائل كانت تهدف من خلال هذا الاختيار إحياء الدولة المرابطية[580]. فقد كشفت لنا المصادر عن الأطماع الشخصية للثائر الصحراوي ورغبته في الحصول على امتيازات ذات بعد سياسي وأخرى ذات طابع اقتصادي ومالي، إلا أن الموحدين لم يعملوا على استئصال شأفته والتخلص منه على الرغم مما سببه لهم من متاعب. فقد استمر تمرده منذ انتفاضة سبتة عام 542هـ/1147م إلى حدود 552هـ/1157م، وهو تاريخ حسم مقاليد السلطة في يد الخليفة عبد المؤمن بشكل فعلي وفي نفس الوقت تركيز نفوذها في يد الأسرة المؤمنية[581].

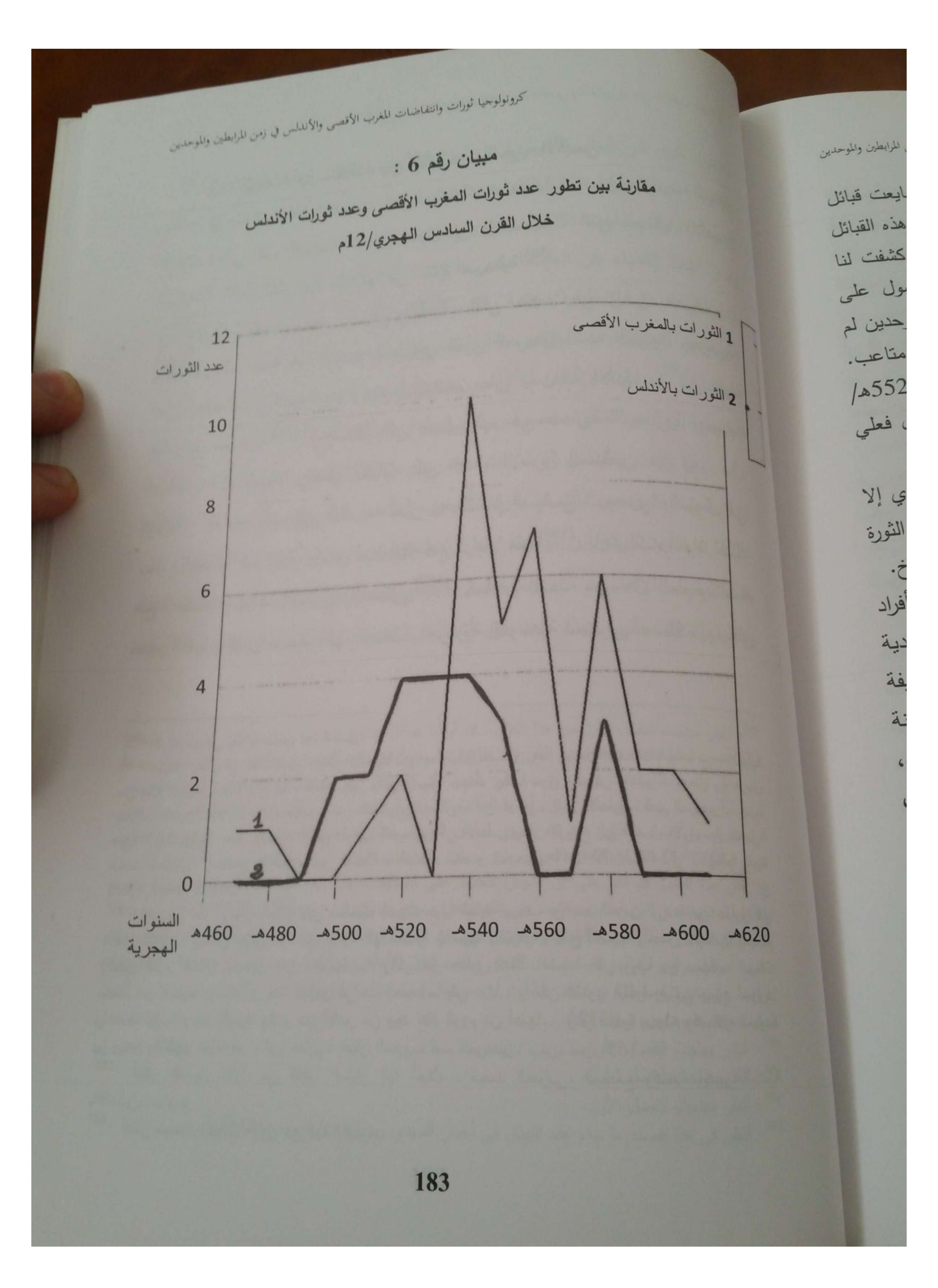
ولم يكن تحرك هذا الزعيم المرابطي بين قبائل وحواضر المغرب الموحدي إلا بدافع إشعار السلطة المركزية بمدى أهميته كقائد عسكري قادر على إشعال فتيل الثورة وخلق بوادر التمرد، فتم ضمه إلى صفوفها خاصة بعد تدخل وساطة بعض الأشياخ.

فالثائر الصحراوي كان ينطلق من خلفية تعامل الموحدين مع بعض أفراد النظام السابق، الذين اقتنعوا بالدخول في دعوة الزعيم المذهبي للدولة الموحدية المهدي بن تومرت. وفي هذا السياق يتحدث جغرافي معاصر عن تعامل الخليفة عبد المؤمن مع من أراد الدخول في نظام الدولة الموحدية من المرابطين بمدينة فاس قائلا : "**...وكان فيها من الولاة الملثمين رجالا عظماء، عقلاء فضلاء، بادروا إلى مخاطبة الخليفة أمير المؤمنين رضه، وتساعدوا مع الوالي المتصرف بها، فأدخلوا الموحدين أعزهم الله، يوم الإثنين في العشر الأول من ذي حجة سنة 540، وسلمت لهم أملاكهم وأموالهم، ولم تزل أحوالهم تنعم، وأموالهم تتزايد مع الأمن والدعة والسكون في ظل أمن هذا الأمر العالي بهدى الله...**"[582].

580– انظر الفصل الأول من هذا المؤلف.
581– انظر الفصل الأول من هذا المؤلف.
582– مجهول، الإستبصار، ص. 182.

مبيان رقم 6 :

مقارنة بين تطور عدد ثورات المغرب الأقصى وعدد ثورات الأندلس خلال القرن السادس الهجري/12م



3- ثورات غير متكافئة بين الأندلس والمغرب الأقصى :

إلى جانب الاستنتاجات التي مكنتنا منها عملية تحليل الرسوم البيانية المعتمدة في هذه الدراسة، يمكن القول إن الانتفاضات التي شهدتها الأندلس المرابطية كانت أكثر من مثيلاتها في الفترة الموحدية[583].

ويمكن تفسير بعض الدوافع والأسباب التي ساهمت في تقلص عدد الثورات بالأندلس الموحدية هو التواجد العسكري القوي للموحدين شبه الجزيرة، وحرصهم على استخلاص الضرائب، وعدم اعتمادهم على مساهمة الأندلسيين في القيام بمشاريع معمارية[584]. إضافة إلى مجهوداتهم في محاربة النصارى، وحماية المناطق الإسلامية، والعمل أحيانا على افتداء الأسرى المسلمين من بيت مال الدولة[585]، ويضاف إلى ذلك ما تميَّز به النظام السياسي الموحدي والمتمثل في عنف السلطة المركزية، والذي لم تطبقه مع الرعايا فقط[586]، بل سلكته أحيانا كذلك مع أعضاء جهازها الإداري والعسكري[587]، كما أن النخبة من أهل العلم وخاصة منهم الفقهاء الذين ضمنت لهم السلطة المركزية الموحدية استمرارية ممتلكاتهم، كان

583- الرسم البياني رقم 6 ضمن هذا الفصل.

584- نكتفي بمثال في هذا الصدد ويتعلق بالخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عندما قام ببناء سور إشبيلية من ماله الخاص، كما أمر ببناء قنطرة على وادي إشبيلية سهلت عملية مرور الجيش والناس دون أن يتم فرض ضرائب المرور، كما تم إنشاء مجموعة من المشاريع المعمارية. ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، م س، ص. 165. وحول هذه الإنجازات التي قام بها الموحدون في الأندلس يمكن الرجوع إلى الفصل الأول من كتابنا : محمد العمراني، المجتمع والنخبة وتدبير السلطة بالأندلس، العصر الموحدي 541-609هـ/1147-1212م، نادية للنشر، الرباط، 2015.

585- تقدم في هذا الإطار شهادة لابن صاحب الصلاة حول الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أوردها ابن عذاري في النص التالي : "**وخص جزيرة الأندلس ببعوثه لها فقمعوا عاصيها وافترعوا بالفتح قاصيها وأحسن لأجنادها وأمدهم بالخيل لغزو الكفار بائسين من أعدائها...**"، وذكر ابن عذاري كذلك اعتمادا على رواية بن صاحب الصلاة بخصوص الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في هذا الصدد ما يلي : "**... وأسكن الثغور القفرة وابتنى جميع أسوارها وأعادها للإسلام بعد إقفارها وفدى من الأسْرِ من وجد عند الروم من أهلها... وغزا الكفرة ببعوثه وعساكره المؤيدة برا وبحرا وأذاقهم عيشا مر**"، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، م س، ص. 165.

586- أنظر الفصل الأول من كتابنا المشار إليه أعلاه : محمد العمراني، المجتمع والنخبة وتدبير السلطة بالأندلس...، م.س.

587- أنظر مباحث الفصل الأول من هذا الكتاب.

له دور كبير في استقرار الوضع السياسي بالأندلس خلال العصر الموحدي[588].

وكانت هذه النخبة، وخاصة الفقهاء، تشعر بالدونية أمام القوة المذهبية لرجال الحكم الموحدي، وقد صاحب ذلك إحساس بالخوف من السلطة الجديدة، ولعل هذا هو ما يفسر ابتعاد الفقهاء عن العامة عكس ما كان سائدا خلال الفترة المرابطية[589].

إن قراءة في ظروف بيعة وفود الأندلس في سلا وما صاحبها من طقوس على عهد الخليفة عبد المؤمن تعطينا صورة واضحة عن هذا الرعب من السلطة الموحدية[590]، في حين كان الأندلسيون يتجرأون في القيام على القادة وأمراء الدولة المرابطية كما هو الشأن بخصوص ثورة قرطبة عام 514هـ/1120م[591].

وإذا كانت الأندلس قد شهدت مجموعة من الثورات في ظل حكم المرابطين، فإنه على العكس من ذلك لم يعرف المغرب الأقصى إلا بعض الاهتزازات القليلة، إذا ما استثنينا حركة ابن تومرت وما ارتبط بها من أحداث منذ عودة المهدي إلى بلاد المغرب الأقصى[592]. وتم حصر معظم هذه التمردات في بلاد غمارة وسبتة وناحيتها، فقد ظهر بهذه المناطق أشخاص تميزوا باتجاههم المذهبي، كما هو

588- أنظر مباحث الفصل الأول من هذا الكتاب. لقد أوقفنا هذا الاستنتاج على دوافع أخرى تكون وراء رغبة السكان في الخضوع لسلطة جديدة، فالتفسير الذي ظل طاغيا بخصوص هذه المسألة هو المرتبط بالجانب المذهبي خاصة ما يتعلق بالعهد الموحدي. ويرجع السبب في تقديرنا إلى المكانة التي احتلتها الدعوة التومرتية في المصادر الوسيطية وهي ما جعلت الباحثين يولون أهمية للجانب المذهبي في تفسير موقف الرعية من السلطة الموحدية. أنظر في هذا الصدد تحليل الدكتور عبد الله العروي لبعض الثورات خلال فترة حكم الموحدين. عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج2، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1994، ص. 169-173.

وإذا كان هذا البحث قد أكد على أن هاجس الحفاظ على الممتلكات كان دافعا للخضوع للدولة الموحدية خاصة بالأندلس، فإن نصا لابن عذاري يكشف عن ذلك بشكل صريح إذ ذكر أنه عام 567هـ/1171-1172م جاء عند الخليفة يوسف بن عبد المؤمن "أعيان وفرسان راغبين في التوبة والبيعة فالتزموها على أتم حقوقها وأمر لهم بظهائر بتحرير أموالهم وتقرير آمالهم فتسامع أهل الشرق (يقصد شرق الأندلس) بما فعل معهم فجاءوا عند ذلك أفواجا أفرادا وأزواجا حتى انفرد صاحبهم بن سعد (يقصد ابن مردنيش) وتمادى به فكرة إلى القبر واللحد". ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص. 121.

589- أنظر مباحث الفصل الأول.

590- أنظر مباحث الفصل الأول.

591- أنظر مباحث الفصل الأول.

592- أنظر في هذا الصدد ما جاء عند البيذق في أخبار المهدي ومبيان رقم 6 ضمن هذا الفصل.

الحال بخصوص ثائر سبتة عام 520هـ/1126م[593]، والذي كان شيعي المذهب، وثائر "كركال" بمنطقة غمارة، الذي ادعى أنه الخضر خلال نفس السنة[594]. ثم ثائر آخر على عهد يوسف بن تاشفين، والذي ادعى أنه ابن معنصر الزناتي، الذي كان حاكما بمنطقة فاس قبل ظهور المرابطين ببلاد المغرب الأقصى[595].

إن قلة الثورات بالمغرب المرابطي لم ترتبط بغياب الشروط المسببة لظهور الانتفاضات والتمردات، بقدر ما ارتبطت بالكتابات التي أرخت للمغرب الأقصى خلال هذه الفترة.

ذلك أن مغرب القرن السادس الهجري قد اندمج في تاريخ الحركة التومرتية، لذلك جاء حضور أحداث هذه الثورة في المصادر الوسيطية بنفس أهمية حضور أعمال ومشاريع علي بن يوسف المرابطي بالأندلس. لقد كان هدف هذه المصنفات هو خدمة الدعوة الموحدية، فكان من الطبيعي إقصاء كل الأطراف المتواجدة في الميدان مذهبيا. وترك المجال فقط للحركة التومرتية، على الأقل في سياق التأريخ لأحداث القرن السادس الهجري/12م، لأنها الحركة الوحيدة التي تمتلك مشروعية القيام بالتغيير.

لقد كان هذا العامل من وراء إحجام المؤرخين عن التأريخ لانتفاضات المغرب الأقصى وتشويه صورة زعمائها، أو تقديم صورة غامضة ومقتضبة عن محرّكيها، كما هو الحال بخصوص ثائر كركال السابق الذكر، ونفس الملاحظة تنطبق على التأريخ لثورة ماسة بزعامة محمد بن عبد الله بن هود، والمعروف بالماسي[596].

593- أنظر المباحث المخصصة لثورات غمارة في الفصل الأول من هذا الكتاب.

594- أنظر المباحث المخصصة لثورات غمارة في الفصل الأول من هذا الكتاب.

595- أنظر المباحث المخصصة لثورات غمارة في الفصل الأول من هذا الكتاب.

596- أنظر مباحث الفصل الأول من هذا الكتاب.

وساعدنا المبيان السابق[597] من تقدير مدى أهمية عدد الثورات بالمغرب الأقصى الموحدي مقارنة مع المغرب الأقصى المرابطي على مستوى الحركات القبلية والانتفاضات الحضرية. ولم تعبِّر هذه الثورات عن رفض للسلطة المركزية الموحدية بقدر ما كانت تهدف في الأساس إلى محاربة الظلم الجبائي والضغط الضريبي[598]، وكذا الرغبة في المحافظة على الإستفادة من خيرات مناطقها الفلاحية والمعدنية، فلم يكن ارتباط خروجها بوجود زعامات من أهل الزهد والتصوف، أو من رجالات الحكم في النظام السابق إلا ذريعة للقيام على السلطة الجديدة، أو رغبة في الإحتماء بهذه القيادات من خلال الإستفادة من التأطير العسكري، كما هو الحال في الثورات التي تزعمها الثائر الصحراوي[599].

لقد كانت الانتفاضات الأولى ضد الموحدين بالمغرب الأقصى تهدف في أساسها إلى محاربة العنف الضريبي، ويتضح أن السلطة المركزية كانت على دراية بهذه الأسباب والعوامل الناتجة أساسا عن غياب نظام ضريبي عادل ومنصف، ولعل ذلك هو ما كشفته وعبّرت عنه رسالة "الأوامر والنواهي" التي بعث بها الخليفة عبد المؤمن إلى جميع الجهات من أجل إقرار عدالة اجتماعية ووضع حد لانتشار الفوضى الضريبية[600].

597– مبيان رقم 6 ضمن هذا الفصل.

598– ونخص بالذكر هنا الثورات الأولى التي اندلعت منذ 541هـ/1147م وهي ما اصطلحنا عليه بمرحلة الفوضى الضريبية قبل أن يصدر الخليفة عبد المؤمن رسالته المشهورة. أما بعد هذه المرحلة فإن الدولة وإن لجأت إلى تطبيق الأسس الشرعية، من منظور المذهب الموحدي، فإن القبائل كانت ترفض عملية إشراك الدولة في خيرات المناطق التي تتواجد بها الشيء الذي كان يتعارض مع أهداف السلطة المركزية التي كانت تريد الاستفادة من هذه الموارد، وفي نفس الوقت القضاء على الاحتكار القبلي لهذه الخيرات. فكان ذلك سببا في اندلاع العديد من الثورات خاصة في المجالات التي تكثر بها المجموعات القبلية. فهل يمكن القول بأن النظرية الخلدونية في المجال الضريبي والعصبية تحظى بمكانة هامة في تفسير انتفاضات المغرب الأقصى الموحدي؟
أنظر: ابن خلدون، العبر، ج1 (المقدمة)، الفصل التاسع "في أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قبل أن تستحكم فيها دولة"، ص. 174-176.

599– أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

600– أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

كما أن هاجس الوصول إلى السلطة، أحيانا كان سببا في قيام بعض التمردات حيث ارتبطت بفئة تنتمي إلى الأسرة الحاكمة في الحقبتين المرابطية والموحدية. فخلال فترة حكم المرابطين ظهر ذلك مع إبراهيم بن أبي بكر اللمتوني، الذي جاء يطالب بملك أبيه، الذي اغتصبه منه ابن عم والده يوسف بن تاشفين، ووقع هذا التمرد عام 469هـ/1076م حيث كانت أغمات مسرحا له، إلا أنه لم يتحول إلى مواجهة عسكرية، وذلك راجع إلى الوساطة التي قام بها مزدلي، الذي ينتمي للأسرة المرابطية الحاكمة. فقد استطاع أن يقنع الثائر بقوة يوسف بن تاشفين من خلال خطاب لا يخلو من العنف عندما ذكر "**إن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء، والله تعالى قد خص هذا الرجل بالملك دوننا**"[601]. فقد أراد مزدلي أن يقنع إبراهيم بن أبي بكر بن عمر بأن السلطة التي يتمتع بها يوسف بن تاشفين هي مسألة قضاء وقدر[602]، فلا يمكن لأحد أن ينازعه في الملك، ومن تجرأ على القيام بذلك "**يكبل ويصير عبدا**"[603].

يمكن تلمس العنف في علاقة الحاكم بالمحكوم من خلال النص في صيغة رد إبراهيم على كلام مزدلي "**يا عمي -رضي الله عنك- عسى أن تجتمع معه في أمري وتبين له حالي**"[604]. فهذا الاستعطاف تم بفعل الخوف الذي أوقعه في نفسه كلام مزدلي"، فكأن إبراهيم المتمرد يراهن على حريته، فإما أن يطالب بالملك ويتحمل النتائج في حالة فشله حيث يصير عبدا، بعدما يجعل القيد على رجله[605]،

601- ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، م س، ص. 29.

602- ومن أجل ذلك وظف "مزدلي" عملية التناص من خلال اقتباسه من النص القرآني [**والله يوتي ملكه من يشاء والله واسع عليم**]. سورة البقرة، الآية 245، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، م س، ص. 848.

603- ابن عذاري، البيان، ج4، م س، ص. 29.

604- ابن عذاري، البيان، ج4، ص. 29-30.

605- ابن عذاري، البيان، ج4، ص. 29.

وإما أن يقتنع بالحل السليم الذي يكمن في عدم المطالبة بالحق في الملك حتى يستفيد من المال والمعونة[606].

ولم تنحصر المطالبة بالملك بين أفراد الأسرة الحاكمة في الدولة المرابطية فقط، بل شمل كذلك فترة حكم الدولة الموحدية كذلك. فإذا كان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن لم يعط أهمية إلى امتناع أخويه عن بيعته، وهما السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد محمد صاحب قرطبة حيث لم يطالبهما بالبيعة[607]. فهذا يدل على أن هذا التأخر لم يكن ناجما عن رغبة في الثورة أو التمرد وذلك لأنهما أعلنا بيعتهما بعد ذلك.

غير أن أفرادا من الأسرة الحاكمة في فترة لاحقة رأوا ضرورة قيامهم على الخليفة، وهذا ما حدث فعلا مع السيد أبي الربيع، عم المنصور الوالي على تادلا، والسيد الرشيد، أخ المنصور الوالي على مرسية، وكان ذلك سنة 584هـ/1188م[608].

ولم يكن التهافت على السلطة حكرا على القرابة داخل الأسرة الحاكمة فقط، بل كان كذلك محط أطماع أفراد ينتمون إلى أسرة الزعيم المذهبي للدولة، كما هو الشأن بخصوص قرابة المهدي ابن تومرت، وخاصة أخواه، عيسى وعبد العزيز، اللذان دبرا محاولة لقلب النظام بعاصمة الدولة مراكش عام 548هـ/1153م[609].

وكانت الرغبة في الاستقلال بمنطقة معينة هاجسا لدى البعض من الثوار كما هو الشأن بخصوص ابن قسي بغرب الأندلس خلال الفترتين المرابطية والموحدية، وقد عبّر عن هذه النزعة في الاستقلال عن السلطة المركزية بقيامه بسك العملة. على أن دوافع وأسباب هذه الثورة لم يكن مرتبطا فقط بطموح الثائر

606- ابن عذاري، البيان، ج4، ص. 30.

607- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. 208-209.

608- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

609- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

ابن قسي وجماعته من المريدين، بقدر ما كانت ناتجة كذلك عن رغبة عامة لدى سكان غرب الأندلس من أجل الالتفاف حول زعامة قوية للوقوف في وجه الخطر النصراني من جهة، ومن جهة أخرى الرغبة في تجاوز الأزمات الاقتصادية، التي كانت تتعرض لها المنطقة في فترات سابقة، والتي استفحلت مع نهاية العقد الرابع من القرن السادس الهجري/ منتصف العقد الخامس من القرن 12م، وصادفت هذه الأهداف طموح ابن قسي وأصحابه في الوصول إلى السلطة.

وإذا كانت شروط ودوافع الثورة قد توفرت من أجل قيامها فبالمقابل وجدنا أن هذا التعارض بين رغبة أهالي منطقة شلب وغيرها من سكان غرب الأندلس من جهة، وبين أهداف زعماء المريدين المتمثلة في الوصول إلى الحكم من جهة ثانية، هو ما أدى إلى فشل المشروع السياسي لهذه الثورة[610].

ولم تنحصر المحاولات الاستقلالية في الأندلس فقط، بل شهد المغرب الأقصى بعض النماذج منها، ولعل أبرزها قد تمثلت في قوة مرزدغ الغماري، الذي حاول الاستقلال بمنطقة غمارة حيث تم التعبير عن هذه المحاولة الانفصالية من خلال عملية سك العملة والوقوف في وجه جيوش الدولة الموحدية عام 559هـ/1163م[611].

وارتبطت مسألة المطالبة بالملك أو الرغبة في الوصول إلى السلطة بفئة العلماء من أهل الأندلس مثل ابن الفرس حوالي 600هـ/1203م، والذي حاولت المصادر أن تقنعنا بأن رغبته في الوصول إلى الحكم لم تكن إلا هاجسا ذاتيا فرض على هذا الثائر الانتقال من الأندلس إلى المغرب الأقصى لإعلان ثورته والقيام بانتفاضته في إحدى حصون بلاد سوس[612]، كما شمل هذا الطموح

610– أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

611– أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

612– أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

السلطوي ذو البعد السياسي شخصا ينتمي لأهل الزهد والتصوف، ويعرف باسم عتاب خلال الفترة الموحدية[613].

إن خطورة الانتفاضة والتمرد لم تقدر بمدى فعالية الحركة الثورية في هزم الجيش المركزي للدولة القائمة، ولكن هذه الفعالية كان يتم النظر إليها بمدى ارتباط الانتفاضة أو الثورة بطبيعة زعيمها المذهبي. فإذا أخذنا مجموعة من زعماء الثورات كثائر كركال عام 520هـ/1126م، ومعاصره "الحاجب" الثائر بسبتة خلال الفترة المرابطية ثم "عتاب" وكذا "العبيدي" الثائر بورغة خلال الفترة الموحدية، فإن مآلهم كان هو القتل وتعليق الرؤوس في أبواب فاس ومراكش[614]، فرغم تأكيد المصادر على الطابع السلمي في هذه الانتفاضات، فإن السلطة المركزية قد تعاملت معها بكل عنف وقسوة.

إن السلطة الرمزية التي يملكها هؤلاء الأشخاص، كانت أخطر من السلطة العسكرية التي قد تتوفر للبعض من الزعامات، كما هو الحال بخصوص الصحراوي الذي رغم المصاعب التي سببها للجهاز الحاكم الموحدي، فإنه قد تم العفو عنه والتغاطي عن حالة الفوضى والمتاعب التي سببها للجيش الموحدي بمجموعة من مناطق المغرب الأقصى. ذلك أن خطورة هؤلاء الثوار كانت تكمن في ما يملكونه من قوة مستمدة من نفس النهج التومرتي، سواء على مستوى ادعاء الهداية، أو اتخاذ نمط العيش الزهدي أسلوبا في استقطاب الأتباع أو نشر أفكار، أو الدعوة لاتجاه مذهبي معين.

ولم تكن الانتفاضات دائما ذات نتائج سلبية بالنسبة للسلطة المركزية الحاكمة، بل كانت فرصة كذلك للزيادة في ثروة المسؤولين في الدولة، وخاصة منهم الولاة والأمراء والخلفاء مثل ما حدث للخليفة عبد المؤمن الموحدي الذي كان

613- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

614- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

من نصيبه ثمانمائة ناقة بعد أن استطاع إخماد ثورات قبائل كزولة ولمطة وغيرهما من قبائل الجنوب وبلاد سوس ما بعد سنة 548هـ/1153م[615].

وكانت هذه الانتفاضات والثورات فرصة كذلك للسلطة المركزية من أجل إبراز قوتها وتدعيم نفوذها في مختلف الجهات الخاضعة لها، خاصة خلال الفترة الموحدية، وذلك من خلال إعلامها بوقوع الانتصار على ثورة، أو إرغام جهة ما على الخضوع، أو قتل متمرد، وذلك من خلال مراسلات رسمية إلى مختلف جهات البلاد الموحدية أساسا، فلا تترك أي صغيرة أو كبيرة عن ثورة معينة إلا ذكرتها. وهذا من شأنه إدخال الرعب في نفوس الرعية، خصوصا وأن الخليفة كان ينص في غالب الأحيان على إعلان الرسالة على المنابر، فتصل إلى الخاصة والكافة[616]. فإذا كان الإخبار بالقضاء على ثورة أو تمرد ما، يعتبر دعاية للدولة من أجل إسكات أصوات تستعد للتمرد، فإن هذا الإخبار قد ساهم كذلك في تقديم أسباب مشروعة لساكنة شبه الجزيرة لتبرير تأخر حملات السلطة المركزية الجهادية إلى الأندلس، وذلك من خلال التأكيد على انشغالها بإجهاض محاولات تمردية[617].

وقد وظَّفت السلطة المركزية، مرابطية كانت أو موحدية، أبواب مدينتي فاس ومراكش من أجل ردع العامة، والخاصة، وتحسيسهم بمدى خطورة الجهاز السلطوي، الذي كان يتصدى لأي محاولة تمردية. هذا ما لاحظناه في الرواية التي تحدثت عن ثورة ابن الفرس، أثناء تمعنه في رؤوس الثوار المعلقة على باب الشريعة بمراكش[618]، ونفس الملاحظة تنطبق على العبيدي الثائر بورغة، والذي أعطى اسما جديدا لباب الشريعة بفاس حيث أصبح يسمى بباب المحروق[619]،

615- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

616- أنظر ذلك في مجموع رسائل موحدية التي نشرها ليفي برفنسال، وكذا القسم الثاني من مجموع رسائل موحدية جديدة لأحمد عزاوي.

617- أنظر عن ذلك ثورة سبع بن منخفاد ببلاد غمارة في الفصل الأول من هذا البحث.

618- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

619- أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

وفي ذلك دلالة رمزية على مدى تأثير تعليق الرؤوس في الأبواب على نفسية ساكنة الحواضر، ومدى رسوخها في الذاكرة المغربية.

كما يلاحظ كذلك أن هناك انخفاضا في عدد ثورات المدن بالمغرب الأقصى الموحدي، ذلك أنه باستثناء الانتفاضات الأولى في سلا وسبتة على عهد الخليفة عبد المؤمن، ثم الأحداث المرتبطة بتواجد الجزيري في مدينتي فاس ومراكش خلال سنتي 579هـ/1183و 586هـ/1190م، فإننا لم نسمع بوجود ثورة أخرى أو حالة تشغيب قد وقعت بمدينة من مدن هذه المنطقة خلال الفترة المحددة من 541هـ/1147م إلى 610هـ/1213م. إن السبب في ذلك يرجع إلى الحضور الأمني الموحدي المتركز بالحواضر من جهة[620]، ومن جهة أخرى إلى تواجد فئة من الزهاد والمتصوفة الذين كانوا يقدمون خدمات اجتماعية هامة كانت تحل الضائقة الاقتصادية لشريحة من هذا المجتمع الحضري بالمغرب الأقصى. فيذكر ابن قنفد عن أحد فقهاء، مدينة فاس، وهو الشيخ أبو الحسن علي بن غالب، "**أنه ورث من أبيه اثني عشر ألف دينار. فتصدق بها كلها**"[621]، وذكر بخصوص الفقيه الصالح أبي عبد الله التاودي أنه كان بفاس يعلم الأولاد القرآن ويأخذ الأجرة من أولاد الأغنياء خاصة، ويدفعها لأولاد الفقراء، كما كان يخيط ثياب المساكين[622]. وأشار صاحب الذيل والتكملة بأن الفقيه "محمد بن أحمد بن محمد اللخمي" كان أثناء استقراره بمراكش يقوم بالتصدق بكل ما يعطى له من أموال ممنوحة من طرف الموحدين على الفقراء والمساكين والمحتاجين، وكذا "**تجهيز الضعيفات إلى أزواجهن فكان حاله إلى حدود وفاته**"[623].

فالمتصوفة من خلال هذه الممارسة قد عملوا على امتصاص غضب المتضررين من الظروف الصعبة اقتصاديا، وساهموا بذلك في تهدئة الأوضاع

620– يشير عز الدين عمر موسى إلى تواجد جيش الروم في فاس ومكناسة وسجلماسة والسوس إضافة إلى العاصمة مراكش. الدكتور عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، م س، ص. 229.

621– ابن قنفذ القسطيني، أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف غور، من منشورات البحث العلمي، مطبعة أكدال الرباط، 1965، ص. 26.

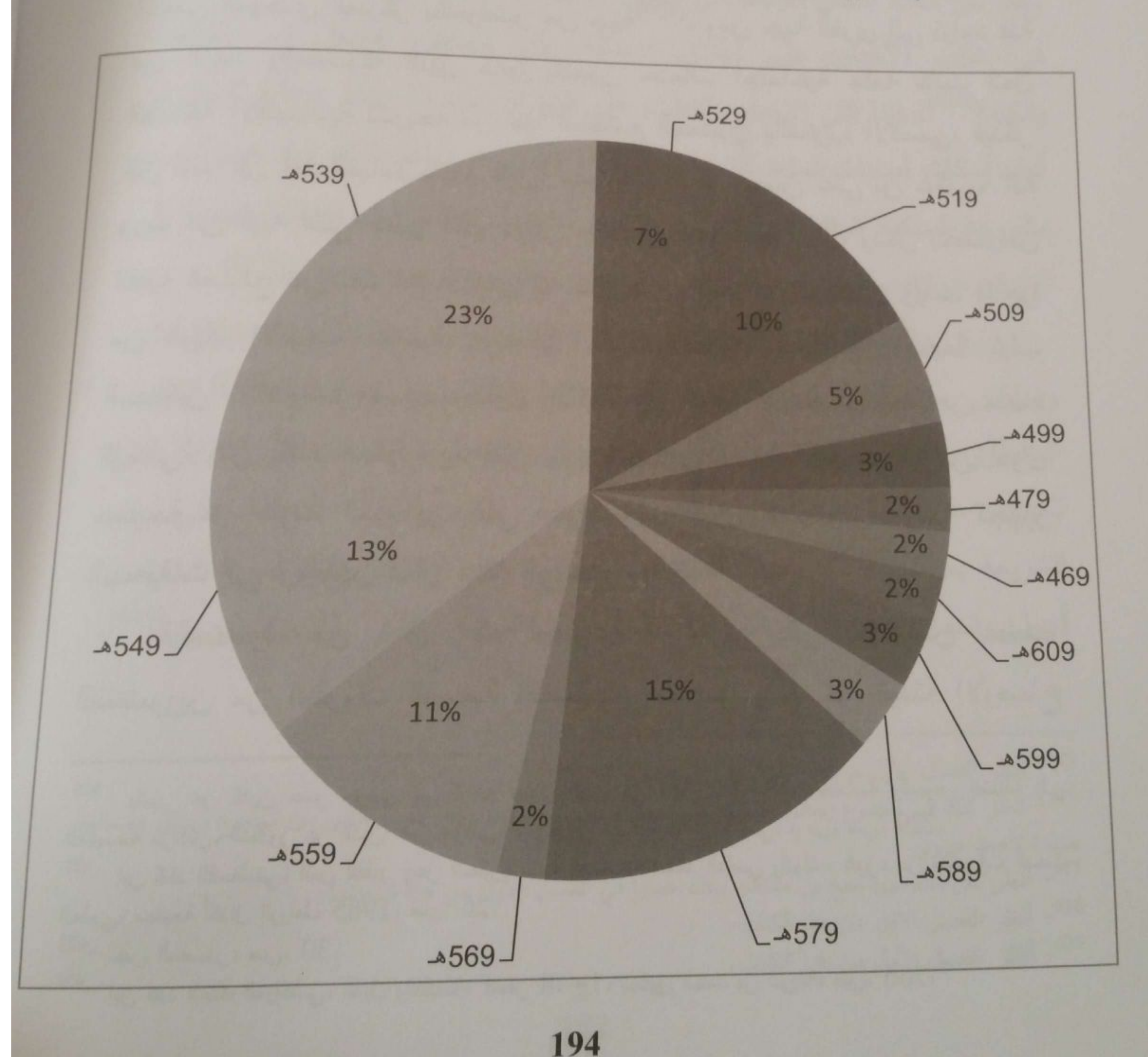
622– نفس المصدر، ص. 30.

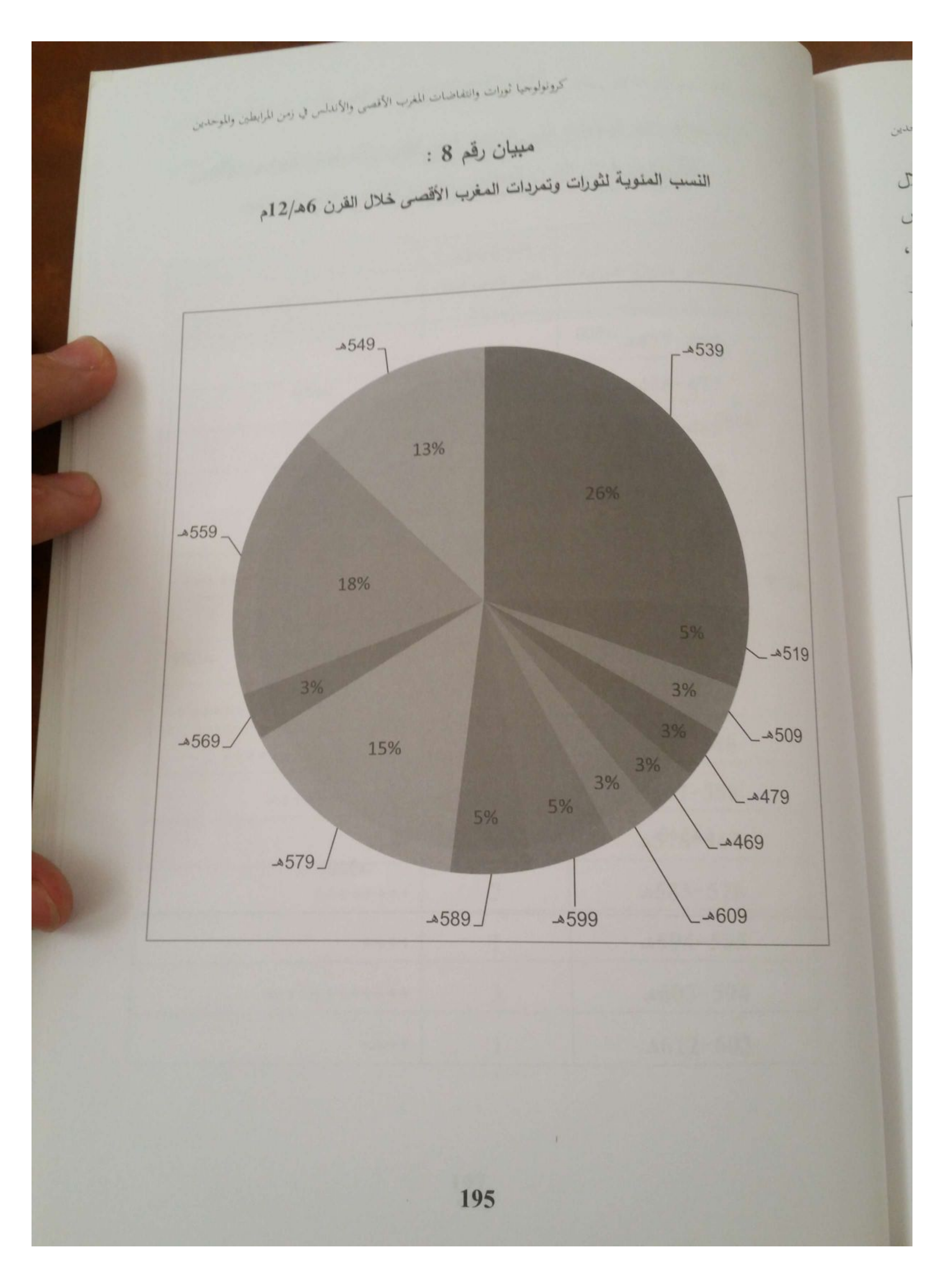
623– ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر 8، ج1، تحقيق محمد بن شريفة، ص. 266.

بحواضر المغرب الأقصى خلال القرن السادس الهجري/12م، وبشكل كبير خلال الفترة الموحدية. إن المساعدات المادية المقدمة إلى الفقراء من طرف بعض الأغنياء، من أهل الزهد والورع، شكّلت متنفسا لفئة المتضررة من أهل الحواضر، فساهمت بذلك في عدم ظهور ثورات أو احتجاجات وانتفاضات حضرية رغم توفر الظروف والشروط الموضوعية أحيانا لقيامها كحدوث الجفاف وما يرتبط به من مجاعة وارتفاع الأسعار.

مبيان رقم 7 :

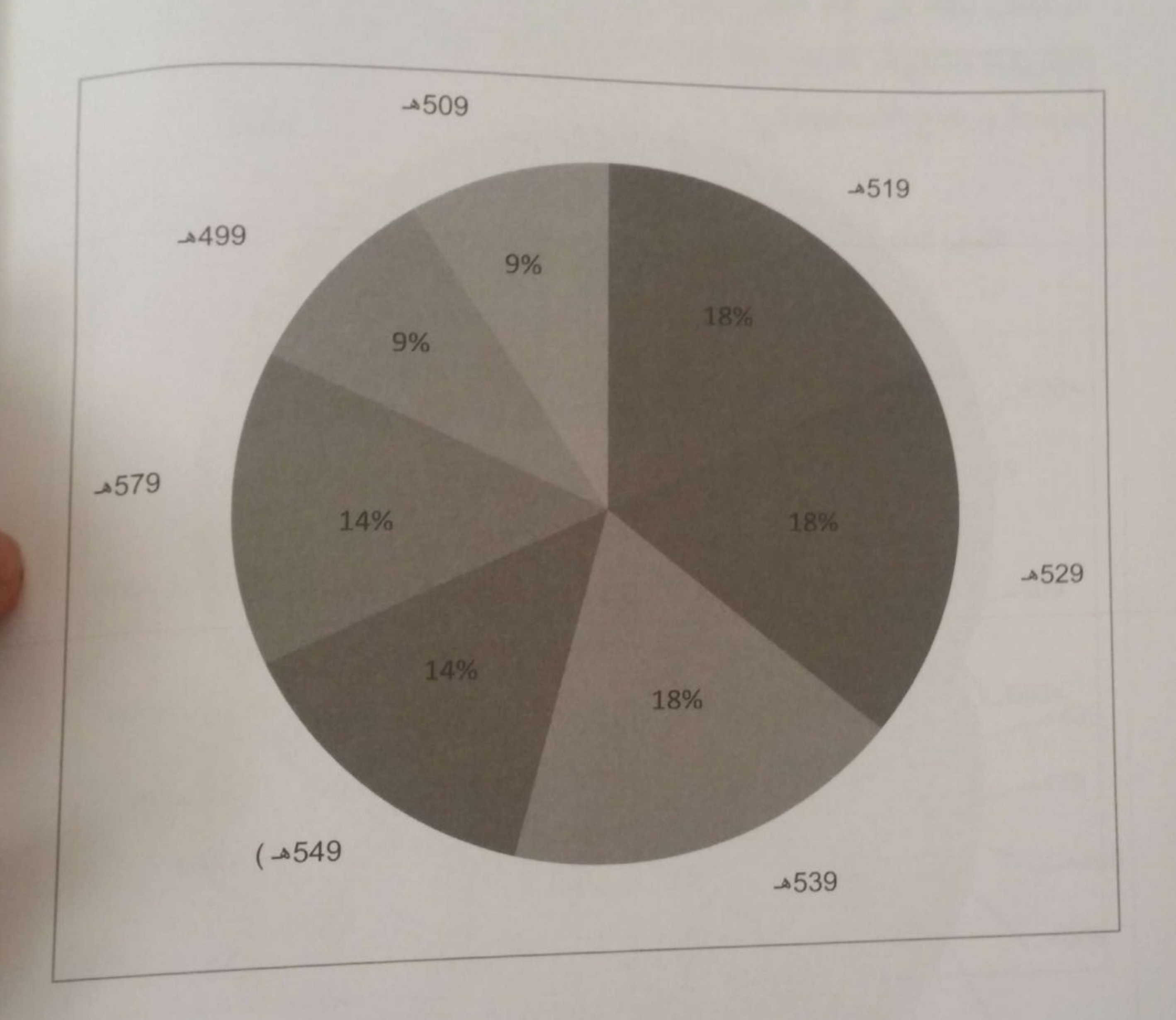
النسب المئوية لثورات وتمردات المغرب الأقصى والأندلس خلال القرن 6هـ/12م




كرونولوجيا ثورات وانتفاضات المغرب الأقصى والأندلس في زمن المرابطين والموحدين
مبيان رقم 8 :
النسب المئوية لثورات وتمردات المغرب الأقصى خلال القرن 6هـ/12م
539هـ
26%
519هـ
5%
509هـ
3%
479هـ
3%
469هـ
3%
609هـ
3%
599هـ
5%
589هـ
5%
579هـ
15%
569هـ
3%
559هـ
18%
549هـ
13%
195

المبيان رقم 9 :

النسب المئوية لثورات وتمردات الأندلس خلال القرن 6هـ/12م



شكل يحدد عدد السنوات التي اندلعت فيها الفتن والتمردات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي

فاصل عشر سنوات هجرية	عدد السنوات التي قامت فيها الثورات	رسم بياني
477-468هـ	1	++++
486-477هـ	1	++++
495-486هـ	0	
504-495هـ	1	++++
513-504هـ	1	++++
522-513هـ	5	++++++++++++++++++++
531-522هـ	3	++++++++++++
540-531هـ	2	++++++++
549-540هـ	5	++++++++++++++++++++
558-549هـ	4	++++++++++++++++
567-558هـ	3	++++++++++++
576-567هـ	1	++++
585-576هـ	2	++++++++
594-585هـ	1	++++
603-594هـ	3	++++++++++++
612-603هـ	1	++++

خاتمة :

يتضح من خلال هذا الكتاب أن بلاد المغرب الأقصى والأندلس منذ أن أصبحت مدينة مراكش عاصمة لدولة المرابطين، وإلى حدود وفاة الخليفة الموحدي محمد الناصر سنة 610هـ/1213م، قد عرفت ظهور مجموعة من الانتفاضات والثورات، والتي مكنتنا من قياس مدى حضور ثقل السلطة المركزية، مرابطية كانت أو موحدية، في كل من المغرب الأقصى وشبه الجزيرة. وفي الوقت نفسه ساعدتنا المعطيات الإحصائية على المقارنة بين العوامل المفسرة لقيام كل أشكال الاهتزازات السياسية بين المغرب الأقصى والأندلس، وكذا بين الفترة المرابطية ومثيلتها الموحدية على مستوى عدد هذه الثورات وأصنافها.

كما أن مباحث هذا الكتاب كانت مناسبة لنا من أجل ضبط آليات ومكنزمات هذه الانتفاضات والثورات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن السادس الهجري/12م في ظل سلطة مركزية كانت فيها الدولة، مرابطية وموحدية، حاضرة بثقلها من خلال أجهزتها الإدارية والعسكرية في مجال خاضع لسلطتها الشرعية والمُعبّر عنه بتقديم البيعة لحُكام مراكش من مرابطين وموحدين، فكان بذلك هذا المؤلف محاولة منا للإجابة عن التساؤلات التالية:

هل كان قيام مختلف الثورات والانتفاضات بهدف تغيير الوضع السياسي بالمنطقة المدروسة؟ هل كان ظهورها بفعل نشر مذهب أو دعوة معينة ؟ هل كان قيامها بفعل ضغط ضريبي ؟ هل كانت تؤطر هذه الانتفاضات زعامات معينة ؟ هل اقتصرت الفتن على البوادي ؟ أم أنها شملت الحواضر والبوادي على السواء ؟ هل يوجد فرق بين ثورات المغرب الأقصى ومثيلاتها في الأندلس، وبين الفترتين المرابطية والموحدية على مستوى عددها ونوعية زعاماتها ومشاريعها الثورية ؟

فهرس الموضوعات